الوعي الإسلامي

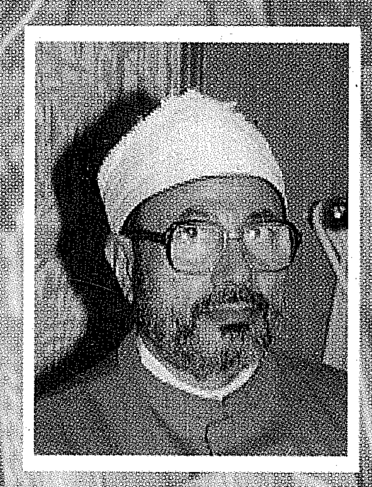
AL- WA E I AL- ISLA MI

إسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٦٦ – صفر ١٤١٧هـ – يوليو (تموز) ١٩٩٦م

هديتك مع العدد براعم الإيمان

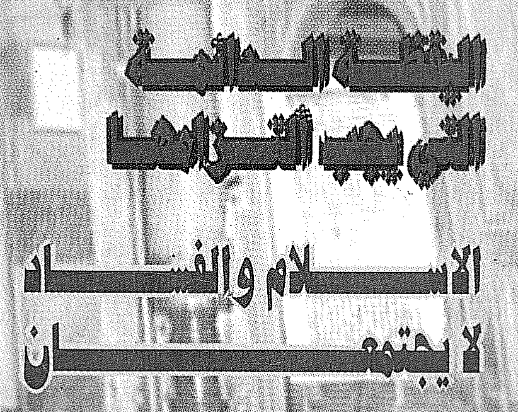
مساجد دمشق القديمة

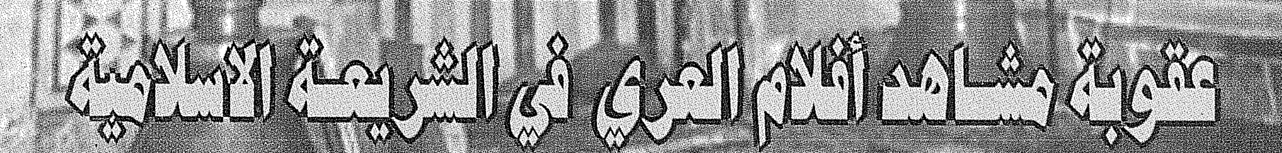


الدكتور القرضاوي: يجب أن يكون للمسلمين فقه معاصر

اليقظة الدائمة التي يجب التزامها

الإسلام والفساد لا يجتمعان





قريباً جداً

وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية

مجموعة الفتاوى الشرعية

١٤١٦ هـ

الصادرة عن قطاع الافتاء والبحوث الشرعية

الجزء الاول

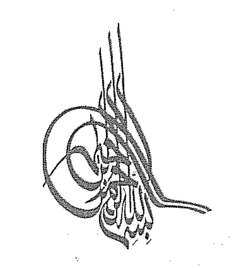
المقدمات - العقائد - العبادات - المعاملات

(١٣٩٧ - ١٤٠٥ هـ) (١٩٧٧ - ١٩٨٤ م)

تصدر الإدارة العامة للافتاء والبحوث الشرعية خلال الاسابيع القادمة - ان شاء الله الجزء الأول من سلسلة «مجموعة الفتاوي الشرعية» وهي الفتاوي التي اصدرتها اللجان الشرعية المكونة من كبار العلماء في الكويت في وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية.

ويتضمن الجزء الاول الفتاوي المتعلقة بالعقائد والعبادات والمعاملات التي صدرت ما بين عامي ١٣٩٧ - ١٤٠٥ هـ (١٩٧٧ - ١٩٨٤ م) اضافة الى مقدمتين مستفيضتين الأولى في تطور ادارة الافتاء منذ بدايتها حتى اليوم والتشكيلات التي تمت في لجانها المتعددة من لجان تبحث في الامور العامة او في الاحوال الشخصية أو هيئة الفتوى والثاني في التعريف بمعنى الفتوى وشروطها والمفتين والمستفتين.

وستصدر الادارة العامة للافتاء والبحوث الشرعية سلسلة تتضمن فتاوي لجان الافتاء وذلك ضمن خطة التسلسل الزمني واهمية الاسئلة والمحافظة على خصوصيتها المستفتين وتجنب المسائل الحساسة لتكون هذه الفتاوى منارا للسائلين ومرجعا للحائرين.



الوعي الإسلامي

AIWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٦٦ – السنة الثانية والثلاثون – صفر ١٤١٧هـ – يوليو ١٩٩٦م

المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

هاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥) داخلي (١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:

شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت: ٤٨١٦٨٨٤/٥ - ٤٨٣٥٠٤٧

كلمة العدد

الوعي الإسلامي ومنطلقات التغيير

يعتمد الاعلام المعاصر بكافة وسائله وأدواته على عنصر التجديد والتغيير والابتكار والابداع في المادة والأخراج والوسيلة حتى يستطيع التأثير والنفاذ في عقول القراء والمشاهدين ويصوغ رؤاهم ويكون لديهم قناعات ثابتة وراسخة تجاه كافة قضايا العصر ومشكلاته.

هذه حقيقة باتت واضحة للجميع ومن هنا فان الوعي الاسلامي وهي في بداية عامها الهجري الجديد تسعى جادة إلى احداث نقله نوعية تواكب من خلالها كافة المستجدات في عصر الاعلام والمعلومات لتقديم رؤية واضحة ودقيقة لطريق المستقبل لأمة الإسلام.

إنَّ كتابنا الأفاضل هم سند رئيسي لنا في احداث هذا التغيير من خلال تطوير نمط كتاباتهم ومعالجاتهم لقضايا الفكر والثقافة واعتماد الفكر العصري المتفتح الذي يعكس نبض الأمة ويترجم آمالها وآلامها بعيداً عن التحجر والجمود والتقوقع ويكون له وجوده ووزنه في عالم الحاضر والمستقبل، يتعامل مع متطلبات التغيير بالتحدي الايجابي الحضاري الفاعل ويستنفر كافة الطاقات المعطلة ليوجهها لصالح الأمة والانسانية جمعاء انطلاقا من الثوابت الأساسية لمبادىء ديننا الإسلامي الحنيف والله من وراء القصد.

الوعي الاسلامي

طبع في مطابع دار السياسة

الاشتراكات

داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ــ للمؤسسات ١٠ دنانير ــ
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للافراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ــ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(او مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

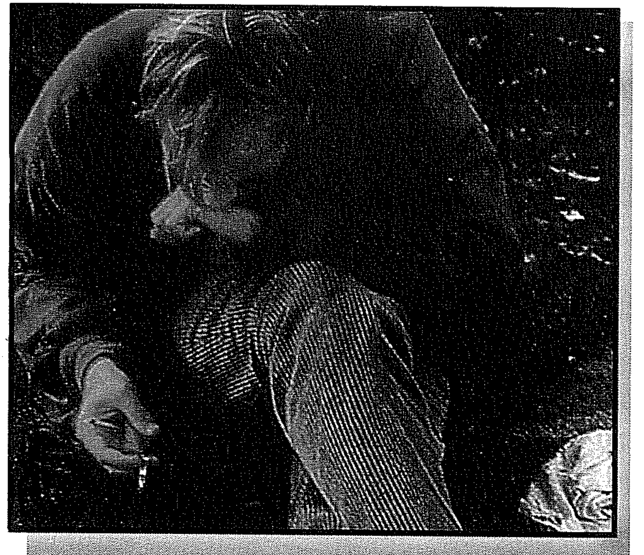
الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع جنيه مصري واحد ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٦ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ــ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

في هذا العدد

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh



الإسلام والفساد لايجتمعان

الاسلام حارب الفساد بكل اشكاله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية والثقافية ولاشك ان سلاحه في هذه الحرب التقوى والعمل الصالح

اقرأ في الأعداد القادمة



حوار مع المستشار الهاشمي ـ عضو مؤتمر العالم الاسلامي حول الواقع الاسلامي وتحديات العصر
امين النجدي

شعوب عطشى للإسلام

في أعقاب تفكك الاتحاد السوفياتي ظهرت إلى حيز الوجود بعد عشرات السنين من الكبت والحرمان دول اسلامية بعضها مستقلة وبعضها الآخر يتمتع بالحكم الذاتي ضمن جمهورية روسيا الاتحادية كمنطقة الإديغا والشركس.. ما وضع الاسلام في قلوب الناس في هذه المنطقة

١٥

مجلس الامة اقر قانون منع الاختلاط

في بادرة طيبة من اجل المحافظة على القيم والاخلاق الاسلامية في المجتمع اقر مجلس الامة الكويتي قانون منع الاختلاط بين الجنسين في الجامعة والمعاهد والمدارس الخاصة

١٠

ابن باديس رجل لن تنساه ذاكرة الجزائر

مازالت ذكرى الشيخ ابن باديس حية في قلوب الجماهير المسلمة ومازالت مؤلفاته تنير الطريق لكل العاملين للاسلام من اجل بناء المجتمع والنهوض به.

٧٨

توثيق الديون في الشريعة الإسلامية

معرفة طرق توثيق الديون في الشريعة الاسلامية من اهم الامور التي يحتاج اليها الناس في مداينـاتهم ومعاملاتهم المالية من اجل ان يحفظ صاحب الدين حقه ويتمكن من بلوغه والحصول عليه.

٥٢



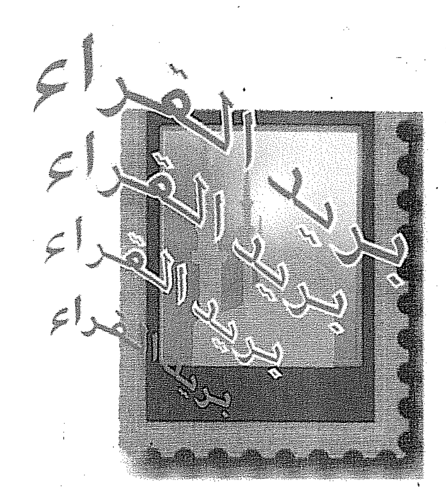
عقوبة مشاهد افلام العري في الشريعة

الاقمار الصناعية بما تبثه اليوم من أفلام فاضحة تستهدف إفساد الأخلاق في المجتمعات الاسلامية ولاشك ان أنسب حل للتصدي لتلك القاهرة هو اللجوء الى المنهج الاسلامي من منظور سياسة التجريم والعقاب في شريعة الله



١٢

الفهرس



تـرحب الـوعي الاسـلامي برسائل القراء وتنشر منهـا مايتـوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقـوق الاخـريـن وحريـة الرأي. وتحتفـظ المجلـة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

دعوة النبي محمد ﷺ

كان لكل نبي من أنبياء الله دعوة مستجابة، فدعا كل منهم دعوته، عدا النبي محمد صلى الله عليه وسلم أراد أن يخبىء دعوته يشفع بها لأمته يوم القيامة.

فذات يوم كـان الصحابة-رضي الله عنهم- في دعوة، وكـان صلى الله عليه وسلم يجلس بينهم ،فقـدمت اليـه ذراع شـاة وكـانت تعجبـه فأخـذ منهـا قطعـة ثم رفع رأسـه وقـال لاصحابـه:« أنا سيد النـاس يوم القيامـة هل تدرون بمن يجمع اللـه الأولين والآخرين في صعيـد واحد، فيبصرهم النـاظر، ويسمعهم الـداعي، وتـدنو منهم الشمس فيقـول بعض الناس:ألاتـرون إلى ماأنتم فيه إلى مابلغكم؟ألا تنظـرون إلى من يشفع لكم الى ربكم؟ فيقول بعض الناس:أبوكم آدم فيأتونه فيقولـون:يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألاترى مانحن فيـه ومابلغنـا؟ فيقول: ربي غضب غضبـاً لم يغضب قبله مثلـه، ولم يغضب بعده مثلـه، ونهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي، اذهبـوا الى غيري،اذهبوا الى نوح، فيأتون نـوحاً فيقولـون: يانـوح أنت أول الرسـل الى أهل الارض، وسماك الله عبـداً شكوراً، مـاترى إلى مانحن فيه؟ألا تـرى إلى مابلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟فيقـول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلـه مثلـه، ولايغضب بعـده مثله، نفسي نفسي إئتـو النبي صـلى اللـه عليـه وسلم فيأتوني، فأسجد تحت العرش فيقال: يامحمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه».

شعبان مصطفى ابراهيم

غياب القدوة وافتقاد القيادة

إن من اخطر الامور التي تواجـه شبابنا المسلم اليوم هو غياب القـدوه وافتقاد القيادة القادرة على ترشيد الشباب وإدراك حاجاته واستيعاب تطلعـاته واغتنام تضحياته ووضعها في مصلحة الاسلام والمسلمين. ان التضحيات التي يقـدمها الشباب المسلم تكاد تفـوق الوصف والتصور، لقد كـان عطاؤه بـلا حدود، لكنه يصـاب في النهايـة بالاحباط وخيبـة الامل فيمن حولـه فلاهم قـادرون على تقديم تضحيـات مثيلـه، ولاهم قـادرون على وضـع تضحيات في المكـان المنـاسب فالشباب اليـوم يعاني من ازمة قيادة وازمـة قدوة. ان غياب القدوة وعجـز القيادة هما السببان الاساسيـان لانحراف الشبـاب. ان تثقيف الشباب وجذبـه عن طريق اجهـزة الاعلام المسموعة والمرئية والمقـروءة من ابسط واجبات رعايـة الشباب حتى يتربى الشباب المسلم على المسـؤولية نحو الاسرة والمجتمع.

حسن اللبنان/ مصر

استفسار

أحيطكم علماً بأنني قد قرأت الحوار الذي أجراه الاستاذ وحيـد تاجا، مع الدكتور« فاروق عبد الحق»« روبرت كـراين سابقاً» وذلك في العدد ٣٦٢ شـوال ١٤١٦هـ وقد أعجبت بهذه الشخصية وذلك لفهمه العميق لـلإسلام، وأتمنى أن يصلني عنوانه للمـراسلات، حيث إنه ليس مكتوباً مع الحوار، وكذلك هل يكتب اسمه الدكتـور فاروق أم روبرت كراين، ومامدى معرفته باللغة العربية.

الدكتور/ نبيل الشافعي محمد - مصر

الوعي الإسـلامي

للاجـابة على استفساراتكم يمكنكم مراسلـة الأخ الذي اجرى الحوار مع الدكتـور فاروق على عنوانه التالي: دمشق - ص.ب ٢٥٦٢- سوريا - وحيد تاجا

«سر تقدم الأمة الإسلامية»

لم يعرف التاريخ حضارة اكتسبت الخلود المقترن بالشباب المتجدد غير الحضارة الإسلامية، فالحضارة الإسلامية كانت هي العامل القوي في إيقاظ أوروبا من سباتها وخروجها من ظلمات العصور الوسطى.

ومن المسلم به أن العرب عندما اندفعوا من شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي ليضعوا أساس دولتهم العظيمة لم يكن لديهم عندئذ تراث حضاري في ميادين الفلسفة والعلوم التجريدية والرياضيات- ولكن كان عندهم ماهو أهم، وهو قوة الإيمان بالله عز وجل، وقدرة التعلم والإفادة من غيرهم.

لقد كانت الأمة قبل ذلك يخيم عليها الجهل والضلال فلما جاء الإسلام ارتفعت مرة واحدة فقضت على الجهل والضلال والتباعد والتباغض والمعاداة- حتى حلقت في سماء العز والرفعة والمكانة السامية- وأخضعت لسلطانها مئات الملايين من البشر وقبضت على نواصي القياصرة والأكاسرة وطرقت أبواب العلوم وفتحت كل الأبواب المغلقة، فهنا يدور سؤال وهو بم حصل العرب على كل ذلك؟ ومالسر في تقدمهم؟ والإجابة هي: إن سر تقدمهم أنهم كانوا مسالمين فلم يكونوا على تلك المزايا التي حصلوا عليها إلا لأنهم لم يقهروا ولم يكرهوا احداً على ترك دينه- ولم يرغموا احداً على اعتناق الإسلام واتبعوا السياسة التي نص عليها الله في كتابه العزيز وهي: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ البقرة آية ٢٥٦.

محمد خيري ابو ربيع- مصر

كيف تتحقق النهضة؟

إن تأصيل مشروع النهضة وانبثاقه من ذاتية الأمة وشخصيتها الخاصة مسألة تسمو الى مستوى الأولوية في اعتقادي، وان تعثر هذه النهضة وتأخرها راجع الى القطيعة التي وقعت بين القيم الدينية، والفكرية للمجتمع العربي، والإسلامي وبين التركيبة الاجتماعية لهذا الأخير بحيث انه تأثر بقيم ومبادىء غريبة عنه وعن بيئته وبعيدة كل البعد عن دينه وتراثه. وبما ان هذا المجتمع أي المجتمع العربي الإسلامي عانى من ويلات الاستعمار فأضحى مغلوباً على أمره مما جعله يتقبل كل مايطرح على مائدته من أفكار وطروحات يعتقد انها قادرة على النهوض به خاصة وان مايميز هذه الطروحات انها حققت نجاحاً نسبياً في بيئتها ومحيطها، مما جعل الإنسان العربي المسلم ينبهر ويميل للأخذ بها.

إلا أن هذا الإنسان اغفل اهم عنصر ألا وهو أن النهضة لايمكن ان تتحقق بغير قيم وأخلاق وأنها لاتتحقق بمجرد القيام بعملية استرداد لطروحات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية جاهزة. يجب على مشاريع النهضة العربية الإسلامية ان تدرك جيداً انه لايمكن الارتقاء والنهوض دون إدخال الدين الإسلامي في موقع متميز في المعادلة الحضارية الراهنة موقع التوجيه والتأثير الفعلي لاموقع الديكور والواجهة.

وعلى الإنسان والمجتمع العربي الاسلامي ان لاينساق وراء المذاهب والمبادىء الغربية لأن وراء ذلك إقفال لباب النهضة.

حسن آيت الحاج احمد -المغرب

تصحيحات لغوية

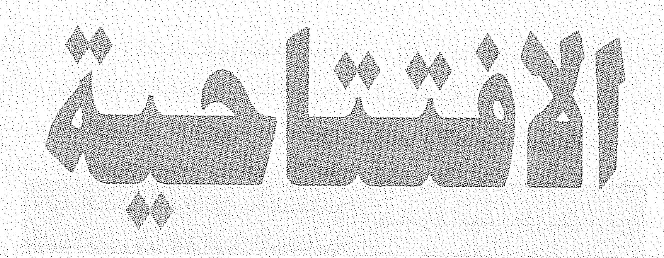
يسعدني أن أبعث إليكم بهذه الرسالة راجيا ان تصلكم وأنتم ومن حولكم على خير ماأتمناه للجميع كما يسعدني ان ابعث لكم معها كلمة تحت عنوان«مهمة تدريس القانون في كليات الشريعة» واطمع ان تكون جديرة بالنشر على صفحات الوعي الغراء..

لقد نشر لي في العدد ٣٥٨ من الوعي دراسة حول مانشر في العدد ٣٤٦ بعنوان« حوار مراجعة حول المصلحة العامة في مذهب الإمام مالك» وقد وقعت في هذه الدراسة بعض الأخطاء المطبعية، ورأيت انه من الأولى ان يشار الى هذه الاخطاء، أو لعل الظروف تسمح بنشرها.

الصفحة	العمود	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤	٢	٢٦	والتقبيح العقليين	والتقبيح العقليان
٢٤	٢	٣٠	لايعرف	لايعرب
٢٤	٣	٣٢	بناء صفات	بناء على صفات
٢٤	٣	٤٦	صفتان ذاتيتان	صفتين ذاتيتين
٢٦	١	٩	فيها الاستحان	فيها القول بالاستحسان
٢٦	٢	٦	يرجع	يرجح
٢٧	١	١٤	وشروط تمنع	وشروطا تمنع

أكرر لكم أطيب تحياتي وأصدق مودتي سائلا الله ان يسدد خطاكم على طريق خدمة الإسلام والمسلمين في عصر تداعت على هذا الدين والمؤمنين كل الذئاب من كل مكان، والله المستعان.

أ.د. محمد الدسوقي
كلية الشريعة - جامعة قطر



منذ أربعة عشر قرنا، وإلى يوم الناس هذا، وحتى أيامهم المقبلة، وإلى أن تقوم الساعة والقرآن يخاطب القرون، ويحاور الأمم بحوار مفتوح، ويهدي الى الله عالما متراحب الأبعاد، وخلائق وافرة الأعداد.

يدعوهم إلى دعوة الحق، وهي أول دعوة في تاريخ الانسان تقرر له حقوقا لم تصل اليها دعوة أخرى حتى الآن، ومازالت هذه الحقوق مجرد أمان وأحلام تداعب خيال المفكرين، وتراود المثقفين ورجال التشريع.

واذا كانت تعتبر مجرد أمان عند المشرعين، فإنها حقائق ونظم وأوامر أعلنها القرآن الكريم.

والفرق بينه، وبين أي اعلان آخر من حقوق الانسان هو فارق المصدرين.. السماء والارض.. الخالق والعبد.

بل ان القرآن قد انفرد بحق لم تدع اليه التشريعات حتى الآن، وهو عدم تكليف الانسان مالايطيق، أيا كان هذا التكليف وفي أي قطاع كان، وسواء أكان بدنيا، أم عقليا، أو ماديا، أو أدبيا.

﴿لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت﴾البقرة/ ٢٨٦.

واستطاع القرآن منذ نداءاته المتتالية، وهديه المتصل أن يحقق تغييرات في مجتمع الجزيرة العربية، تشمل شتى ميادين الحياة السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

واخذ في ذلك كله بالمبادىء التربوية، فكان هناك التدرج في التشريع، وكان هناك التكرار للتأكيد، وكان هناك استخدام المنطق الفكري في تحقيق المصلحة العامة. كان ذلك كله ليكون التغيير عن اقتناع، وعن ادراك للمصلحة في الحياتين الدنيا والآخرة.

لقد دعت آياته الناس الى نهضة فكرية.. عقائدية... اجتماعية... فاستجاب الناس اليها وآمنوا بما تدعو اليه.

آمنوا بأن هذه المبادىء التي تدعو إليها هي الوسيلة الوحيدة لتحسين الأحوال وتجديد بناء المجتمع، فاقبلوا عليها راضين مقتنعين حتى غيرت حياتهم نحو الأفضل.

ان التغييرات الجذرية التي احدثها القرآن خارج الجزيرة العربية كانت أقوى تأثيرا، واكثر عمقاً، وأبعد نفوذا من تلك التي أحدثها في أرض الجزيرة ، لقد فعل القرآن الكثير، في أمم عريقة، ذات حضارات عظمية لها آثارها في المحيط الانساني.

فعل كل ذلك لتكون أمة الإسلام خير أمة اخرجت للناس.

وان المتأمل لواقعنا الإسلامي اليوم لتدمع عيونه.

كيف كنا؟ وكيف أصبحنا؟

تركنا مبادىء الاسلام التي ثبت نجاحها خلال القرون التي مضت، وركضنا نلهث وراء المبادىء الوضعية الواردة الينا من وراء البحار والمحيطات.

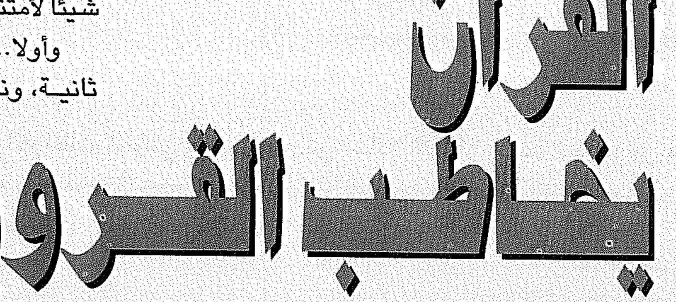
أو ليست هذه عين النكبة التي أصابتنا ونالت الكثير؟!

لابد أن نعترف بأننا نعيش أزمة كبرى في التعامل مع مفهوم الاسلام الآن، نشأت أساسا عن البعد عنه، أو حصاره، أو القصور في استيعابه وتحصيله.

النقلة هذه كيف نعالجها؟

اننا من صميم قلوبنا نريد العودة ونتمنى أن نفعل شيئاً لأمتنا.

وأولا.... وقبل كل شيء نتمنى جمع شمل هذه الأمة مرة ثانية، ونجعل منها - كما كانت- أمة قوية تسعى لخير



الانسانية، وتقودها الى حياة افضل.

وإن هذا لن يتحقق لنا الا على ذلك الاساس الذي اعتمد عليه القرآن من قبل، وهو الاساس العلمي فعلينا – اذن – ان نعيد الكرة، وان نعتمد على العلم في بناء المجتمع من جديد.

ثم علينا أن نصغي الى نداء القرآن، ونقترب منه، لنتعرف منه على منهجه الذي حقق به كل هذه التغييرات السابقة، ولنستعين به فيما نرسم اليوم من تخطيط لتغييرات نحدثها في المجتمع، لتكون لنا اصالتنا فيما نفعل، وليكون مستقبلنا نابعا من حاضرنا، وضاربا جذوره في ماضينا، وليكون تاريخنا الاجتماعي– حقا– موصول الحلقات.

ثم علينا ان ندرك قيمة هذه الوسائل التي اعتمد عليها القرآن لنكون على بينة من أمرنا.

علينا ان نعرف الهدف الذي كان القرآن يسعى الى تحقيقه من خلال هذه التغييرات.

انه– بلاشك– كان يسعى الى احداث التجديد في الآراء، وفي نظم الحياة وقوانينها، وفي الأنماط السلوكية، لتصبح كلها صالحة لتحقيق السعادة للانسان في الدنياو الآخرة.

ونحن لانستهدف اليوم اكثر من تحقيق تلك السعادة ولانأمل الا في حياة افضل يتحقق فيها الرخاء عن طريق الكفاية الانتاجية، والعدالة الاجتماعية.

ووسيلتنا الى تحقيق ذلك كله افكار جديدة قادرة على ان تبعث فينا القوة.

لقد كان الخطاب القرآني واضحاً وصريحاً حينما حرص على ان يحدد للمسلمين في معاملاتهم «ماذا عليهم أن يفعلوه» وترك لهم مطلق الحرية في الاجابة على السؤال.

كيف يتعين ان يفعلوا ماهو منوط بهم؟

فهل فعل المسلمون اليوم كما فعل المسلمون من قبل؟.

أفلا نتدبر أمرنا ونحاول علاجه؟!.. ام أننا قد اصبحنا من العجز لدرجة أننا قد فقدنا الأمل، فأغلقناعيوننا ومسامعنا، ولم نحاول مجرد التأمل والتفكر في حالنا؟!

الى متى نستغرق في نومنا، والقرآن من حولنا يخاطبنا:

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ محمد/ ٢٤.

ومع ذلك.. ورغم كل هذا فما زالت أمامنا الفرص إن أردنا.

والأمل معقود على رجال الفكر والرأي، وحملة الأقلام المخلصة.

وَمَنْ غيرهم يغرس في النفوس مبادىء جديدة تصحح المسار لمن وقعوا فريسة لكل عدوله.

فيا أصحاب الفكر والرأي وحملة الأقلام الشريفة تعالوا نتعاون معاً ونتكاتف لننير الطريق أمام جماهير المسلمين، ونعينهم على فهمهم لدينهم بأفكار واجتهادات تنبع من الرؤية الأساسية التي يمنحها للفرد المسلم ايمانه بالله ورسوله وبمبادىء الاسلام، وقيمه العليا، وتعاليمه السامية.

ورب سائل يسأل عما اذا كان الاسلام يستطيع توليد أفكار جديدة؟

ويجيب على ذلك القرآن بنفسه لأننا حينما نسمع الآية منه لاتلبث حتى تذكرنا بآية اخرى مماثلة لها، ثم تورد الآية الثانية في خواطرنا آيات اخرى كثيرات، واذا نحن آخر الأمر أمام قضية كاملة، كونت هذه الآيات كل عناصرها، وقالت فيها قولا بليغا.

اذن... ففي الاسلام كل استعداد داخلي لأي اجتهاد جديد يسير على نهجه، ولايتعارض مع مبادئه.

والصعوبة لا تكمن في انعدام الوسائل، وانما في انعدام استخدامها.

واذا مااردنا استخدامها حقا، لم نفعل اكثر من ان نتجه الى القرآن رأسا. ونجعله المصدر الأول الذي نتلمس منه القيم الانسانية التي تساهم في وجود الحلول المناسبة لمشكلات حياتنا المعاصرة.

فآياته الكريمة تحتوي على جميع المقومات اللازمة للنهوض المهم أن نبدأ ونخطو خطوات جادة وعملية نقوم من خلالها بغربلة دقيقة تفرز الزائف من الحق بعيداً عن الخدع والاوهام.

أليس الربان الماهر هو الذي ينجو بالسفينة بعيداً عن الأعاصير؟

مجلس الأمة أقر قانون منع الأختلاط بين الجنسين في الجامعة والمعاهد والمدارس الخاصة

أقـر مجلس الأمـة في جلستـه الاعتيادية يوم ١٠ محرم ١٤١٧ هـ الموافق ٢٨/٥/١٩٩٦م مشروعا بقـانون يمنـع الاختلاط بين الجنسين لطلبة كل من جامعة الكـويت بمختلف معـاهـد التعليم العـالي والكليـات التي تضمهـا- والهيئـة العامـة للتعليم التطبيقي والتـدريب في الفصـول الدراسيـة وفي جميع المرافق التابعـة والمكملة لها أو المتصلـة بها وفي المدارس الخاصة.

وجـاءت مـوافقـة المجلس على القانون المذكور في مداولتيه الأولى والثـانيـة بموافقـة ٣٣ عضـوا و امتنـاع تسعـة اعضـاء من أصل الحضور البالغ ٤٤ عضوا.

ونصت المادة الثـانيـة من القانون بأن يتم استكمال الفصل التـام بين الجنسين خـلال مـدة لاتتجاوز خمس سنوات من تاريخ العمل بالقـانون فيما نصت المادة الثالثـة على ان يقدم وزيـر التربية ووزير التعليم العـالي لمجلس الأمة تقـريـرا كل ستـة أشهـر يتضمن بيانا للخطوات التنفيذية.

وكان اقتراح قدم مـن الحكومة قـد سقط ولم يحظ على الأصـوات الكافية كما لم تتمكن الحكومة من اقنـاع المجلس بتأجيل النظـر في القانون.

وفيما يلي نص القانون:

–مـادة أولى: يمنع الاختـلاط بين الجنسين من طلبـة كـل من جـامعة الكـويت بمختلف معاهـد التعليم العـالي والكليـات التي تضمهـا والهيئـة الهامـة للتعليم التطبيقي والتـدريب في الفصـول الـدراسيـة وفي جميع المرافق التابعـة أو المكلمة لها أو المتصلـة بها وفي المدارس الخاصة.

– مـادة ثانيـة: يتم استكمال الفصل التـام بين الجنسين خلال مدة لاتجاوز خمس سنـوات من تاريخ العمل بهذا القانون على أن يبـدأ في اتخاذ الاجراءات واعـداد الترتيبات اللازمة له تدريجيا.

– مـادة ثـالثة: يقـدم وزيـر التربيـة ووزيـر التعليم العـالي لمجلس الأمـة كل ستـة أشهـر تقريـراً متضمنا بيانـا للخطوات التنفيـذيـة التي تمت تطبيقـا لأحكام هذا القانون.

– مـادة رابعـة: على الـوزراء كل فيما يخصه، تنفيذ أحكام هذا القـانـون ويعمل بـه من تـاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

المذكرة الإيضاحية للاقتراح بقانون منع الاختلاط

– تنص المادة الثـانيـة من الـدستـور على ان ديـن الـدولـة الاسـلام والشريعة الاسلامية مصـدر رئيسي للتشريع، كما تنص المادة (٤٩) منـه على ان مـراعـاة النظـام العـام واحترام الآداب العـامـة واجب على جميع سكان الكويت.

وقـد عـرف عـن المجتمع الكويتي حرصه على المحافظة على التقاليد كما لوحظ ان الكثير من الأسر الكويتية تجد حـرجاً كبيراً في تعليم بنـاتها في مـدارس ومعـاهـد وكليات مختلطـة تجمع الجنسين في قـاعـات الـدروس والمحـاضرات والمكتبات وسـائر المرافق التعليمية. ولعلـه لمثل هـذه الاسبـاب حـدت بعض الـدول الى تخصيص معاهـد خاصة للطـالبات، ولاتشذ عن ذلك اكثر دول العالم تقـدما في المجالات العلميـة. من اجل مـاتقـدم، اعـد مشروع هذا القانون ناصا في مادته الاولى على منـع الاختـلاط بين الجنسين في كل من جامعة الكويت، والهيئـة العـامـة للتعليم التطبيقي والتدريب، وذلك في فصول الدراسة وفي جميع المرافق التابعـة أوالمكملة لها أو المتصلـة بها وعلى ان يتم استكمال الفصـل النهـائي بين الجنسين. على مـاتقضي بـه المادة الثـانيـة من المشروع خـلال فترة زمنية كافية حددت بخمس سنوات من تاريخ العمل بـالقانون لإتـاحة فسحة من الـوقت للقائمين بـالامر لاتخاذ الاجراءات واعداد الترتيبات اللازمـة للانتهاء منه، واستحثـاثا لهؤلاء على تنفيـذ احكـام هـذا القانون، وحرصا على متابعة ما يتم في شأنـه أولا بـأول نصت المادة الثـالثـة من المشروع على ان يقـدم وزير التربية ووزيـر التعليم العالي لمجلس الامة كل ستة اشهـر تقريراً متضمنـا مـاأنجـزتـه الـوزارة من أعمال خلالها. وتأكيدا لجدية تنفيذ هـذا القانـون نصت المادة الرابعـة منه على أن يعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

بيت الزكاة يصدر تقريره السنوي لعام ١٩٩٥

جهود مميزة لخدمة فريضة الزكاة وتسهيل جمعها
عناية مكثفة بالأسر المحتاجة والمتعففة داخل الكويت

اصدرت ادارة العلاقات العامة والاعلام في بيت الزكاة التقرير السنوي لبيت الزكاة لعام ١٩٩٥ الذي يتضمن اعمال ومنجزات البيت على مستوى الداخل والخارج واجمالي الايرادات والنفقات والذي استعرض استراتيجية بيت الزكاة للأعوام (١٩٩٥-٢٠٠٠) والتطوير الاداري والتقني الذي يأتي في مقدمة اهتمامات البيت وكذلك النشاط الاعلامي على مختلف وسائله والعلاقات العامة والخدمات التي يقدمها البيت للمواطنين لخدمة فريضة الزكاة في مختلف المجالات وقنوات التحصيل المتعددة التي تمكن المحسنين الكرام من أداء زكواتهم وصدقاتهم للبيت بسهولة ويسر. وقد تصدرت التقرير كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية رئيس مجلس ادارة بيت الزكاة الدكتور علي فهد الزميع استعرض من خلالها اهداف بيت الزكاة وكشف عن دوره في إحياء فريضة الزكاة وفق متطلبات العصر والمتغيرات والمستجدات الحديثة لتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي هي اساس الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والأمني في البلاد وذكر ان البيت نجح في هذا المجال نجاحا يسجل له، وقطع شوطا كبيرا للوصول الى اهدافه الاستراتيجية التي وضعها لنفسه العام الماضي واشاد كذلك بنجزاته على المستوى الخارجي وأوضح ان هذا الدور الرائد للكويت ببعده الانساني الحضاري حظي بتجاوب دولي ملحوظ حيث تم اختيار حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح حفظه الله ليكون الشخصية الخيرية العالمية للعام ١٩٩٥ في استطلاع للرأي شارك فيه خمسة ملايين شخص وذكر في هذا المجال كذلك كلا من السيد يوسف جاسم الحجي رئيس الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية ونائب رئيس مجلس ادارة بيت الزكاة السابق الذي تم تكريمه لدوره في مجال العمل الخيري. والسيد الدكتور عبد الرحمن السميط رئيس لجنة مسلمي افريقيا الذي نال جائزة الملك فيصل بن عبد العزيز في مجال العمل الخيري ووصف الدكتور الزميع هذه الشهادات بأنهاأوسمة فخر تزين صدر الكويت لتزهو بعملها الخيري الزكوي أمام العالم. واختتم السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية كلمته بتوجيه الشكر والتقدير لحضرة صاحب السمو امير البلاد المفدى الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح وسمو ولي عهده الأمين الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح حفظهما الله على رعايتهما لمسيرة الخير في هذا البلد الآمن المسالم كما توجه بالشكر والتقدير لاعضاء مجلس ادارة البيت وادارته التنفيذية وموظفيه على مابذلوه من جهد في هذا المجال ليستمر عطاء البيت وينجح في تخفيف مشاريعه الاستراتيجية. والقى التقرير الضوء على منجزات بيت الزكاة على مستوى الداخل وذكر ان البيت أنفق مبلغ (٤,١٧٢,٥٨٧) دينارا على (١٣٣٢٦) اسرة محتاجة في الكويت من بينها (٣٨٢) اسرة متعففة بالاضافة الى المبالغ الأخرى التي انفقها على المشاريع الخيرية المحلية ليصل مجموع ماانفقه في هذا المجال الى (٥,٣٨١,٤٩٩) دينارا الى جانب خدمة القروض الحسنة التي بلغت قيمتها الاجمالية ٧١١,٦٠٠ دينار كويتي استفادت منها (٣٢١) اسرة.

وفي مجال الأنشطة والمشاريع الخارجية التي يقوم بها بيت الزكاة تجسيداً لمشاعر الأخوة الاسلامية بين ابناء الشعب الكويتي والمسلمين في العالم وتوجيها للجهود الكويتية للمساهمة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات الاسلامية وابرازاً لوجه الكويت الحضاري المشرق ذكر التقرير ان البيت انفق مبلغ ٣,٦٢٠,٨٢٤ دينارا في هذا المجال الذي يشمل العديد من المشاريع الخيرية منها مشروع كافل اليتيم وطالب العلم والمشاريع الخيرية الاخرى والاغاثة وولائم الافطار والأضاحي ودعم الهيئات الخيرية الإسلامية.

ويقوم بيت الزكاة بالانفاق على هذه المشاريع من خلال تبرعات المحسنين المشروطة ويكون البيت في هذه الحالة وكيلا عنهم في متابعة عملية التنفيذ أما اموال الزكاة التي يتم جمعها فتصرف كلها بالكامل داخل الكويت. واستعرض التقرير استراتيجية بيت الزكاة للأعوام (١٩٩٥-٢٠٠٠) والقى الضوء على العديد من المشاريع الهامة التي تضمنتها لدفع مسيرة البيت الى الامام والرقي في مستوى الخدمات والمشاريع التي يقدمها البيت على مستوى الداخل والخارج وتناول التقرير كذلك خطط البيت في التطوير الاداري والتقني والتي تستهدف توظيف التقنية الحديثة ونظم المعلومات المعاصرة لتطوير العمل في بيت الزكاة وتدريب وتأهيل الطاقات البشرية لتطوير الخدمة وتميزها والقى الضوء على العديد من الخطط والاجراءات التي تم تنفيذها في هذا المجال.

وأبرز التقرير الخدمات العديدة التي يقدمها بيت الزكاة للسادة المواطنين وكذلك قنوات التحصيل التي يتم من خلالها استلام زكوات وصدقات المحسنين وتشمل صالة المتبرعين التي تم افتتاحها العام ١٩٩٥ في مقر البيت الرئيسي بالسالمية وفروع بيت الزكاة في مناطق الكويت المختلفة وصناديق جمع التبرعات في مساجد الكويت وصندوق الخدمة المستمرة في مقر بيت الزكاة ومندوبي التحصيل.

وتحدث التقرير عن الجهود المبذولة في مجال الاعلام والتوعية بهدف إحياء فريضة الزكاة والتوعية بأحكامها الشرعية وكيفية اخراجها والآثار الاجتماعية والاقتصادية المترتبة عليها وتطرق في هذا المجال الى الأنشطة الاعلامية والمتميزة والمختلفة التي يقوم بها بيت الزكاة من خلال ادارة العلاقات العامة والاعلام ومكتب الشؤون الشرعية وتناول جهود بيت الزكاة في خدمة هذه الفريضة العظيمة من خلال مؤتمر الزكاة الرابع الذي عقد في السنغال والندوة الخامسة لقضايا الزكاة المعاصرة التي عقدت في لبنان.

عقوبة مشاهد أفلام العري في الشريعة الإسلامية

لاشك أن الفن رسالة سامية، وهدف تسعى إليه كل أمة في سبيل تربية أبنائها، وتنشئتهم النشأة القويمة القائمة على الدين والخلق. والفن بأنواعه العديدة معظمه أداء وعمل وإنتاج، والأصل في الفن أنه دعوة للرقي والتقدم. لكن موطن الخطورة يكمن في ارتياد بعض المحارم من خلال العروض المرئية الشاذة.

فأفلام العري بعد أن كان التحصل عليها صعب المنال، لتعرض فيما بعد داخل أماكن خاصة،أصبحت اليوم في متناول الجميع، وذلك من خلال الطبق الهوائي (الدش)، وهو جهاز يستقبل ما تبثه الأقمار الصناعية، وليتسع مجال العروض أمام مشاهدي التلفاز الذي لا تخلو منه البيوت. وغني عن الذكر أن أعداء المسلمين المتربصين بأمة محمد (ﷺ) وجدوا سبيلاً ميسوراً لإفساد أخلاق شباب المسلمين، وذلك ببث برامج تعرض ما لذ وطاب من الفواحش الفاضحة، وليصبح من المؤكد أن هناك مخططا مدروسا يستهدف القضاء على الصحوة الإسلامية المعاصرة.

ومع تعدد الحلول التي تضعها البلدان الإسلامية في سبيل التصدي لتلك الظاهرة، يتضح أن أنسب حل هو اللجوء إلى ما ارتآه الشارع سبحانه وتعالى ومنهجه المحدد سلفاً لوقاية المجتمع الإسلامي. ويكون من الأوقع والأدق أن نلقي الضوء على هذه

بقلم د: رضا عبدالحكيم

المشكلة من منظور سياسة التجريم والعقاب في شريعة الله، ولعله من الأنسب أن يكون مدخلنا جريمة الزنا، ثم نتناول جرائم النظر إلى المحارم.

النموذج الشرعي لجريمة الزنا

الزنا عند الامام أبي حنيفة.. بالنسبة للرجل، الوطء المحرم في قبل المرأة الحية، وطئاً عارياً عن الملك والنكاح والشبهة... وبالنسبة للمرأة أن تمكن الرجل من مثل هذا الفعل. ويضيف الشافعي وابن حنبل إلى ذلك الاتيان في الدبر. والزنا جريمة (حدية)، العقوبة فيها تجب حقاً خالصاً لله تعالى حددها الشارع مقدماً، فلا يملك ولي الأمر ألا أن ينزلها بالمذنب كما هي دون نقصان أو زيادة، كما أنها لا تقبل النزول عنها مادام لا حق للأفراد فيها.

وجريمة الزنا شأنها شأن جرائم الحدود التي حصرها فقهاء الشريعة في مصادرها الشرعية إما بالنص القرآني وإما بالسنة(١). ويختلف حد الزنا تبعاً لما إذا كان الجاني محصناً أو غير محصن. فعقاب الأخيرمائة جلدة لقوله تعالى في كتابه العزيز ﴿والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ [النور/٢]. وأما المحصن فعقابه الرجم أي الاعدام رمياً بالحجارة عملا بالسنة، ولشدة تلك العقوبة أحاط الشرع توقيعها بشروط لازمة في

الإحصان، هي على التحديد العقل والبلوغ والحرية والاسلام، وهذه شروط من شأنها ولاشك أن تضيق كثيراً من دائرة الحالات التي تستوجب توقيع ذلك الحد.ومن المحقق أن مبدأ درء الحدود بالشبهات تقرر في أول أمره لهذه الحالة بالذات، وذلك بالحديث الشريف: «ادرءوا الحدود بالشبهات» وفي رواية أخرى قوله«ادرءوا الحدود عن المسلم، ما استطعتم، فان كان له مخرج فخلوا سبيله، فلأن يخطىءالامام في العفوخير من أن يخطىء في العقوبة» وهذا الحديث الشريف هو بلا ريب مصدر القاعدة القانونية المقررة في التشريع الحديث، والتي تقضي بتأويل الشك أي الشبهة لصالح المتهم (٢).

وغني عن القول ـ والتزاماً بأحكام الشرع ـ أنه لا يجوز توقيع العقوبة الحدية إلا إذا توافرت في جريمة الزنا شروطها الجامعة.

الحكم الشرعي في نظر المحارم:

من الثابت المحقق أن الآيات القرآنية قد سجلت كل أصول نظرية المسئولية الجنائية قبل أن ينادي بها فلاسفة القرن الثامن عشر في أوروبا باثني عشر قرنا، والتشريع الجنائي الاسلامي يقوم على تقسيم ثلاثي لكل من الجرائم والعقوبات، روعيت فيه التفرقة ـ من ناحية ـ بين حقوق الله وحقوق العبد أي الفرد، والتفرقة من ناحية أخرى بين هذه الحقوق كلها وحقوق المجتمع.فمن الجرائم ما تنشأ عنه حقوق في العقاب خالصة لله أو يغلب فيها حق الله تعالى،وهذه

التقدم التكنولوجي للهوائيات ساعد على انتشار الفساد في المجتمع الإسلامي

أعداء الإسلام يتربصون بأمة محمد لإفساد أخلاقهم وأخلاق شبابهم المقبل وإغراقهم فيه

هي جرائم الحدود ومنها الزنا، ومنها على العكس جرائم يقتصر ضررها المباشر على أفراد الناس حيث تصيبهم الجريمة في أشخاصهم أي في حياتهم أو أبدانهم، ومن ثم فإن العقاب عليها يتعلق بحق العباد سواء بصفة مطلقة أو بنسبة غالبة تبعاً لما إذا كان الضرر فردياً خالصاً أو تغلب عليه هذه الصفة، وهذه جرائم القصاص والدية. ومن الجرائم أخيرا ما لا صلة له في الأصل بحقوق الله أو حقوق الأفراد، وإنما هي جرائم فيها انتهاك للقيم الاجتماعية المتعارف عليها، أو اعتداء على أنظمة المجتمع المتغيرة في المكان والزمان، وهذه هي جرائم (التعزير)(٣)

وإذا كان النظر إلى المحارم لا يصدق عليه وصف الزنا ـ حسب تعريفه الشرعي ـ إلا أن ذلك ليس من مؤداه رفع صفة الاثم عن متعمد النظر إلى المحارم في غير ما استثنى شرعاً، إذ يكون ناظر المحارم مسئولاً عن جريمة تعزيرية، وهي التصنيف الثالث للجرائم التي أتى بها الشرع الحنيف.

الضوابط الشرعية لجريمة النظر إلى المحارم(٤):

يقول تعالى في محكم كتابه ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾ [الاسراء/٣٢] وهي توعية من مجرد الاقتراب من الزنا مثل النظرة الفاحشة والملامسة وما أشبه، قال الامام القرطبي في تفسير تلك الآية: (أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا، أن يقول لا تدنوا من الزنا) (٥)، فهو محرم من باب أولى، والأسباب المؤدية إلى الزنا عديدة، ويسجل لشريعة الله أنها وضعت لها من الآداب ما يعد وقاية منها، وفي مقدمة هذه الآداب: غض البصر، حيث قيدت الشريعة النظر إلى النساء اجتنابا لإثارة الشهوات والوقاية من الجنوح إلى الويلات، لأن النظر خائنة نفسية، ولأنه رسول الشهوة وبريد الزنا ورائد الفجور، فيقول جل علاه: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ [النور/٣٠](٦)، يقول ابن كثير (هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظرون إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم) (٧). وليس المقصود من غض البصر المنع المطلق، بل المقصود سد ذريعة الفتنة بما لا تدعو إليه حاجة ومنفعة، ولاجتناب زنى النظر بالتلذذ برؤية جمال النساء وزينتهن. والشريعة لا تمنع النظر بملء العين في كل شيء، وإنما تستهدف تقييد النظر في دائرة محدودة تحظر النظر إلى ما يحرم من النساء.

ولا يكون من زنا النظر، النظرة المفاجئة المجردة عن قصد السوء، وكما جاء بالحديث.. قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة». وفي شرح هذا الحديث يقول الشوكاني (فيه دليل على نظرة الواقع فجأة، من دون قصد ولا تعمد، فإنه لا يوجب إثم الناظر، لأن التكليف به خارج عن الاستطاعة) (٨). وقرر النووى (ومعنى نظر الفجأة، ان يقع بصره على الأجنبية من غير قصد، فلا اثم عليه في أول ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرفه في الحال، فلا إثم عليه، وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث، فإنه ـ ﷺ ـ أمره بأن يصرف بصره مع قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾.

قال الإمام الغزالي (من لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه) (٩)، لأن النظر وسيلة إلى عدم حفظ الفرج، فالنظر مقدمة للزنا، ورائد القلب كما الحمى رائد الموت. وذكر ابن القيم: ولما كان مبدأ الخطر من قبل البصر، جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج، فإن كل الحوادث مبدؤها من البصر، كما أن معظم النار مبدؤها من مستصغر الشرر. ثم تكون نظرة ثم تكون خطرة، ثم تكون خطوة ثم تكون خطيئة ولهذا قيل: من حفظ الأربعة أحرز دينه: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات.

فالنظرة أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فالنظر داعية إلى فساد القلب، والعلاج الوحيد في الوصول إلى قمة العفة والتسامي هو غض البصر عن الحرمات، والنظر سهم إلى القلب، ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك(١٠). وحفظ الفرج في تفسير ابن كثير (حفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا كما يقول تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ [المؤمنون/٥ و٦]، وتارة يكون بحفظه من النظر إليه، كما جاء في الحديث: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»(١١)

وعن توعية الإسلام من خائنة الأعين، قال تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾[غافر/١٩]، ويقول ابن عباس (هو الرجل يكون جالساً مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها، وعنه أيضاً: هو الرجل ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تلبس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، وقد علم الله ـ عز وجل ـ منه أنه يود لو نظر إلى عورتها) كما أنه قرر كذلك: (هو الرجل ينظر إلى المرأة الحسناء تمر به، أو يدخل بيتا هي فيه، فإذا فطن له غض بصره، وقد

القرآن الكريم سجل أصول نظرية المسؤولية الجنائية قبل أن ينادي بها الفلاسفة المحدثون باثني عشر قرناً من الزمن

علم الله تعالى أنه يود لو اطلع على فرجها، وأن قدر عليها زنى)(١٢).

عقوبة الناظر إلى المحارم

وضعت الشريعة الغراء نظاماً دقيقاً ـ كما ذكرنا مقدماً ــ في تصنيف الجرائم، ويردها الفقهاء إلى ثلاث طوائف: الأولى: وهي جرائم (الحدود) وتنضم إليهاجريمة الزنا إذا توافرت شروطها الجامعة، والثانية: وتسمى جرائم القصاص والدية. والقصاص شرعاً عقوبة مقدرة كالحد،ولكنها على خلافه تجب حقا للفرد،ويندرج فيها القتل العمدواصابات البدن والقتل والاصابات الخطأ والقتل شبه العمد.والطائفة الثالثة من الجرائم ويطلق عليها جرائم التعزير.

ويبدو أنه من المناسب إلقاء الضوء على طائفة جرائم التعزير وذلك بالقدر اللازم لتفهم صلة تلك الجرائم بجريمة النظر إلى المحارم، ذلك أن الأخيرة لا تندرج تحت وصف الحدود أو القصاص والدية. فالمعروف أن الشريعة الغراء لم تترك كبيرة أو صغيرة إلا وقد حسمت حلولا لها، صحيح أن نظر المحارم لا يكون زنا، ومع هذا يسأل الناظر، ومسئوليته تجد أساسها في قوله تبارك وتعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ [الإسراء/٣٦]، أي يسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل عما فكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع(١٣). وجدير بالذكر أنه تحقق ايقاع عقوبة النظر إلى المحارم على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ وقد أوقعها الله ــ سبحانه وتعالى ـ على رجل خالف مبدأ غض البصر، إذ مر رجل على عهد رسول الله (ﷺ) في طريق من طرقات المدينة، فنظر إلى امرأة ونظرت إليه، فوسوس لهما الشيطان أنه لم ينظر احدهما إلى الآخر إلا اعجاباً به، فبينما يمشي الرجل إلى جانب حائط ينظر إليها، إذ استقبله الحائط فشق أنفه. فقال: والله لا اغسل الدم حتى آتى رسول الله ﷺ فأعلمه امري، فأتاه، فقص عليه قصته فقال له النبي ﷺ هذا عقوبة ذنبك. وقد عبر النبي ﷺ عن النظر الخائن بزنا العين، لأنه قد يؤدي إلى الزنا حيث قال وزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه(١٤).

وهكذا يكون الشارع سبحانه وتعالى قد أنار الطريق أمام ولي الأمر ليعزر ناظر المحرمات، والذي ارتكب معصية وهي جريمة النظر إلى المحرم. فالشارع قرر مبدأ المسئولية بنص شرعي قطعي، مما يؤكد تجريم نظر المحارم، وفي باب العقوبة ضرب لنا ـ سبحانه ــ المثل السابق، ليصبح من حق ولي الأمر تعزير المسئول. وكأنما الله سبحانه وتعالى ـ في المثل السابق ـ قد بادر إلى توقيع العقوبة الدنيوية على عبده العاصي، تبصرة لأولي الأمر بضرورة العقاب على المعاصي التي تشكل خطراً على الدين والدولة في آن واحد، وحتى ولو لم ينص على عقوبة التصرف في النصوص الشرعية(١٥).

والتعزيز يحمل معنى التأديب والإصلاح، وهذا النظام تفردت به الشريعة الإسلامية الغراء بين كل الشرائع القديمة والوسيطة والحديثة، ويكفل للأحكام الشرعية مسايرة الأوضاع الاجتماعية المتغيرة في الزمان والمكان، وهذا يؤكد خلود الشرع الإسلامي على الدهر. فبالتعزير يمكن الوقوف ضد الرذائل والمعاصي التي فيها انتهاك للأخلاق الاجتماعية الصرف، وسواء صدرت عن الرجل أو المرأة.

وخير الختام تأمل قول المولى عزوجل: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾. سورة القصص الآية (٥٥)■

الهوامش:

(١) الأستاذ محمد أبو زهرة «الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي» ١٩٥٧، الشيخ رضوان شافعي المتعافي «الجنايات المتحدة في القانون والشريعة» ١٩٣٠.

(٢) د.علي راشد (القانون الجنائي ـ المدخل وأصول النظرية العامة) دار النهضة العربية ١٩٧٤ ــ الاستاذ محمد سلام مدكور (القضاء في الإسلام) دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٨.

(٣) د. عبدالعزيز عامر (التعزير في الشريعة الاسلامية) الطبعة الثالثة ١٩٦٧، نقلاً عن المبسوط للسرخسي، والأحكام السلطانية للماوردي، وشرح الكنز للزيلعي، وغيرهم.

(٤) يراجع: د.حسن اليك (آداب صيانة العرض) مقال بمجلة الأزهر الجزء الحادي عشر السنة ٦٧ أبريل ١٩٩٥. محب الدين الخطيب (اثر الصحافة والسينما في توجيه المجتمع) مقال بمجلة الأزهر الجزء الثاني عشر السنة ٦٧ مايو ١٩٩٥.وصبح السويدي (الاسلام لسعادة البشرية) مقال بمجلة منار الاسلام العدد العاشر السنة العشرون مارس ١٩٩٥.

(٥) تفسير القرطبي: ٥/ ٣٨٦٩

(٦)تفسير ابن كثير ٦/ ٤٣

(٧) نيل الأوطار: ٦/ ١٢٧

(٨) شرح النووى: ١٤/ ١٣٩

(٩)احياء علوم الدين: ٣/ ١٠٢

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٤

(١١) تفسير ابن كثير: ٧/ ٤٤ وانظر الحديث: في مسند أحمد: ٣/٥ و٤، وسنن أبي داود: كتاب الحمام، باب ما جاء في التعري، رقم الحديث: ٤٠١٨/ ٤٠و٤١، تحفة الأحوزى: أبواب الاستئذان، باب ما جاء في حفظ العورة الحديث: ٨٠٢٩٤٦/ ٧٧ و٧٨، قال الترمذي، هذا حديث حسن.

(١٢) فتح الباري: ١١/ ٩

(١٣) تفسير القرطبي: ٥/ ٣٨٧٥.

(١٤) الدر المنثور : ٥/ ٤٠.

ويقول الغزالي «وزنا العين من كبائر الصغائر وهو يؤدي إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج»

(١٥) وقد رغب الاسلام في غض البصر وجعل ثوابه الجنة. عن سهل بن سعد عن رسول الله ـ ﷺ ــ قال (من يضمن لي ما بين لحيته وما بين رجليه أضمن له الجنة). صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ٤/ ١٢٥ بحاشية السندي.

وحكم غض البصر موجه إلى الرجال والنساء على حد السواء لقوله تبارك وتعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ سورة النور الآية ٣٦. فكما حرم الاسلام نظر الرجال إلى النساء الأجنبيات، كذلك حرم على المرأة النظر عمداً إلى الرجال الأجانب.

وهناك حالات استثنائية ترفع الصفة الآثمة عن النظر، كالناظر بغرض الزواج، أو الشهادة، أو الطب، وما أشبه.

الأديغ والشركس شعبان من شعوب شمال القفقاس، تـوحدهما وحدة اللغة والاصل والثقافة، واللافت للنظر أن كلا الشعبين والقبارطة المقربين منهما يطلقون على أنفسهم جميعا الأديغ.

الأديغ والشركس

إن القبائل الأديغية من الأقوام التي قطنت منذ غابر الزمان ساحل البحر الأسود، في منطقة القفقاس وجبالها ووديانها عند سفوح الجبال، وتتميز هذه المنطقة بالمناخ المعتدل شبه الاستوائي والأرض الخصبة والغابات الكثيفة.

وكانت تضاريس الأرض الجبلية، وتشتت القبائل حاجزا يحول دوما دون قيام دولة أديغية موحدة في المنطقة، واصبحت الأراضي التي قطنتها القبائل الأديغية في القرون الوسطى مجالا للمصالح الجيوبوليتيكية لدى الدول المجاورة الكبيرة روسيا،وتركيا، وايران، وفي العام١٥٥٢م فرضت روسيا حمايتها على جزء من القبائل« القبارطة» وضمت أراضيهم الى الامبراطورية الروسية.

وعند زحف روسيا التي كانت تتنافس مع الامبراطورية العثمانية على هذه المنطقة في أعماق القفقاس ونحو ساحل البحر الأسود اصطدمت قواتها المسلحة بقبائل الأديغ المحلية، وكان العامل الديني يصطلع بدور هام متمثلا في المواجهة بين الأرثوذكسية الروسية والاسلام الذي اعتنقه السكان المحليون، وجاء الاسلام إلى المنطقة في الفترة مابين القرنين العاشر والحادي عشر، وحظي بانتشار واسع ليشمل في القرنين الخامس عشر والسادس عشر جزءا كبيرا من شعوب شمال القفقاس، لكن مدى

بقلم الاستاذ: زين العتيبي

انتشار الاسلام وعمقه كان يتفاوت من منطقة إلى أخرى، واستغرقت عملية ترسخ جذوره في المناطق الجبلية قرونا.

وفي فترة السبعينات وحتى الثمانينات من القرن الماضي طُرد الجزء الأكبر من أبناء الأديغ الذين قاوموا السيطرة الروسية أو انتقلوا إلى الامبراطورية العثمانية والدول الاسلامية المجاورة، وضمت اراضيهم إلى المحافظات الروسية واستوطنها الروس والأوكرانيون والأرمن وغيرهم من القوميات القاطنة في روسيا.

وبعد الثورة البلشفية ١٩١٧م وانتشار السلطة السوفيتية حمل الأديغ والشركس على الحكم الذاتي، ففي العام١٩٢٢م استحدثت مقاطعة أديغيا الذاتية الحكم ضمن حدود إقليم كراسنودار الروسي ومقاطعة قرتشاي شركس الذاتية الحكم في حدود اقليم ستافروبول الروسي، وعلى مدى ٧٠ سنة الأخيرة كان هذان الكيانان جزءين اقتصاديين وثقافيين وحقين من حقوق الدولة السوفيتية الموحدة يشدهما بها نظام الادارة الواحد والايديولوجيا الرسمية الواحدة، أما الحدود بين المقاطعتين فكانت شكلية بحتة.

ومن الناحية الدينية ينتمي الأديغ والشركس والقرتشاي إلى المذهب السني، وحتى العام ١٩٨٩م كانت ترعى شؤون المسلمين في شمال القفقاس هيئة واحدة للمنطقة كلها هي الإدارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس ومقرها مدينة بويناكسك التي كانت خاضعة كليا للسلطات المحلية.

وكانت المساجد في المنطقة تعد بعدد اصابع اليد تقريباً ولا يوجد معهد ديني واحد ولم تصدر عمليا أي أدبيات دينية، ولم يتوجه إلى الحج أو يتعلم في المعاهد الدينية في العالم الإسلامي إلا أفراد محددون.

ومنذ نهاية الثمانينات عندما رفعت كل القيود المفروضة على الدين الإسلامي انطلقت النهضة الاسلامية في المنطقة، وتحركت الجمهوريات كافة، وتحولت الى ورشات تبني وترمم وتفتتح المساجد، واستحدثت في مايكوب إدارة شؤون مسلمي أديغيا وإقليم كراسنودار برئاسة باثميز صلاحوف والإدارة الدينية لمسلمي قرتشاي- شركيسيا برئاسة المفتي إسماعيل برديبف.

إن ماذكرناه سابقاً يدخل في إطار العموميات حول أحوال هذه المنطقة العطشى للاسلام ولابد من تسليط الضوء على كل جزء من اجزائها حتى يكون القارىء على دراية تامه بأحوال إخوانه المسلمين في منطقة كانت إلى زمن قريب تعيش في طي النسيان.

قرتشاي – شركيسيا

تقع مقاطعة قرتشاي – شركيسيا

في فترة السبعينات وحتى الثمانينات من القرن الماضي طُرد الجزء الأكبر من أبناء الأديغ الذين قاوموا السيطرة الروسية

الذاتية الحكم التي تبلغ مساحتها ١٤ ألف كيلو متر مربع على السفوح الشمالية من جبال القفقاس الكبرى، وتجاورها من الجنوب جمهورية جورجيا، وتحتوي بطون أرضيها على الفحم والمعادن غير الحديدية المختلفة، وتغطي اراضيها غابات من أنواع الأشجار الثمينة والمراعي، ويجعل توافر منابع المياه المعدنية والطبيعية الجذابة والمناخ الشافي من المقاطعة مكاناً ذا شعبية للعلاج والاستجمام والسياحة.

وتقع عاصمة المقاطعة في مدينة شركيسك، ويتألف سكانها من أبناء قوميات وأعراق ولغات مختلفة، ويبلغ تعدادهم حوالي ٤٢٢ ألف نسمة، ويقدر عدد الشركس بينهم بخمسين ألف نسمة« ١٠٪ من اجمالي عدد السكان» والقرتشاوي« قوم يتكلم أبناؤهم إحدى اللغات التركية» وعددهم ١٥٦ ألف نسمة أي «٣١٪» والروس ٤٢٪، كما يسكن هناك الأوكرانيون والنوغاي والأباظيون.

وتتصدر فروع المقاطعة الانتاجية، صناعة الاستخراج والتعدين التي تنتج ٧٥ ألف طن من الفحم في السنة، وثمة مؤسسات كيمياوية ومصانع لإنتاج الأجهزة الكهربائية والثلاجات والمكائن، ويمارس أبناء الريف زراعة الحبوب وتربية الماشية وتعليب الفواكه والخضار، وتتلاقى في المقاطعة الطرق البرية والجوية، وتعتبر المقاطعة منطقة للعلاج والاستجمام.

وفي صيف العام ١٩٩١م حصلت المقاطعة– شأنها في ذلك شأن أديغيا– على وضع جمهورية، لكن وضعها الداخلي يثير قلقاً أكبر ويتصف بالغموض، ذلك لأن قرتشاي– شركسيا مأهولة منذ غابر الزمان بشعبين أصليين أحدهما«القرتشاي» جذوره من الشعوب التركية.

مارس النظام الستاليني اعمال الاضطهاد ضد أبناء القرتشاي ورحلهم الى مناطق تبعد عن وطنهم آلاف الكيلومترات بتهمة تعاونهم مع القوات الألمانية

ومارس النظام الستاليني في العام ١٩٤٤م اعمال الاضطهاد ضد أبناء القرتشاي بالذات ورحلهم الى مناطق تبعد عن وطنهم آلاف الكيلومترات بتهمة تعاونهم مع القوات الألمانية في سنوات الحرب العالمية الثانية، وفي العام ١٩٥٧م أعيد الاعتبار لشعب القرتشاي فعاد أبناؤه إلى مسقط رأسهم.

ويتجلى استياء القرتشاي من ذلك الترحيل المجحف اليوم في رغبتهم بالحصول على مزيد من الامتيازات في حياة بلدهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما يؤدي الى احتدام التنافس بين أبناء القوميات المختلفة على حق تمثيل شعبهم في هيئات السلطة العليا، ويسود الاعتقاد بأن هذا التنافس تؤججه النخبة الحزبية السابقة ومسؤولو أجهزة الأمن الداخلي الذين يعيشون على صدقات المافيا المحلية التي نمت كثيرا في مرحلة الانتقال إلى علاقات السوق.

ومما يساعد على بقاء التوتر النزاع الذي يشتعل لهيبه على حدود قرتشاي– شركيسيا في أبخازيا حيث يخوض الأبخاز نضالا مسلحا ضد القيادة الجورجية من اجل نيل المزيد من الحكم الذاتي أو الاستقلال، وما دام الأديغ والشركس شعبان قريبان من الأبخاز من حيث اللغة والاصل فإنهما يقدمان دعما ماديا ومعنويا إلى أبناء جلدتهم، ويشارك المتطوعون الشركس والأديغ في الحرب إلى جانب الأبخاز.

ويتحفظ القرشاي أكثر في دعمهم للأبخاز لأن أصولهم من الأتراك ولذلك يتعاطفون أكثر مع تركيا، ويؤدي انقطاع الصلات الاقتصادية والصلات الاخرى التي نشأت في السابق وتدفق السلاح على المنطقة وانعدام الأمن الى تفاقم الوضع في جمهورية القرشاي «شركيسيا نفسها»، ولهذا السبب لم تجرؤ السلطات المحلية حتى الآن على إجراء الانتخابات لبرلمان الجمهورية.

وفي الوقت نفسه يسود الاعتقاد أن كونفدرالية شعوب القفقاس التي تأسست في العام ١٩٨٩م تضطلع الى حد ما بدور العامل التوحيدي،

وتعود فكرة إنشاء هذه المنظمة إلى موسى شانيبوف من أبناء قبارطيا، ولكونفدرالية شعوب القفقاس -من الناحية التنظيمية -مجلس رؤساء الجمهوريات البالغ عدد اعضائه ١٦ عضوا وفق عدد شعوب شمال القفقاس المنضمة إلى هذه الحركة والبرلمان وهيئة التحكيم.

وتدعو كونفدرالية شعوب القفقاس بين أمور أخرى إلى استحداث دولة كونفدرالية موحدة لأبناء الجبال وتطالب بسحب القوات الروسية من منطقة القفقاس وتعتزم بناء علاقاتها مع روسيا باعتبار أنهما دولتان مستقلتان.

مقاطعة اديغيا الذاتية الحكم

تبلغ مساحة المقاطعة ٧٦٠٠ كيلو متر مربع ويقطنها ٤٣٦ ألف نسمة، وعاصمتها مدينة مايكوب، وتتمثل ثروة أديغيا الرئيسية في الغاز الذي يكمن في اراضيها ومنه «حقل مايكوب» وينتج حوالي ٨٠ مليار متر مكعب نفذت منها ٦٠ مليارا.

يعيش في المقاطعة أبناء قوميات عديدة، ويبلغ عدد السكان الأصليين«الأديغ» ٩٢ ألف نسمة« ربع مجموع سكانها» ويليهم الروس والأوكرانيون والقوزاق والأرمن... الخ.

وتتخصص صناعتها باستخراج ومعالجة الغاز والذي يبلغ« ٦٠٠ مليون متر مكعب في السنة» وإنتاج الأسمدة والأخشاب والأثاث ومواد البناء، وتنتج أيضا المكائن لتشغيل المعادن ومعدات استخراج النفط والغسالات الكهربائية والأجهزة الكهربائية الأخرى.

وبفضل خصوبة الأراضي والمناخ الطيب تنتج المقاطعة الحبوب والنباتات الزيتية والعنب والشاي والتبغ وتصدر كثيرا من الفواكه والخضار المعلبة.

لقد كشفت البيروسترويكا مشاكل عديدة كان يعاني منها السكان الأصليون«الأديغ» وتراكمت على مدى العقود دون حل، ونجمت هذه المشاكل عن محاولات إعادة بناء المجتمع المحلي وفق القوانين الأوروبية وفرض نماذج واحدة على الثقافة والتعليم، تتجاهل في بعض الأحيان الخصوصية المحلية مما قوض ماتم تشكيله على مدى القرون من نمط الحياة والأسرة وفقدان الشعب الصغير للغته وثقافته، وولدت البيروسترويكا محاولات لتصحيح الاختلالات السابقة دفعة واحدة، واصبح الأديغ يطالبون بمزيد من الحكم الذاتي وتوسيع حقوقهم في إدارة المنطقة وتنميتها، وتقرر في صيف العام ١٩٩١م الارتقاء بوضع أديغيا من مقاطعة ذاتية الحكم إلى جمهورية.

لكن قادة جمهورية أديغيا وفي مقدمتهم الرئيس إسلام غريموف ليسوا من دعاة الانسلاخ عن روسيا، ودفع انعدام آفاق الوجود المستقل عن روسيا قيادة الجمهورية إلى توقيع المعاهدة الاتحادية مع موسكو، وتترك هذه المعاهدة للسلطات الفيدرالية حل مسائل الطاقة والضرائب والميزانية وحفظ النظام.

ويدعو الرئيس غريموف «المسؤول الكبير في الجهاز الحزبي سابقاً» إلى نيل السيادة المعقولة وتسعى الجمهورية للاستفادة من وضعها الحالي لإقامة علاقات مباشرة مع شركائها داخل الاتحاد السوفيتي السابق وخارجه على حد سواء.

ويجري التركيز على جذب الاستثمارات من أجل تنمية استخراج الغاز وصناعة الأخشاب وغيرهما من الفروع الاقتصادية، ولهذا الغرض تتوجه سلطات مايكوب إلى أبناء جلدتها القاطنين في الخارج وبخاصة في تركيا والدول العربية.

وانطلقت في أديغيا حملة تدعو الأديغ القاطنين في هذه الدول للعودة إلى الوطن، وتفيد المعطيات المتوافرة أن عدد العائدين حتى الآن يربو على ألف عائد، ووعد الشتات الأدغيين المقيمين في سورية والأردن ودولة الامارات العربية المتحدة بتخصيص ١١٠ملاين دولار لإسكان العائدين.

وانعقد في مايكوب في صيف العام ١٩٩٣م مؤتمر الشركس العالمي الثاني، ووردت فيه معطيات تؤكد أن عدد ذوي الأصل الأديغي والشركسي القاطنين في ٤٥ بلدا من بلدان العالم يقارب ٣ ملايين شخص فيما يسكن في اراضي الاتحاد السوفيتي السابق حوالي نصف مليون شخص وتم في المؤتر بحث مسائل الاختلاط الثقافي والمساعدة على عودة الأديغ الى الوطن.

وخلافا لوضع جمهوريتي الشيشان وأبخازيا المجاورتين يتميز وضع أدغيا بالاستقرار، وشهدت أديغيا التي اعتنق أبناؤها من الأديغ والتتر الاسلام في أواخر القرن الثامن عشر أيام الدولة العثمانية بجهود بعض الضباط والدعاة في الثلاثينات من القرن الحالي حملات مكافحة الدين التي محت المساجد كافة من الأراضي الأديغية، وقال الرئيس إسلام غريموف لمندوب «النشرة الإسلامية» أن أديغيا منطقة وحيدة من مناطق الانتشار التقليدي للإسلام في روسيا لا تملك مسجدا واحدا، لكن الإيمان بقي في قلوب الناس، لذا أولينا الأهمية الكبرى لبناء أول مسجد في أديغيا تم افتتاحه في اواسط كانون الثاني «يناير» من العام ١٩٩٣م، وهو مسجد قديم تم ترميمه في إحدى القرى الكبيرة القريبة من مدينة كراسنودار، وهناك مشروع لبناء مسجد في مايكوب العاصمة لكن تنفيذه مازال يتعثر.■

كشفت البيروسترويكا مشاكل عديدة كان يعاني منها السكان الأصليون «الأديغ» وتراكمت على مدى العقود دون حل

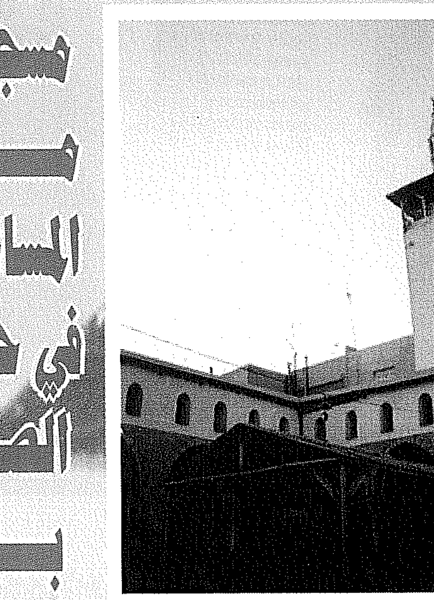
مساجد دمشق القديمة

○ اعداد وتصوير وحيد تاجا

كان المسجد أول عمل معماري أبدعه الإسلام وميزه عن بقية الأديان والأمم، فهو نواة تشكيل المدينة الإسلامية وكان أول ما جرى الفاتحون المسلمون على القيام به بعد فتح بلد ما، هو إنشاء المسجد الجامع، ولم تبن المساجد لإقامة الصلاة فحسب، إنما أنشئت لأغراض الدين والدنيا وإقامة الصلاة أيضاً. وتعد المساجد أهم المعالم الحضارية الإسلامية فالمسجد هو أول مؤسسة تعليمية لمختلف أنواع العلوم، وهو محور الجماعة الإسلامية ورمزها، فهو يؤدي لها الوظائف الدينية والسياسية والاجتماعية، فكان الخليفة أمير المؤمنين ينتخب في المسجد وتم ذلك في عهد الخلفاء الراشدين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه يجتمعون بالخاصة والعامة في المسجد فكان داراً للحكومة، كما كان بيتاً للمال تحفظ فيه أموال المسلمين في «قبة الخزنة في الجامع الأموي».

والرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ أول مسجد في الإسلام بعد وصوله مهاجراً من مكة إلى المدينة عام ٦٢٢م فقام بتخطيطه وجعل له قبلة يتوجه المصلون

مسجد الحنابلة من أهم المساجد الأيوبية في حي الصالحية بدمشق



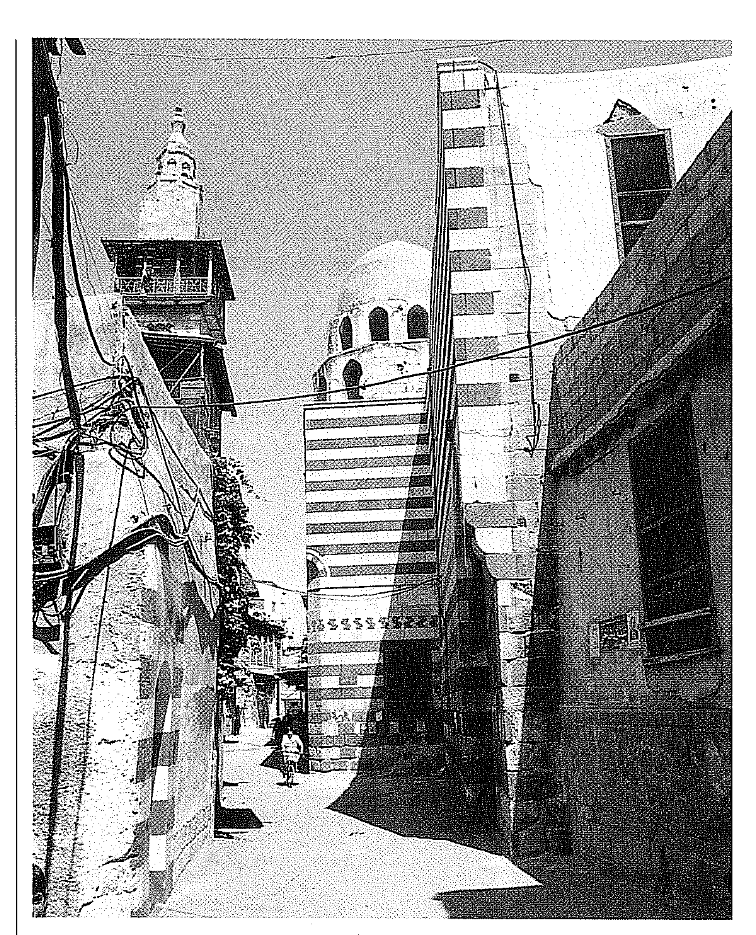


جميعاً وجوههم قبالتها، وكانت القبلة الأولى تجاه بيت المقدس، ثم أمر الله سبحانه بتغيير اتجاه القبلة نحو الكعبة، وقد جعل الرسول في ناحية القبلة عريشاً على جذوع تقوم بوظيفة العمد ثم سقفت بعوارض من خشب وجذوع النخل أيضاً. وطرح عليها السعف والجريد وفي صدر المسجد حدد موقع الإمام «مكان المحراب» ليتوسط المصلين، وأشاروا إليه بعلامة مميزة، كما أقيمت للرسول ثلاث درجات مرتفعات ليقف عليها أثناء الخطبة، وكانت هذه بداية المنبر، وكان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، يضم في صورته الأولى العناصر التالية:

الصحن، والحرم، والقبلة، والمحراب، والمنبر، وهذه العناصر لا يمكن أن يخلو منها مسجد وكل ما عدا ذلك فهو زيادات وعناصر إكمال وتجميل أتت فيما بعد.

وفي السطور التالية نقدم وصفاً لمساجد دمشق القديمة نستعرض فيه صوراً من عبر الماضي، وروائع الفن الإسلامي العريق:

الجامع الأموي يعد من أهم المنشآت المعمارية في الحضارة الإسلامية



● جامع النيروزي

الجامع الأموي

يقع الجامع الأموي في قلب مدينة دمشق القديمة، ويعد من أهم المنشآت المعمارية المهمة في الحضارة الإسلامية، ومن المؤكد أن أرض الجامع كانت مخصصة للعبادة منذ مئات السنين، فكان يقوم في المكان نفسه معبد «للإله حدد الآرامي»، وذلك في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، وفي العصر الروماني بني «معبد للإله جوبيتر» على أنقاض معبد حدد الآرامي، وبعد انتصار المسيحية على الوثنية أنشأ الأمبراطور ثيودوسيوس كنيسة داخل المعبد على اسم القديس يوحنا المعمدان، وبعد الفتح الإسلامي عام ١٤ هـ/ ٦٣٥م اقتسم المسلمون هذا المعبد الكبير مع المسيحيين ليقيموا الصلوات فيه.

وأقام المسلمون مسجدهم مستقلاً عن بناء الكنيسة يجمعهما سور المعبد وبقي المسلمون والمسيحيون يؤدون فرائض دينهم متجاورين حوالي سبعين عاماً حتى ٨٦هـ/ ٧٠٥م إلى أن تسلم سدة الخلافة الأموية الوليد بن عبدالملك حيث جرت المفاوضات مع الرعايا المسيحيين كي يتنازلوا بالعدل والرضا والطرق المشروعة عن نصف المعبد الذي أقاموا عليه كنيستهم، وتم ذلك مقابل بناء كنائس جديدة في أماكن مختلفة من مدينة دمشق، وقد هدم الوليد بن عبدالملك بناء الكنيسة وما كان داخل جدران المعبد من منشآت رومانية وبيزنطية وشيد الجامع، وفق مخطط مبتكر، يتلاءم مع شعائر الدين الإسلامي وأغراض الحياة العامة فجاء فريداً في هندسته، وقد شيدت المساجد الكبرى في العالم الإسلامي فيما بعد على نسقه، وظل المعماريون يستوحون منه قروناً طويلة.

استغرق بناء الجامع الأموي قرابة عشر سنوات بدءاً من ذي الحجة عام ٨٦هـ حتى ٧٠٥م وقد جند الخليفة خلالها عدداً ضخماً من البنائين والمهندسين حتى كان فتنة للناظرين، ووضعت على نسقه هندسة الجوامع الكبرى في العالم، وقد حافظ على عظمة بنائه وروعة زخارفه قرابة ثلاثة قرون ونصف ثم تعرض بعد ذلك للحرائق والزلازل، وكان في كل مرة يصاب فيها في جهة من جهاته فيفقد شيئاً من بهائه ورونقه حتى صار إلى ما هو عليه الآن.

احترق الجامع أول مرة عام ٤٦١ هـ/ ١٠٦٨م، وفي عام ٥٦٢هـ/ ١١٦٦) احترق الباب الشرقي، ثم أصابه حريق آخر عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م امتد إليه من الكلاسة فأصاب مئذنته الشمالية وفي عام ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م أتى الحريق على القسم الشرقي من الحرم والمئذنة الشرقية، وعندما هاجم تيمور لنك دمشق عام ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م نصبت الآلات الحربية في صحن الجامع لمهاجمة القلعة فلحق به حريق وتخريب وفي عام ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م شب حريق في الجامع أتى على المئذنة الغربية وباب الزيادة والباب الغربي والرواق الشمالي حتى الكلاسة، وكان آخر حريق له عام ١٣١١هـ ـ ١٨٩٣م في أواخر الحكم العثماني تهدم فيه حرم الجامع الداخلي.

أما الزلازل فكانت كثيرة أشدها حدثت في الأعوام ٥٥٢هـ/١١٥٧م، ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، وكان يتلو هذه الحرائق والزلازل دوماً إعادة تشييد وبناء، ومحاولة إعادة الزخارف إلى ما كانت عليه.

وقد أشار المؤرخون إلى سلسلة الترميمات وإعادة البناء عقب الكوارث التي أصابت الجامع. وقد خلد ذكرى ترميم عامي ٤٧٥هـ ـ ٤٧٦هـ / ١٠٨٢ ـ ١٠٨٣م لوحان كتابيان محفوظان في المتحف الوطني

بدمشق وبفضل الجهود التي بذلت من أجل ترميم وإصلاح ما تهدم منه بقي الجامع أثراً خالداً للحضارة الإسلامية.

يشكل الجامع مستطيلاً بطول ١٥٦م وعرض ٩٧م، له صحن واسع وتقوم من حول جهاته الثلاث أروقة محمولة على أقواس مستديرة.

أما طرفه الرابع فمشيد عليه جدار الحرم الذي يبلغ طوله ١٣٩م وعرضه ٣٧م و للجامع أربعة أبواب، الباب الغربي يسمى باب البريد، ويتألف من ثلاثة مداخل صفحت درفاته بالنحاس في العهد المملوكي في القرن الخامس عشر، الباب الشمالي: ويسمى باب الفراديس، ويطلق عليه اليوم باب العمارة تتلوه كتابة كوفية مزهرة من العهد السلجوقي، الباب الشرقي ويعرف بباب جيرون ويسمى باب النوفرة أيضاً، وهو محافظ على وضعه الأموي، باب الزيادة وهو الباب المفتوح من الجهة الجنوبية في الحرم.

● جامع السنجقدار

وأهم ما يلفت النظر في صحن الجامع قبة الخزنة، التي بنيت لوضع أموال المسلمين فيها، شكلها مثمن وهي قائمة على ثمانية أعمدة كورنثية الطراز جميلة التيجان، زينت بالفسيفساء ومازال بعض أجزاء منها ماثلاً حتى اليوم، وصفها ابن جبير فقال إن فسيفساء قبة الخزنة المتعددة الألوان أجمل من حديقة غناء.

أما الحرم فيبلغ طوله ١٣٩م وعرضه ٣٧م، ويقسمه إلى قسمين متساويين رواق قاطع ممتد من الشمال إلى الجنوب وتقوم في وسط الحرم قبة كبيرة تسمى قبة النسر ترتفع قرابة ٣٦م محمولة على أربعة عضائد كبيرة فوقها رقبة مثمنة مزودة بالنوافذ وتغطي الحرم ثلاثة سقوف سنامية الشكل «جملونات» من الخشب تمتد من الشرق إلى الغرب يقطعها في وسطها سقف الرواق القاطع الذي يعتبر منها، وأهم ما يلفت النظر داخل الحرم المحاريب الأربعة.

ثلاثة منها قديمة وواحد حديث، ففي الطرف الشرقي، المحراب المالكي، ثم يليه المحراب الحنفي، وهو المحراب الحديث وفي أقصى الطرف الغربي المحراب الحنبلي، ويليه المحراب

بناء الجامع استغرق عشر سنوات وكماً ضخماً من البنائين والمهندسين الذين جعلوه نسقاً هندسياً للجوامع الكبرى في العالم

الشافعي، ويعد المحراب الحنفي المزين بالرخام والصدف والمرمر في غاية الإبداع والجمال، ويقوم ضريح مهيب من الرخام في الطرف الشرقي من الحرم للنبي يحيى عليه السلام.

أما عدد مآذن المسجد فهي ثلاث: مئذنة العروس وتقوم في وسط الرواق الشمالي، وقد أنشئت في عصر مليك شاه ودام بناؤها مدة عشر سنوات ما بين ٥٧٠ ـ ٥٨٠هـ/ ١١٧٤م ـ ١١٨٤م ويعود قسمها السفلي إلى عهد الوليد بن عبدالملك. ثم مئذنة عيسى وتقوم في الزاوية الجنوبية الشرقية، وقد شيدت فوق برج المعبد القديم، واحترقت وتهدمت مرات عديدة، ويرجع بناء قسمها السفلي للعهد المملوكي وقسمها العلوي إلى العهد العثماني، والمئذنة الغربية، وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية وأقيمت أيضاً فوق برج قديم وجددت في السنوات ٥٨٠م ـ ١١٨٤م، و٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م، وتشير الكتابة المنقوشة عليها إلى أنها قد تجددت بعد الحريق الذي أصابها عام ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م، وتم ذلك في عهد السلطان قايتباي عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م، وتعد المئذنة الغربية أجمل المآذن الثلاث.

وقد زينت جدران وأروقة وأقواس الجامع الأموي بالفسيفساء الجميلة في زمن الوليد بن عبدالملك، وتتألف ألواح الفسيفساء هذه من فصوص صغيرة على شكل مكعبات من الزجاج الملون والمذهب وقطع من الصدف، وضعت هذه الأجزاء الصغيرة إلى جانب بعضها البعض مؤلفة مواضيع زخرفية متناسقة على غاية من الدقة والاتقان، وتعتبر ألواح الفسيفساء في الجامع الأموي من أجمل وأهم الثروات الفنية الإسلامية في سوريا.

وخلاصة القول أن الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك بإنشائه هذا المسجد قد ابتدع مدرسة جديدة في تصميم بناء المساجد اسمها المدرسة الأموية، التي اتسمت بالوضوح المعماري وتنوع الحجوم الفراغية، وأوجد أجساماً معمارية لوظائف معينة كالمحراب والمنبر والمقصورة.

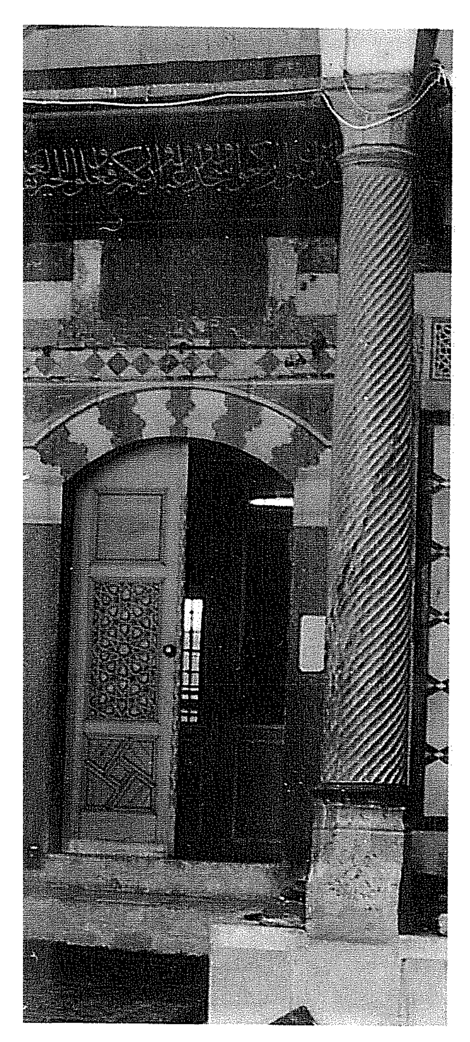
جامع الحنابلة

يقع في حي الصالحية بدمشق، ويعد من أهم المساجد الأيوبية، وقد دعا لبناء هذا المسجد الشيخ أبو عمر ابن قدامة المقدسي أحد أئمة المقادسة في القرن السادس الهجري، وتولى الإنفاق عليه أبو داوود محاسن الفامي عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م لكن أمواله لم تعد كافية فأخر الأمير مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكيني صاحب أربل بوضع الجامع، وكان زوجاً للصاحبة خاتون، أخت صلاح الدين الذي أرسل ثلاثة آلاف دينار اتابكية لاتمام العمارة، وما تبقى تشتري به الأوقاف وتوقف عليه.

وعرف الجامع بعدة أسماء أهمها:

الجامع المظفري: نسبة إلى بانيه مظفر الدين كوكبوري، وجامع الجبل: سمي بهذا الاسم لأنه في إحدى مصاعد جبل قاسيون، وجامع الحنابلة: لأنه مختص بالحنابلة في ذاك الوقت، ولأن المقادسة الذين أسسوا بناءه كانوا على مذهب الأمام أحمد بن حنبل، ثم جامع الصالحيني: نسبة لصلاح المقادسة مؤسسه وقد سميت أيضاً الصالحية نسبة لاسمهم.

وقد قصد بمسقط جامع الحنابلة وتخطيطه محاكاة مسقط الجامع الأموي بدمشق، وأهم ما يمتاز به الجامع محرابه الرائع الذي يعد من أندر المحاريب في نقوشه وجماله، وكانت للجامع مئذنتان لم يبق منهما حالياً إلا واحدة تقع في آخر الرواق الشمالي وعلى عتبة مدخل المئذنة كتابة أثرية تنص على أنها عمرت عام ٦١٠هـ/ ١٢٢٣م بأمر مظفر الدين كوكبوري في عهد الملك العادل أبي بكر بن أيوب، ويعد منبر الجامع من روائع منابر الشام، وقد صنع عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧ حسبما تشير إلى ذلك كتابة تاريخية فوق باب المنبر.



مسجد التيروزي أنشأه الأمير عرس الدين خليل التوريزي عام ٨٢٣هـ، ١٤٢٠م

جامع التوريزي (التيروزي)

يقع في محلة رأس الشويكة شمالي قبر عاتكة بدمشق، شرع في إنشائه الأمير عرس الدين خليل التوريزي حاجب الحجاب بدمشق وذلك في سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م، حسب اللوحة التاريخية الموجودة، فوق الباب ونصها: «امر بإنشاء هذا الجامع المعمور بذكر الله تعالى المقر الغرسي خليل التوريزي تقبل الله منه، خامس وعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة».

وقد فرغ من بنائه عام ٨٢٥هـ

جامع السنجقدار كان يُسمى جامع الحشر وشيده أرغون شاه الذي دفن في تربته



● جامع درويش باشا

/١٤٢٢م، وأضيفت إليه مئذنته بعد تسع سنوات، ويلاحظ أن بناته تحرروا من قواعد الفن الأيوبي الذي ساد العمارات الدمشقية أكثر من نصف قرن، واتبعوا أصول فن المماليك الذي ازدهر في القاهرة واتخذوا في ذلك عناصر جديدة في التخطيط والبناء والزخرفة.

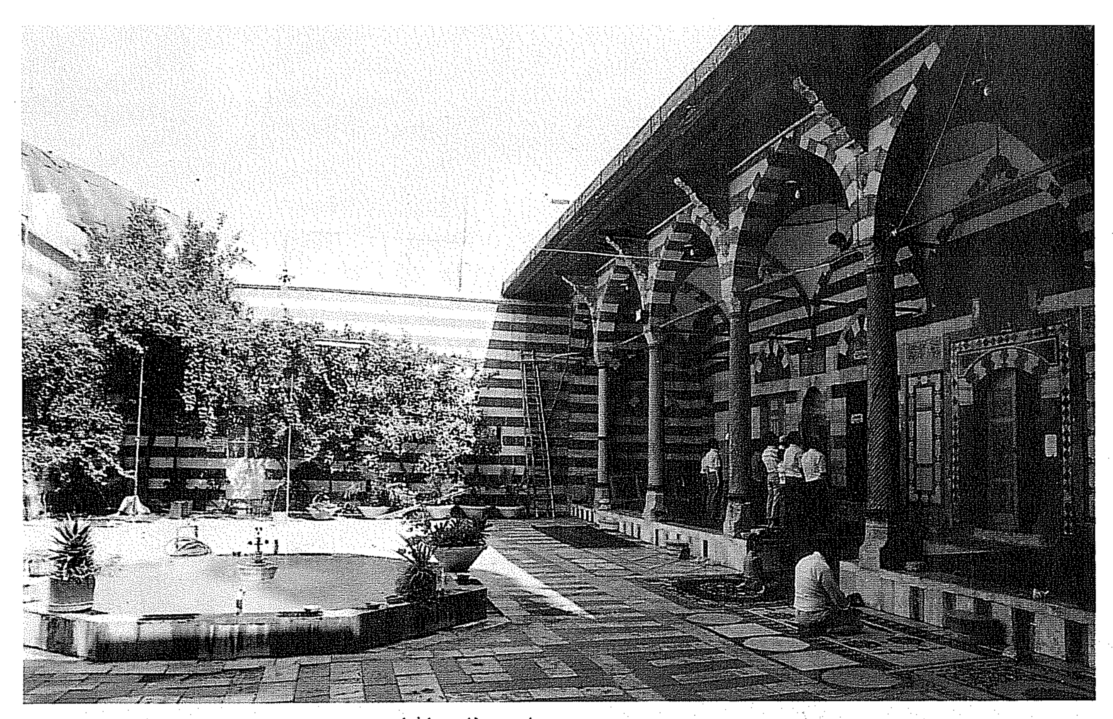
وتخطيط الجامع يختلف عن تخطيطات الجوامع الدمشقية، إذ ليس له صحن واسع، وواجهته مبنية بأحجار ذات لونين مختلفين، وللمسجد حرم جميل، حافظ على بنائه الأول وجماله، والمنبر تزينه حشوات صغيرة حفرت بخط نسخي مملوكي جميل، والمحراب يعلوه شريط عريض حفر عليه بالخط النسخي المملوكي الآية الكريمة التالية: ﴿في بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه﴾ [النور/٣٦] كما يوجد في صدر المحراب شريط حفر عليه بالخط النسخي المملوكي أيضاً قوله تعالى ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[البقرة/٢٨٦] وتعد مئذنة الجامع من أجمل مآذن دمشق. شكلها مربع على حين أن مآذن المماليك مضلعة، وتزين المئذنة زخارف كثيرة عليها كتابة تاريخية.

جامع درويش باشا

يقع في محطة الدرويشية بدمشق، وهو أنموذج لفن العمارة العثمانية من حيث التخطيط والقواعد المعمارية والفنية، أنشأه درويش باشا بن رستم باشا أحد ولاة دمشق في العهد العثماني الذي تصدر ولاية دمشق فيما بين ٩٧٩هـ/ ـ ٩٨٣/ ١٥٧١م ـــ ١٥٧٤م ثم نقل إلى اسطنبول، وتوفي بها عام ٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م ونقل رفاته إلى دمشق ودفن في تربته، التي أنشأها بجانب هذا الجامع.

شيد المسجد عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م كما هو مثبت في الكتابة التاريخية المنقوشة فوق الباب، وهي عبارة عن أبيات شعر، وقد ورد التاريخ في البيت الأخير مرتبا على الأحرف الأبجدية. وروعي في بناء الجامع أسلوب العمارة الرسمية للدولة العثمانية، وكان من أهم خصائصها الاعتناء بالمظهر الخارجي، والشكل العام للبناء، فكان

جامع التوبة شيد على نسق الجامع الأموي في أرض كانت ترتكب فيها المحرمات فبدله العادل أبو بكر إلى جامع سُمي خصيصاً بهذا الاسم



● جامع سنان باشا

هـذا الجامع مستوفيا لتلك الشروط والقـواعـد والأسس وغدا أنمـوذجـا رائعا لهذا الأسلـوب في دمشق، وعلى الرغم من تصميمـه العثماني فإنه لا يخلـو من التـأثيرات المحليـة التي تجعل لـه صبغة سـورية. فصحن الجامع مستطيل الشكل، تتـوسطـه بركة حجريـة مضلعة، والرواق يقع في جنـوب الصحن تتقدمه خمسـة عقود محمـولة على أعمدة مستـديرة ذات تيجان وقـواعد مختلفـة، ويعلو الـرواق خمس قبـاب صغيرة، وفي الجدار الجنوبي مـن الرواق محراب مزيـن بألواح القيشـاني، أما الحرم فهو عبارة عن قـاعة كبيرة مستطيلة الشكل أبعادها ١٨×١١,٥م تغطيها سبع قبـاب مستـديرة تقـوم القبـة الكبرى في الوسط ويتـوسط المحراب الجدار الجنوبي من الحرم، ويعد آية في الإبداع والفن، وعلى جانبي المحراب إطارات هندسية عريضة من الرخام الأبيض والأسـود. والمنبر من المرمـر وأهم ما فيه قبـة الخطيب المبنية على أربع دعـائم رشيقة يعلـو كلا منهـا قوس مـدبب تكتنفه زوايـا مزخـرفة ويلاحظ أن الـزخارف الرائعـة تزين الجامع من بابه إلى محرابه.

جامع سنان باشا

يقع في حي السنـافيـة قرب بـاب الجابيـة بـدمشق، وقـد عمل على تشييده الوزير الأعظم سنان باشا عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م خلال ولايته على الشـام وهـو من أكبر الـوزراء والولاء العثمانيين الذين تـركوا آثارا معمـاريـة، والجامع أنمـوذج لمعظم المساجد العثمانيـة يتألف من مئذنة وحـرم وصحن وأروقـة. الصحن مستطيل الشكل ولـه بـابـان، الأول وهو المدخل الـرئيسي للجامع يقع في الجهة الغربية نحو شارع السنافية، وهو باب جميل يعلوه لوح مستطيل من القـاشـاني الأزرق، فيـه صـور نباتية متشابكة بينها أبيات شعرية، ويعلـو لوح القـاشـاني مقرنصـات جميلـة، أمـا البـاب الثـاني فهـو في الجدار الشمالي يعلـوه من الـداخل نقش مـزولـة شمسيـة وفي الطـرف الغـربي من الجدار الشمالي تـوجـد لـوحـة جداريـة تتـألف من قطع القاشـاني الأزرق والأخضر تزينهـا صـور نبـاتيـة من أوراق وأزهـار متعـانقة بينهـا قيشاني أبيض عليـه كتابة باللون الأسود بخط نسخ كبير تشير إلى تاريخ الجامع واسم الباني. تتوسـط صحن الجامع بركـة مثمنة الشكل مبنية من الحجارة الكلسية أما بـلاط الصحن فهـو من الحجـارة المصقولة البيضاء والسوداء، رصفت بأشكال هندسية جميلة تتخللها قطع كثيرة من المرمـر الأحمر والأبيض والأسود في الجهة الجنوبية وبأشكال هنـدسيـة، الـرواق مسقـوف بسبع قباب يتقدم الحرم وهـو محمول على ستة أعمدة، ويوجد محراب صغير ذو عمودين من الـرخام الأبيض في الجهة الشرقيـة من الـرواق وفـوق هـذا المحراب توجد لوحة كتابية كتب عليها ستة أبيات شعـرية، الحرم مستطيل الشكل، مسقوف بقبة كبيرة تتخللها نوافـذ جميلة وكتابات رائعـة وأعمدة رشيقـة، والمنبر من المرمـر الأبيض المحفور، والمحراب ترسمه قطع المرمر المتعددة الألوان الدقيقة الصنع وتعلو المحراب لوحة مستطيلة من القاشاني الأزرق عليها كتـابة قـرآنية، مئـذنة الجامع مستديرة، مبنيـة بالحجارة ، تكسوها من الخـارج طبقـة من الآجر المطلي بطبقـة مـن القـاشـاني

الأخضر(الخزف الزنجاري)، يفصل بينهما ثلاثة خطوط من القاشاني الملون بالأزرق وتعلو جذع المئذنة مقرنصات بسيطة وجميلة، ولابد من التنويه أنه لا يوجد في سوريا ما يماثل هذه المئذنة.

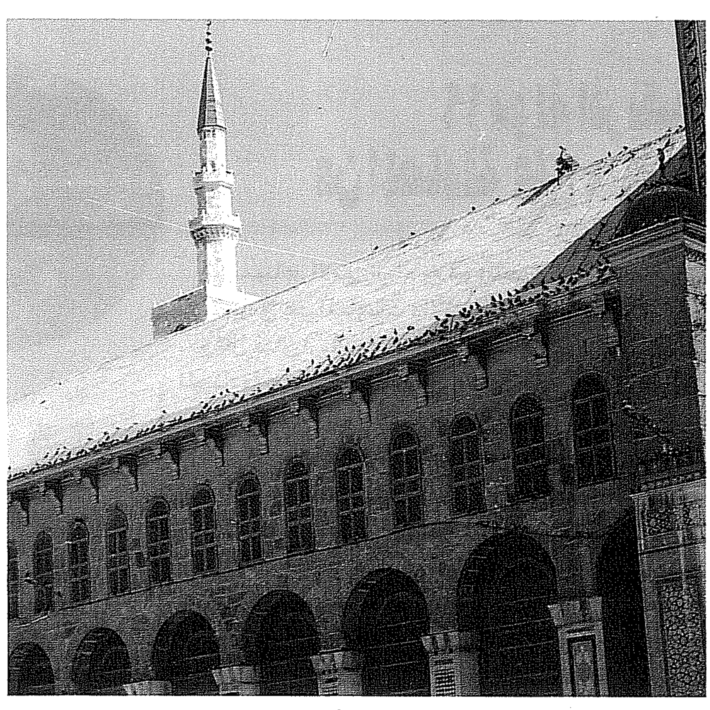
جامع الشيخ عبدالغني النابلسي

يقع في منطقة الصالحية ـ شيخ محي الدين ـ بدمشق، وينسب إلى العالم المحدث عبدالغني النابلسي المولود في دمشق ١٠٥٠ هـ/١٦٤٠م حينما توفي ترك هذا المكان دارا للسكن، ولم يكن فيه مسجد بل أحدث بعد وفاته، أنشأه حفيده الشيخ مصطفى النابلسي المتوفى عام ١١٩١هـ/١٧٧٧م وغلب على هذا المسجد اسم جامع الشيخ عبدالغني النابلسي واشتهر بذلك، وكانت شهرة الشيخ عبدالغني قد حفزت كثيرا من الولاة والسلاطين على العناية بتخليد ذكراه بتجديد المكان في أدوار مختلفة. أما طراز البناء فهو من العصر العثماني، والطراز الغالب على البناء والزخرفة الطراز الدمشقي، يضم البناء مسجدا وتربة ودارا للسكن، أما مئذنة الجامع فتقع في أقصى الجناح الشرقي للبناء مبنية بالحجارة المنحوتة، أما القاعة الكبرى فيعلو بابها لوح من القاشاني فيه كتابة وتاريخ وتجديد القاعة سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م، ومدفن الشيخ عبدالغني يقع في شرقي الصحن، وبجانبه مدفن الشيخ مصطفى المتوفى عام ١١٩١هـ/١٧٧٧م، وهو باني المسجد، أما المصلى فهو عبارة عن قاعتين يفصل بينهما قوس، وفيه المحراب والمنبر.

جامع السنجقدار

يقع في محلة السنجقدار بدمشق، وكان يسمى جامع الحشر، أنشأه أرغون شاه نائب السلطنة المملوكية في دمشق الذي قتل عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م ودفن في تربته التي أنشأها مع الجامع، تم تجديد حرم المسجد في العهد العثماني عام ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م من قبل سنان آغا الينكجرية.

أهم آثار المسجد المملوكية واجهته الحجرية الجميلة، ومقرنصات بوابته، والتربة المسقوفة بقبة إلى يمين المسجد، ومئذنة رشيقة، أما تسميته بجامع السنجقدار فلأن فيه ضريح العباس بن مرداس حامل لواء (سنجق) الرسول ﷺ.



● جامع الأموي

جامع التوبة

يقع في حي العقيبة في نهاية سوق ساروجة بدمشق، وقد بني على نسق الجامع الأموي بدمشق، ويعد من روائع فن العمارة الأيوبية.

كانت أرض الجامع قديما تعرف بخان الزنجاري ترتكب فيه المحرمات وتشرب فيه الخمور، فأمر الملك موسى العادل أبو بكر بهدمه وبناء الجامع الذي سماه جامع التوبة وتم بناؤه عام ٦٣٢هـ/١٢٤٣م. صحن الجامع مستطيل الشكل تحيط به ثلاثة أروقة شرقي وغربي وشمالي تتوسطه بركة مربعة الشكل، والحرم مستطيل وأجمل ما فيه المحراب الغني بالزخارف، المكسو بالرخام من أسفله ثم تعلو ذلك طبقة جصية عليها رسوم نباتية جميلة تتخللها كتابات وزخارف، يعلوها رسم هندسي ونباتي، وعلى جانبي المحراب عمودان من الرخام بشكل لولبي وهو يعد من أجمل المحاريب التي وصلت إلينا من العهد الأيوبي.

مسجد فلوس

مسجد قديم يقع في حي الميدان بدمشق ويعرف حاليا بزاوية الرفاعي، وأهم ما يميز هذا المسجد هو النتاج الفني الذي بقي من العصر الفاطمي في دمشق والمتمثل في زخرفة محرابه حيث تعلو المحراب طاقية أثرية نادرة، تقوم على شريط عريض به سطر من الكتابة الكوفية المزهرة، ويعلو هذا الشريط طاقية من زخارف جصية عناصرها أوراق نباتية بينها فروع دقيقة متشابكة، وقد ملء فراغ سطوح الأوراق النباتية بزخارف هندسية ■

مسجد فلوس يتميز بالنتاج الفني الذي بقي من العصر الفاطمي في دمشق والمتمثل في زخرفة محرابه حيث تعلو المحراب طاقية أثرية نادرة



١٩ دولة افريقية امتنعت عن المصادقة على معاهدات حقوق الانسان

قال مساعد الامين العام للامم المتحدة لشؤون حقوق الانسان ابرهيم فال، ان ١٩ دولة افريقية لم تصادق على المعاهدات والاتفاقات المتعلقة بحقوق الانسان.

وقال فال ان الدولة المعنية اوضحت ان معوقات سياسية وبيروقراطية وادارية منعتها من المصادقة على معاهدات حقوق الانسان.

والدول الـ١٩ التي لم توقع على قرارات مؤتمر فيينا لحقوق الانسان هي : جنوب افريقيا، انغولا، بوتسوانا، بوركينا فاسو، جزر القمر، جيبوتي، اريتريا، غينيا بيساو، غينيا الاستوائية، غانا، كينيا، ليبيريا، ملاوي، موريتانيا، موزامبيق، النيجر، ساوتومي، سيراليون وسوازيلاند.

يذكر ان المؤتمر الدولي لحقوق الانسان الذي انعقد في فيينا عام ١٩٩٣ اقر تسع معاهدات واتفاقات حول التعذيب والنشاطات السياسية والديموقراطية وحماية الاطفال والنساء واوصى بإنشاء المفوضية العليا لحقوق الانسان.

استمرار مسلسل حرق المساجد

قامت مجموعة ألمانية عنصرية بحرق مصلى الأتراك المسلمين الذين صلوا عيد الاضحى الماضي في مدينة سينجن الالمانية في احدث هجوم ضمن سلسلة احراق اهداف اسلامية في المانيا والذي يستهدف الجالية الاسلامية.

ومن جانب آخر أحرق ايضا مسجد بالقرب من بحيرة كونستانس قرب الحدود السويسرية.

مليون شخص زحفوا إلى واشنطن دفاعا عن الأطفال

شهد الأول من يونيو مسيرة حاشدة الى العاصمة الاميركية واشنطن، ونظم المسيرة «صندوق الدفاع عن الاطفال» الاميركي بالتعاون مع الآباء والامهات وعدد من المؤسسات الخيرية المدنية، والدينية.

وقالت رئيسة الصندوق ماريان رايت ان الهدف من المسيرة التي شارك فيها من ٢٠٠ الف الى مليون طفل واب وأم، هو ايصال صوت الاطفال وتعبئة القوى المختلفة دفاعاً عنهم.

وقد استوحيت فكرة هذه المسيرة من النجاح الذي حققته «المسيرة المليونية» التي نظمها قادة السود في اميركا العام الماضي.

ورأى المنظمون ان مايحصل للاطفال في اغنى أمة في العالم مثل اميركا، امر لايصدق، ويبعث على الغضب ويورد المسؤولون عن الصندوق ارقاما مفزعة ففي كل ٢٤ ساعة يحصل للاطفال ما يلي في اميركا:

– يذهب ١٣ طفلا ضحية جرائم القتل. –يولد ١٤٠٧ اطفال لامهات قاصرات

– يولد ٢٦٦٠ طفلاً لعوائل تعيش تحت خط الفقر. – يعتقل ٦٠٤٢ طفلاً.

– يتعرض ٨٤٩٣ الى الاعتداء او الاهمال .

هذه الارقام تزداد قتامة حين تخرج من الدائرة الاميركية العامة لتدخل الى دائرة السود الخاصة فهذه الدائرة تشهد يومياً . –٨ اطفال قتلى. – ٦ من هؤلاء يسقطون ضحية اطلاق الرصاص عليهم.

– اعتقال ٢٤٠ طفلاً يومياً في جرائم تتعلق بالمخدرات. – ولادة ٧٢٠ طفلا في اسر تعيش تحت خط الفقر. وازداد هذا العدد بين عامي ١٩٨٤ و١٩٩٣ بنسبة ٢٧٠ في المئة وعن هؤلاء يراد الدفاع ولهؤلاء يراد تقديم العون وتجاوبت مع فكرة المسيرة الاميركية ٢٥٠٠ منظمة طوعية من المنظمات، المدن الاحياء، والكنائس الاميركية، اضافة الى عدد من المشردين.

٣٠ مليار دولار خسائر حرب البوسنة

دمرت الحرب في البوسنة البنية التحتية في البلاد ليس فقط بسبب القصف والتدمير العسكري المباشر بل لأن الصرب نهبوا ماستطاعوا من مصانع ومنشآت وآليات وقاموا بتدمير كل مالم يتمكنوا من نهبه.

وهناك تقديرات مختلفة حول حجم الخسائر التي نجمت عن هذا العدوان لكن هناك اجماع على انها تتراوح مابين ٢٠ و٣٠ مليار دولار.واكد وزير الاقتصاد اسماعيل بيكوفيتش ان عملية اعادة بناء الاقتصاد البوسني يمكن ان تتم بسرعة قياسية وذلك لتوافر عدد من الشروط الضرورية لذلك مقارنة بالدول او المناطق التي واجهت حروبا وكوارث في مناطق اخرى من العالم.

وقال ان وجود الارض الغنية بالزراعة والمواد الخام والأيدي العاملة المدربة في البوسنة من الشروط المهمة لتحقيق عملية اعادة اعمار البلاد بالسرعة المطلوبة، واضاف ان بعض المصانع الصغيرة وشركات النقل والتجارة بدأت عقب توقيع اتفاق السلام في البوسنة في العام الفائت العمل خطوة خطوة في محاولة لكسب الوقت والتعويض عما خسرته خلال العدوان الصربي المدمر خلال السنوات الاربعة الاخيرة.

وتوقع ان تصبح البوسنة مع نهاية العام الجاري اكبر ورشة عمل في اوروبا كماتوقع مساهمة صناديق ومؤسسات الاستثمار الكبرى في هذه الورشة.

١٩٣,٥ مليون دولار يقدمها «البنك الإسلامي للتنمية» في تمويل مشاريع

قال البنك الاسلامي للتنمية انه وافق على تسهيلات تمويل وقروض بقيمة ١٩٣,٥ مليون دولار.

وقال بيان للبنك انه وافق على تمويل عشر عمليات للتجارة الخارجية في سبع دول اعضاء بقيمة ١٠٤ ملايين دولار وعشرة مشاريع انمائية في ثماني دول بمبلغ ٨٩,٥ مليون دولار كما يلي:

الأردن سيحصل على ٣٠ مليون دولار لتمويل استيراد قمح من اعضاء في البنك، الجزائر ستنال ٢٠ مليون ريال لتمويل استيراد خامات صناعية وقطع غيار وسلع صناعية وسيطة، وستحصل ايضا على عشرة ملايين دولار اخرى لشراء قضبان حديدية واخشاب من تركيا واندونيسيا وماليزيا وهي دول اعضاء في البنك.

سورية ستحصل على ٣٥ مليون دولار لتمويل بناء مستشفى.

تركيا ستحصل على ١٠,١٥ مليون دولار لمشروع الطاقة و٨,١٧ مليون دولار لمشرع للتنمية ومليوني دولار لتمويل استيراد صلب واجهزة.

والجابون ستنال ١٥,٧٥ مليون دولار لتمويل تركيب معدات في شركة صناعية.

باكستان ستحصل على ١٥ مليون دولار لاستيراد زيت النخيل من ماليزيا واندونيسيا، ايران ستحصل على ١٤ مليون دولار لتمويل شراء قطع غيار للقطارات والسيارات. بنغلادش ستنال ١٠,٢٤ مليون دولار لمشروع تعليمي.

اندونيسيا ستحصل على ٩,٩ مليون دولار لتمويل استيراد معدات.

تونس ستحصل على ستة ملايين دولار لتمويل استيراد لب الورق وألياف قصيرة من المغرب ومليوني دولار لاستيراد منتجات كيمياوية.

المغرب سينال خمسة ملايين دولار لشراء فحم.

قرض لبوركينا فاسو بمبلغ ٤,٨٨ مليون دولار.

قرض لموزامبيق بمبلغ ثلاثة ملايين دولار.

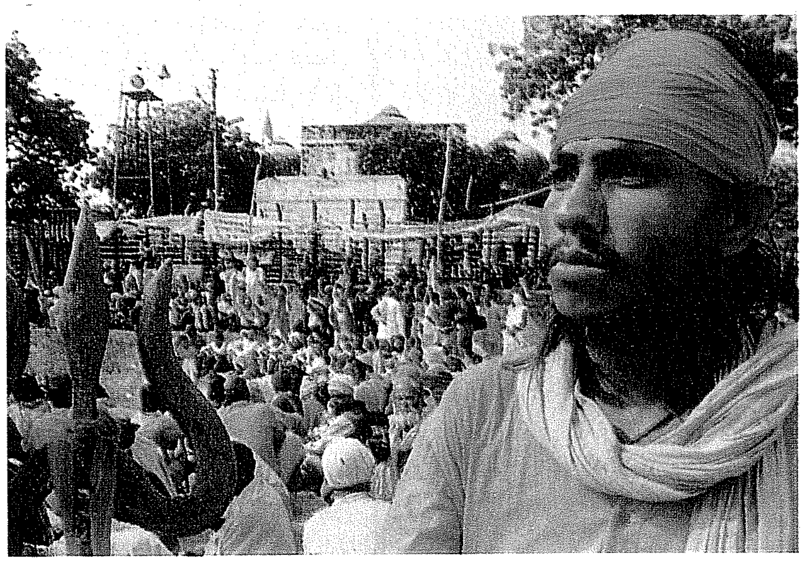
السلطة الفلسطينية ستحصل على ٢,١٦ مليون دولار لتمويل بناء مجمع سكني في جامعة بيرزيت وقد انشىء البنك الاسلامي الذي يوجد مقره في جدة العام ١٩٧٥ لتشجيع التجارة بين الدول الاسلامية.

وصول الهندوس المتشددين للحكم يثير مخاوف مسلمي الهند

أثار وصول المتشددين الهندوس للمرة الاولى الى السلطة في الهند المخاوف لدى الاقليات الدينية في هذا البلد الذي يعد ٩٣٠ مليون نسمة ويشكل الهندوس ٨٢ في المئة منهم.

ويعتبر المراقبون ان المسألة تكمن في معرفة ما اذا كان حزب بهاراتيا جاناتا القومي الهندوسي الذي تسلم مقاليد السلطة مع اداء زعيمه اتال بهاري فاجبايي اليمين الدستورية، سيطبق عمليا الاوجه الاكثر تشددا في برنامجه وقال سلمان خورشيد وزير الدولة السابق للخارجية في حكومة رئيس الوزراء السابق «بي. في. ناراسيمهارا »انه في حال تمسك حزب بهاراتيا جاناتا بمواقفه المعلنة فسيشكل ذلك كارثة على البلاد وليس فقط على الاقليات.

ويمثل المسلون نحو ١٢ في المئة من السكان والمسيحيون ٣ في المئة وكانت هاتان الاقليتان مرات عدة هدفا لمتطرفين مقربين من حزب باراتيا جاناتا وخفف الحزب المذكور من لهجة خطابه الهندوسي المتشدد واكد نجاحه الانتخابي انه لم يعد يعتبر منبوذا في الحياة السياسية الهندية.



وعرف بالفعل كيف يجذب قسما كبيراً من الطبقات المتوسطة اعياها زمن طويل من حزب المؤتمر.

إلا ان فاجبايي الذي يعتبر من الشخصيات الاكثر اعتدالا في حزب بهاراتيا جاناتا اعلن في الساعات التي تلت تعيينه رئيسا للوزراء انه سيبني معبدا هندوسيا على انقاض مسجد ايودياه شمال الهند.

وادى نهب المسجد وتدميره على ايدي متطرفين من الهندوس في السادس من ديسمبر ١٩٩٢ الى اضطرابات بين الهندوس والمسلمين كانت من اعنف الاضطرابات التي تشهدها البلاد منذ التقسيم في العام ١٩٤٧.



ارتفاع عدد العاطلين في روسيا الى ٦,٣ مليون شخص

اعلن يوري بوركوف، رئيس لجنة الدولة الروسية للاحصاء ان عدد العاطلين عن العمل في روسيا يبلغ حتى الآن ٦,٣ مليون شخص بعد ارتفاع زاد عن النصف الاول من العام ١٩٩٦ بنسبة ١١ في المئة وحسب معطيات لجنة الاحصاء فإن متوسط دخل الشخص الواحد في روسيا يبلغ اليوم ٧٨٠ الف روبل اما الحد الادنى لمستوى المعيشة فهو ٣٦٠ الف روبل وتشكل الاجور نسبة ٤٠ في المئة تقريباً من الدخل النقدي الاجمالي وتمتلك نسبة ١٠ في المئة من الأثرياء ٣٠ في المئة من مجموع المداخيل بينما تمتلك نسبة ١٠ في المئة من الفقراء جدا نسبة ٢,٢ في المئة منها وفي غضون الاشهر الاربعة الماضية طرأ تحسن طفيف على الوضع الاقتصادي في البلد.. فقد سجلت في ابريل عام ١٩٩٦ زيادة نسبتها ٤ في المئة في الانتاج قياسا الى مارس ١٩٩٦ علما ان اسعار السلع الاستهلاكية ارتفعت في شهر ابريل بنسبة ٢,٢ في المئة وهي نسبة قليلة ايضا.

٢٦٠ ألف دينار مساعدات من بيت الزكاة للأسر المتعففة في ٤ شهور

اكد مدير ادارة العلاقات العامة والاعلام في بيت الزكاة عبد الرحمن الكندري ان البيت قام منذ إنشائه برعاية آلاف الاسر المحتاجة وتأمين العيش الكريم لها من خلال اموال الزكاة التي تصله من المحسنين والمحسنات مما اسهم في تنمية المجتمع واستقراره وتعزيز روابط الاخوة بين الجميع.

وقال: ان من الشرائح التي يهتم بها بيت الزكاة ويحرص على تقديم الدعم لها شريحة الاسر المتعففة مؤكدا ان العناية بها تأتي في مقدمة اهتمامات البيت نظراً لما تنفرد به الادارة من اوضاع خاصة واشار الى ان البيت قام منذ تأسيسه بتتبع احوال هذه الاسر وتلبية حاجاتها عن طريق مكتب خاص تم إنشاؤه لهذه الغاية يتبع مباشرة مكتب نائب المدير العام لشؤون الموارد والتوزيع ويقوم باستقبال الحالات والتعامل معها بسرية تامة.

واوضح ان التعرف على هذه الأسر يتم عن طريق الثقات العاملين بأحوال هذه الاسر المطلعين عن قرب على ظروفها واحوالها المعيشية.

وعن كيفية تقديم المساعدات لهذه الاسر ذكر الكندري ان ذلك يتم من خلال الشخص المقرب للاسرة والذي تأمنه على أسرارها وتثق به او عن طريق حساب أحد أفراد الاسرة في البنك اذا استطعنا الحصول على رقم الحساب، مؤكدا ان ذلك يتم في السر او عن طريق الباحث اذا كانت الاسرة ترضى بذلك.

وعن نوع المساعدات التي تقدم لهذه الاسر ذكر انها تتوزع بين المساعدة الشهرية والمقطوعة والقرض الحسن على حسب نوع الحالة واكد ان البيت قام خلال الأشهر الاربعة الماضية بتقديم ٢٦٠,٢٣٠ ديناراً لصالح الاسر المتعففة.

وعبر مدير إدارة العلاقات العامة والإعلام في بيت الزكاة عن شكره الجزيل لاصحاب الأيادي البيضاء الذين يدعمون البيت بزكواتهم وصدقاتهم لتمكينه من رعاية الاسر المتعففة وجميع الحالات الاخرى.

وأشاد بالتعاون المثمر مع جميع الجهات في الدولة فيما يتعلق بحاجات الاسر المتعففة والتي لها دور في تسهيل مهمة المكتب وشكر جميع المتعاونين مع البيت في هذا المجال.



ايسيسكو تدعو العالم لتطوير التعليم

دعت المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم الثقافية« ايسيسكو» دول العالم الاسلامي الى تطوير مناهج التعليم وتحديث اساليب التربية ودعم المؤسسات والهيئات الثقافية لنشر الوعي السليم والفكر البناء وإيلاء البحث العلمي في جميع حقول العلم والمزيد من العناية لدفع عجلة التنمية العلمية والتقنية المنشودة في العالم الاسلامي واكدت على ضرورة تنسيق جهود البلدان الاسلامية للتعاون المستمر في مجال تنفيذ الاستراتيجية الثقافية للعالم الاسلامي بما يحقق التكامل المتوازن بين الدول الاسلامية في مجال تحقيق التنمية التربوية والعلمية والثقافية وعلى النحو الذي يؤدي الى نهضة حضارية فاعلة.

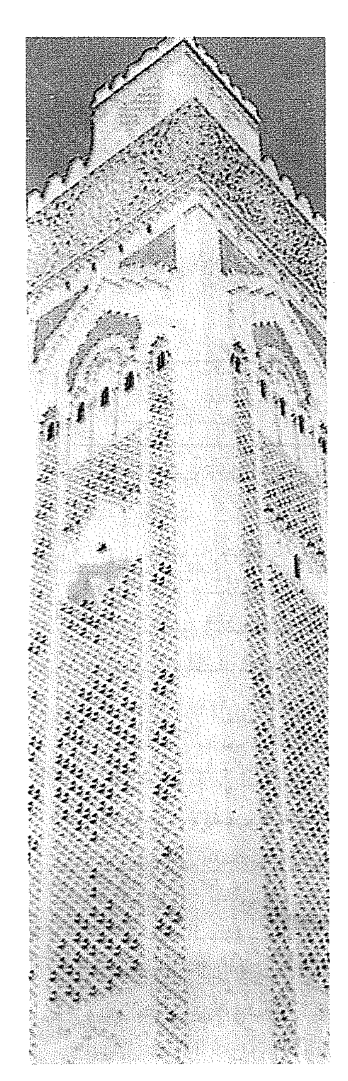
وجاء في كلمة وزعتها المنظمة الاسلامية بمناسبة مرور ١٤ سنة على تأسيسها ان انشاء المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة كان تعبيرا عن ارادة الامة الاسلامية في اعادة تجديد انطلاقتها في ميادين التربية والعلوم والثقافة وفي استكمال اقامة الاسر الثابتة للنهضة الشاملة في هذه المجالات الحيوية جميعا.. وصادف هذا التأسيس دخول العالم الاسلامي القرن الهجري الجديد بأمل متجدد وبرغبة قوية وباصرار شديد على تخطي مراحل البناء الحضاري مرحلة بعد مرحلة وفقا لمقتضيات تخطيط عملي تمثل في اقامة عديد من الاجهزة والمنظمات المتخصصة في شتى فروع العمل الجماعي الهادف الى تقوية التنمية الانسانية في مختلف مجالات الحياة من منطلق العمل الاسلامي المشترك وفي دائرة التضامن الاسلامي.

مجلس أعلى للشؤون الإسلامية في البحرين

اعلن في المنامة عن إنشاء مجلس أعلى للشؤون الإسلامية في البحرين لوضع البرامج وإعداد الدراسات لتطوير الأنشطة الإسلامية

وجاء في المرسوم الذي اصدره أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ان المجلس الجديد سيعمل على وحدة الصف بين المسلمين والمحافظة على القيم والتقاليد وتنقية الفكر الإسلامي من الشوائب التي تنال منه.

ومن مهام المجلس العمل على التقريب بين المذاهب الاسلامية وتوحيد صفوف المسلمين والابتعاد عن كل مايشق صفوفهم، وكذلك اعداد البحوث والمشاركة في المؤتمرات والندوات الاسلامية والعمل على نشر الإسلام بجميع السبل وابداء الملاحظات والاقتراحات حول مايبث في الإذاعة والتلفزيون من برامج دينية الى جانب النظر في سيرة ومؤهلات الأئمة والخطباء والوعاظ والمرشدين الدينيين وخطباء المساجد والمآتم المرشحين والمعينين من إدارتي الاوقاف.



مشروع إسلامي يحظى بتأييد البرلمان الارجنتيني

بعد ثلاث سنوات من المناقشة صوت المجلس الوطني الارجنتيني« البرلمان» على الاقتراح الذي قدمه للمجلس الرئيس الارجنتيني كارلوس منعم امين الذي ينص على منح المسلمين قطعة ارض مساحتها ثلاثة وثلاثون الف متر مربع وسط العاصمة لبناء المركز الاسلامي عليها هذا وقد تكفلت المملكة العربية السعودية بتغطية نفقات المشروع بكامله دعما من حكومة خادم الحرمين الشريفين للاقليات المسلمة انطلاقا من مبدأ التضامن الاسلامي.

ويتألف المشروع من جامع مركزي يتسع لنحو الف مصل وسكن للامام وقاعة للمحاضرات ومكتبة وصالات دراسية وغرف سكنية للوفود والزوار والطلبة المسلمين مع المرافق اللازمة كافة.

وقد صرح المهندس محمد يوسف هاجر عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي« ان مسلمي الارجنتين استقبلوا هذا القرار بالسرور والفرح وهم يشكرون المملكة العربية السعودية على حسن اهتمامها بهم وبالمنطقة بأسرها ويقدرون الدور الذي قام به السفير السعودي في الارجنتين على مساعيه الحميدة في هذا المجال.

واستطرد قائلا: ان قطعة ارض المشروع تعتبر في ارقى احياء وسط العاصمة وان ثمنها لايقل عن خمسة وعشرين مليون دولار وان المشروع تضمن تخصيص موقف للسيارات.

كتــاب إسلامي.. علَّم العـالم

(١-٣)

هذه صفحة علمية خالدة من صفحات تاريخنا الحضاري العظيم ننشرها على الناس عامة وشبابنا بصفة خاصة، ذلك ان شبابنا- وهم أملنا- يأسر قلوبهم ويجذب ابصارهم ماحققه الغرب من قوة وعلم، ويغشى ذلك عيونهم، فلايبصرون ضوء تاريخناالاسلامي المجيد وعلم أجدادنا ونهضتهم الزاهرة. وأملنا ان تبرز هذه الصفحات دور علماء الاسلام في تاريخ العلم والحضارة، ووضعهم لأسس المنهج العلمي السليم في البحث، وتأكيد سبقهم إلى العديد من الاكتشافات والابتكارات العلمية الاصيلة التي لايزال ينعم العالم بثمارها الطيبة حتى اليوم.

وهدفنا من هذه الصفحات- وأملنا أيضا- إشاعة الثقة في نفوس شبابنا واجيالنا الناهضة في قدرة أمتنا الاسلامية على تخطي مانحن فيه الآن من تبعية علمية للغرب واسترداد دورنا الحضاري والريادي الذي فقدناه تارة اخرى بإذن الله.

كتاب (شرح تشريح القانون) لعلاء الدين بن النفيس

٦٠٧هـ/١٢١٠م-٦٨٧هـ/١٢٨٨م

بقلم الدكتور: محمد مصطفى السمري

سجل الطبيب العربي المسلم ابن النفيس في كتابه (شرح تشريح القانون) فتوحات طبية عظيمة، تجعله- بحق- رائداً لعلمي التشريح والفسيولوجيا (Physiology). ويذكر ان علم الفسيولوجيا او علم وظائف الاعضاء هو العلم الذي يختص بتحديد وظيفة وعمل كل عضو او نسيج في جسم الانسان، وهذا يشمل النظام الذي يقود لهذه الوظيفة، والنتائج المترتبة عنها، والدور الذي يلعبه العضو في حياة الجسم. ويعد علم وظائف الاعضاء ركيزة اساسية ورئيسية لعلم الطب وتقدمه، ولاغرو انه يمنح في عصرنا الحديث الاطباء الاكفاء واصحاب الاكتشافات والابتكارات الطبية المتميزة جائزة نوبل في هذا العلم بالذات.

علم وظائف الاعضاء هو العلم الذي يختص بوظيفة تحديد كل عضو أو نسيج في الجسم

وبمناسبة جائزة نوبل- وهي اعلى وارفع جائزة دولية تمنح للمتميزين في مجالات الفيزياء والكيمياء والفسيولوجيا او الطب والاقتصاد والادب والسلام- فان ابن النفيس يتسحق الحصول على جائزة نوبل في الطب أربع مرات وبجدارة. ولاعجب فابن النفيس- ومن خلال كتابه (شرح تشريح القانون)- كان أول من وصف واكتشف الدورة الدموية الرئوية (الصغرى)، ويستحق على هذا الاكتشاف الهائل جائزة نوبل (الأولى). واول من اكتشف الدورة الدموية في الشرايين التاجية التي تغذي عضلة القلب، ويستحق على هذا الكشف جائزة نوبل (الثانية). وأول من اكتشف ان القلب يتكون اساساً من غرفتين رئيسيتين هما البطينان، ويستحق على هذا الاكتشاف جائزة نوبل (الثالثة).

أما جائزة نوبل (الرابعة) فيستحقها ابن النفيس مناصفة مع طبيب اسلامي آخر عاصره وهو أبو الفرج ابن القف (ت١٢٨٦م)، ولاعجب فقد اكتشف ابن النفيس خروج الدم المحمل بالهواء من البطين الايسر إلى شريان الاورطي لكي يوزعه على جميع اعضاء الجسم، فاكتشف بذلك عن نصف الدورة الدموية (الكبرى) ولكنه لم

يتوصل إلى معرفة النصف الآخر من هذه الدورة. ويشاء المولى سبحانه وتعالى ان يتم التوصل الى النصف الآخر من هذه الدورة على يد ابن القف ومن خلال كتابه الشهير في الجراحة والمسمى (العمدة في صناعة الجراحة). وبذلك يكون اكتشاف الدورة الدموية الكبرى التي نسبت إلى وليم هارفي (ت١٦٥٧م) اكتشافاً اسلامياً خالصاً اشترك فيه ابن النفيس وابن القف.

نسبه وحياته

هو الشيخ الطبيب علاء الدين علي بن أبي الحزم الدمشقي المصري الشافعي، المعروف بابن النفيس. علم من أعلام الطب العربي والاسلامي وصاحب المؤلفات الشهيرة في الطب. ولد في دمشق عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م في عهد الملك العادل سيف الدين الأيوبي، وعاش الشطر الأول من حياته في دمشق، ودرس الطب على يد رئيس الاطباء بمصر والشام مهذب الدين الدخوار(ت١٢٣٠م) كما درس الطب ايضا على يد عمران الاسرائيلي (ت١٢٣١م) زميل الدخوار في البيمارستان النوري.

وعام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م، ارتحل ابن النفيس من دمشق الى القاهرة، حيث عاش بقية حياته وعمل طبيباً للعيون ومدرساً للطب، ثم اصبح رئيساً لقسم الكحالة (طب العيون) في البيمارستان الناصري(الذي أنشأه صلاح الدين الايوبي في القاهرة عام ١١٨١م). وتولى في أواخر حياته رئاسة الاطباء في البيمارستان المنصوري أوبيمارستان قلاوون(الذي أنشأه الملك المنصور قلاوون في القاهرة عام ١٢٨٤م). وفي القاهرة، اصبح ابن النفيس نابغة عصره في الطب ونال شهرة كبيرة، حتى أن بعض المؤرخين يذكرون انه: (لم يكن في الطب على وجه الأرض، ولا جاء بعد ابن سينا مثله، وكان في العلاج اعظم من ابن سينا).

وصف ابن النفيس بانه كان شيخاً طويلا، اسيل الخدين، نحيفاغاية في الجمال، وقوراً، ذاهيبة واحترام، دمث الأخلاق، ذامروءة وورع، ولايحجب عن الإفادة ليلاً ولانهاراً.عاش ابن النفيس مطيعاً لربه أميناً لدينه، وفتحت له كنوز الدنيا، كما أتيحت له ابواب العلم والمعرفة.

عمر ابن النفيس قرابة الثمانين عاماً، عاصر خلالها احداثاً كبرى في التاريخ الاسلامي، مثل نزول الصليبيين في دمياط وهزيمتهم واسرقائدهم لويس التاسع في المنصورة عام ١٢٥٠م، وهجوم هولاكو على بغداد عام ١٢٥٨م، والوباء الذي فتك بأهل مصر عام ١٢٧٤م وغيرها.

توفي ابن النفيس يوم الجمعة في الحادي والعشرين من ذي القعدة عام ٨٦٧هـ/ ١٢٨٨م بالقاهرة، بعد مرض دام ستة أيام. وترك مالاً كثيراً، بيد أنه أوقف ماله وداره وأملاكه وجميع مايتعلق به على البيمارستان المنصوري بالقاهرة. ويذكر لأبن النفيس تقواه وورعه وخشية الله في جميع اعماله، وروى عنه أنه في علته التي توفى بها، أشار عليه اصحابه الاطباء بتناول شيء من الخمر، إذ كان صالحاً لعلته، على مازعموا، فأبى أن يتناول شيئا منه، وقال: (لا ألقى الله تعالى وفي بطني شيء من الخمر). وهكذا كان ابن النفيس مسلماً قبل كونه طبيباً. وهكذا كان الاسلام وراء سلوك هؤلاء العلماء.

١ ـ منهجه:

ليس ثمة من شك ان ابن النفيس كان عالماً موسوعيا، غزير المعرفة، خصب الانتاج، متعدد الاهتمامات. وإلى جانب كونه كان طبيباً بارعاً وكحالاً متميزاً. كان فيلسوفاً، ولغويا، وفقيهاً.

وقام بتدريس الشريعة والفقه في المدرسة السرورية التي يقول المقريزي في خططه ان مؤسسها هو شمس الخواص مسرور، احد موالي صلاح الدين. ولاعجب اذن أن يذكر تاج الدين السبكي ابن النفيس في كتابه(طبقات الشافعية الكبرى) كواحد من كبار فقهاء المذهب الشافعي.

واشتهر ابن النفيس بسعة الاطلاع، فقد حفظ مؤلفات جالينوس وابن سينا. ولابن النفيس في تأليفه وابحاثه، منهج خاص فلقد كان يبني نظرياته على المشاهدات والتجارب والخبرات العلمية. وكان ذا افكار نقادة، اذ انكر في جرأة كل مالم تره عيناه او يصدقه عقله، ولهذا اخضع كل مافعله للدراسة والفحص، ليلمس بنفسه مدى صحة مايكتب. كما تميز بالأمانة العلمية، فقد ارجع كل مانقله من غيره إلى اصحابه، ويتضح ذلك في مقدمة كتابه (شرح تشريح القانون).

كان لابن النفيس ذاكرة خارقة، ولقد قيل عنه:(ان ملكة التأليف كانت تتسلط عليه احياناً بقوة لايستطيع الإفلات منها، فكأنها الوحي يدعوه إلى الكتابة في أغرب الأماكن وشتى الظروف).

فلقد روى عنه انه دخل الحمام، ذات مرة، فلما كان في بعض تغسيله خرج إلى مشلح الحمام واستدعى بدواة وقلم وورق وأخذ في تصنيف مقالة في النبض إلى ان انهاها، ثم عاد ودخل الحمام وكمل تغسليه.

وكانت طريقة ابن النفيس في العلاج تعتمد على تنظيم الاغذية اكثر من اعتمادها على الادوية والعقاقير، ولذلك نفر منه الصيادلة لان طريقته كانت كفيلة بكساد بضاعتهم.

اشتهر ابن النفيس بسعة الاطلاع فقد كان طبيباً بارعا وكحالاً متميزاً لغويا وفقهياً

حطم التطاوي في رسالته ادعاءات المتجنين على ابن النفيس ورد له فضل السبق والاعتبار

وكان ابن النفيس واثقاً من أرائه، متمكنا من اقواله، ولقد روى عنه انه قال: (لو لم أعلم ان تصانيفي ستبقى بعدي عشرة آلاف سنة ماوضعتها) ولقد قادته افكاره الجديدة وملاحظاته الدقيقة الى اكتشافات طبية رائدة، واحلته مقاماً عالياً، وألبسته صفة الطبيب العالم المكتشف عن جدارة وتقدير.

كتابه (شرح تشريح القانون) التطاوي يعيد اكتشاف ابن النفيس

كان من المعروف في كتب التاريخ الطبي حتى عام ١٩٢٤م- بالذات- ان مكتشف الدورة الدموية هو الانجليزي وليم هارفي (ت١٦٥٧م)، وسبقه وشاركه في ذلك الاسباني سرفيتوس (ت١٥٥٣م) والايطالي كولومبو(ت١٥٥٩م). ولم يتطرق احد في بحثه الى طبيبنا العربي المسلم ابن النفيس في هذا المجال.

ولاعجب أن في عام ١٩٢٤، شهد العالم اهتماماً كبيراً بابن النفيس واكتشافاته الطبية، وكتبت الدراسات حوله، وطال الاخذ والرد حوله من قبل المستشرقين والعرب ومؤرخي العلم في كل مكان.

وكان ذلك كله على اثر اكتشاف مدهش قام به طبيب مصري هو الدكتور محي الدين التطاوي (١٨٩٦-١٩٤٥م) والذي كان يدرس الطب في ألمانيا في ذلك الوقت. في هذا العام، وفي مدينة برلين، عثر الدكتور التطاوي على مخطوط لابن النفيس في مكتبة المخطوطات العربية الموجودة هناك، وهذا المخطوط هو نسخة من كتاب (شرح تشريح القانون) الذي يشرح فيه ابن النفيس الاجزاء الخاصة بالتشريح في كتاب ابن سينا(ت١٠٣٧م) المشهور (القانون في الطب) وعكف الدكتور التطاوي على دراسة الجزء الخاص بالقلب في كتاب ابن النفيس- وذلك بحكم انه طبيب في امراض القلب وذهب الى المانيا بهدف الحصول على الدكتوراه في علاج امراض القلب- وقدم التطاوي دراسته في رسالة للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة فرايبورج بألمانيا، وكانت بعنوان (الدورة الدموية تبعاً للقرشي)-(der lungenkeislauf nach el koraschi) واعلن التطاوي في رسالته هذه ان ابن النفس حطم ادعاءات جالينوس (١٣٠-٢٠٠م) عن القلب والدورة الدموية وتوصل بالبحث والتجربة المبنية على خبرته ومشاهداته العلمية الى حقيقة الدورة الدموية وهي نفس مانعرفه اليوم سواء عن الدورة الدموية الرئوية او الدورة الدموية الكبرى.

وجاء بعد الدكتور التطاوي المستشرق (ماكس مايرهوف) (ت١٩٤٥م) عالم المخطوطات والتراث العلمي الاسلامي، فردد هذه الحقيقة العلمية في تقرير مفصل قدمه الى المعهد المصري عام ١٩٣١م، اذ كان يعيش وقتها في القاهرة، وذلك بعد ان قام بتحقيق مخطوط ابن النفيس وقارنه بالنسخة الموجودة في مكتبة الاسكوريال بمدريد وبمخطوطات ابن النفيس الاخرى. ثم اعلن على العالم صحتها، بل ارسل نسخة من رسالة التطاوي الى المورخ العالمي الكبير (جورج سارتون) فنشرها سارتون في آخر جزء من كتابه المشهور(المدخل الى تاريخ العلم). وانصف بذلك ابن النفيس والدكتور التطاوي صاحب الفضل الاول في هذا الاكتشاف.

ومن ثم بدأ العالم يردد اصداء اكتشاف ابن النفيس الضخم، ونفضت الغبار عن هذه الصفحة المشرقة والمنسية من تاريخنا العلمي التليد ونشطت الاقلام للكتابة عن ابن النفيس واكتشافاته، وهب المنصفون والمخلصون إلى اعطائه حقه واحلاله المنزلة الرفيعة التي يستحقها في تاريخ الاكتشافات العلمية الكبرى.

مقدمة الكتاب

تقول زغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب): ان كتب اعاظم الاغريق والاسكندريين ليبهت لونها ويقل شانها امام كتاب القانون لامير الاطباء الرئيس ابن سينا، ذلك الكتاب الذي كان له اعظم الاثر في بلاد الشرق وبلاد الغرب قروناً طويلة من الزمن على حد سواء بشكل لم يكن له اي مثيل في تاريخ الطب اطلاقا.

بيد ان كتاب (القانون) كان في منتهى الصعوبة وبخاصة على الطالب المبتدىء، لذا اقام بعض العلماء والاطباء بشرح غوامضه وتبسيط معلوماته مثل: شرح القانون للامام فخر الدين الرازي (ت١٢٠٩م). والموفق السامري(ت١٢٨٢م) وابن القف (ت١٢٨٦م) الشيرازي (ت١٣١٠م)، وداود الانطاكي (ت١٥٩٧م)وغيرهم. وعندما جاء ابن النفيس ساهم بدوره في شرح كتاب القانون، فكتب كتابين هما: شرح كليات القانون، وشرح تشريح القانون.

يقول ابن النفيس في مقدمة كتابه (شرح تشريح القانون): وبعد حمد الله والصلاة على انبيائه ورسله، فإن قصدنا الآن ابراز ماتيسر لنا من المباحث على كلام الشيخ الرئيس ابي علي الحسن بن عبد الله بن سينا رحمه الله في التشريح في جملة كتاب القانون. وذلك بعد ان جمعنا ماقاله في الكتاب الاول من كتاب القانون الى ماقاله في الكتاب الثالث من هذه

الكتب، وذلك ليكـون الكـلام في التشريح جميعه منظوماً.

وقد بين في مقدمة كتابه انه اراد الاعـانـة على اتقـان العلم بفن (التشريح). وقسم المقـدمـة الى خمسة مباحث:

المبحث الأول: في اختـلاف الجيونات في الاعضاء

المبحث الثـاني: في فـوائد او قواعد علم التشريح

المبحث الثالث: في اثبات منافع الاعضاء، وهـذا مايعرف في زمـاننا بالفسيولوجيا(physiolo gy).

المبحث الرابع: في المبادىء التي بها يستخرج العلم بمنافع الاعضاء بطريقة التشريح، وهـو مايعرف في زماننا بالتشريح المقارن.

المبحث الخامس: في مـاهيـة التشريح وآلاته.

ويستخدم ابن النفيس اسلوب التقية فيزعم انه لم يباشر التشريح لـوازع الشريعـة والـرحمة، ولكن كتاباته في التشريح تـؤكد انه باشر التشريح فعـلاً ذلك ان حـديثـه عن تشريح العظام والاربطـة والقلب لايكـون بغير ممارسـة فعليـة للتشريح.. وسـوف نفـرد مقـالـة للحـديث عن ممارسـة ابن النفيس وغيره من اطباء الاسـلام للتشريح، وكـذلك مسـاهماتهم العظيمـة في سبيل تطوير هذا العلم الهام.

اكتشافاته

نـال كتـاب (شرح تشريح القانون) شهـرة واسعة وخلد اسم ابن النفيس كأحد الاطبـاء العالميين فقـد اكتشف فيه عـدة اكتشافـات تضعـه على قمـة علماء الطب في الشرق والغـرب وعبر التـاريخ الانساني كلـه، ولاغرو فاكتشـافه الـدورة الدمـويـة مثلاً يعـد اعظم حدث في تـاريخ الطب، فقـد احدث ثورة طبيـة هائلة في كل النظـريات الفسيولوجية وكل أساليب العلاج:

١- الـدوة الـدمويـة الـرئويـة (الصغرى):

معلوم الأن ان الدورة الـدموية تنقسم الى قسمين: أولاً: الـدورة الـدمـويـة الـرئويـة (الصغـرى) وتبتدىء من البطين الأيمن وتنتهي في البطين الايسر. اذ ينقبض البطين الايمن فينـدفع الـدم المشبع بغـاز ثـاني اكسيـد الكربـون الى الـرئة بـوساطـة الشريان الـرئوي، حيث يصفـى وينقـى ويختلـط بـالاكسجين، ثم يعـود بـوسـاطـة الاوردة الـرئويـة الى الاذين الايسر فالبطين الايسر صافيـا نقياً مشبعاً بالاكسجين والغذاء.

ثانياً: الدورة الـدموية الكبرى، وهي التـي تبتـدىء من البطين الايسر وتنتهي في البطين الايمن. إذ ينقبض البطين الأيسر، فيندفع الدم المشبع بالاكسجين والغذاء بواسطة الشريـان الاورطـي (الابهر) والشرايين ويتـوزع على جميع الاجهزة والاعضـاء، ثم يعـود الدم الى الاذين الايمن فـالبطين الايمن بواسطة الاوردة محمـلاً بغاز ثاني اكسيد الكربون والفضلات.

وكـان الاطباء القـدامى امثـال ابقـراط وجـالينـوس وابن سينـا يعتقـدون ان الدم يتـولد في الكبـد، حيث ينقل اليـه الـوريـد البـابي الاغـذية من الامعـاء بعد هضمهـا وتحضيرهـا، فتتحول فيـه الى دم، ومن الكبد يتوزع الـدم بواسطـة الاوردة على اجهـزة الجسـم واعضـائه. كما ان الاوردة تحمل الـدم فقط ، في حين تنقل الشرايين الهواء والروح. كما ان فكرة دوران الـدم واتجاهـه لم تكـن معلـومـة اصـلا، وانما توجـد هنـاك حركـة متواصلة للدم بين مد وجزر ورواح ومجيء. وأما الرئة فلم يكن لها من وظيفـة سوى تبريـد الـدم المرتفع الحرارة. وكان جالينـوس يعتقد ان وظيفة الشريـان الرئوي هي مجرد تغـذية الـرئة بـالـدم، وان الوريـد الرئوي بداخله (هباب) محمول من الرئة!!.

تلك هي نظريـات وأراء القدماء ولقد بقيت هذه الآراء طـويلاً قوانين أزلية لاتقبل المنـاقشة او الاجتهاد.. إلى ان جاء ابن النفيـس فحطن هذه الآراء وتجرأ على انتقـاد جالينـوس وابن سينـا بأراء صريحه لاتقبل الشك وبعبارات قوية تدل على تمكن صـاحبهـا من صـواب رأيـه وقـوة حجته، مثل قـوله: (هذا هـو الرأي المشهور، وهـو عندنـا باطل) ومثل قوله:(لايصح البتة)، أو (هذا عندنا من الخرافـات)،أو(وهـذا ظـاهـر البطلان).

لقد قـدم ابن النفيس أول شرح صحيح للـدورة الدمـويـة الرئويـة (الصغـرى) وبدورة الـدم في اتجاه واحد، فيقـول انه يخرج من البطين الايمن للقلب إلى الشريـان الـرئوي(اوكما سماه الشريان الـوريدي) ثم إلى الـرئة لكي يختلط بـالهواء ثم يعود إلى التجويف الايسر للقلب وقد حمل بـالـروح(أي بـالاكسيجين) وهو بذلك يكـون أول من قام بسير الدم في اتجاه واحد في دورة كـاملة. فيقـول في كتـابـه (شرح تشريح القانون): (فلابد أن يكون هذا الدم إذا لطف نفذ في الوريد الشرياني إلى الـرئة لينبث في جـرمهـا ويخالط الهواء ويصفي ألطف مافيـه وينفذ إلى الشريـان الوريـدي ليوصلـه إلى التجويف الأيسر من تجويفي القلب، وقد خالط الهواء وصلـح لأن تتولد منه الروح).

وفي مكـان آخر، يـؤكد لنـا بأن اتجاه الدم في دورانـه ثابـت، أي أنه يمـر في التجـويف الأيمن إلى الـرئة حيث يخالط الهواء، ومن الـرئة إلى التجويـف الأيسر. فيقول:(قـوله- أي قول ابـن سينا- وايصـال الدم الـذي يغـذي الـرئة إلى الـرئة من القلب- ويقصد القلـب الأيسر- هذا هو الرأي المشهور وهو عندنا باطل، فإن غذاء الرئة لايصل إليها من هذا الشريـان- ويقصـد الشريـان

الاطباء القدماء كانوا يعتقدون ان الدم يتولد في الكبد والرئة لم يكن لها دور سوى تبريد هذا الدم

الوريدي- لانه لايرتفع اليها من التجويف الايسر من تجويفي القلب، اذ الدم الذي في هذا التجويف، انما يأتي إليه من الرئة لأن الرئة أخذه منه. وأما نفوذ الدم من القلب إلى الرئة فهوفي الوريد الشرياني).

وكان ابن النفيس أول من اشار إلى اتحاد الدم بالاكسجين من الهواء واستخلاصه منه، وذلك قبل ان تفهم هذه الحقيقة بعدة قرون.. فيقول:(أما حاجة الرئة إلى الوريد الشرياني فلأنه ينقل اليها الدم الذي قد لطف وسخن في القلب ليختلط من خلال الرئة بالهواء، ويمتزج به فيكون في الجملة مايصلح لان يكون روحاً إذا حصل ذلك المجموع في التجويف الايسر من القلب. كذلك تحتاج الرئة ان تكون متخلخلة لتكون كثيرة المسام والغرض أن تمتلىء الفرج التي في جوفها هواء يخالط الدم فيهما).

وهكذا ينصف التاريخ ابن النفيس بأن بعث أشهر مؤلفاته، وهكذا يثبت التاريخ- بالأدلة الثابتة- أن ابن النفيس هو أول من وصف واكتشف الدورة الدموية الرئوية(الصغرى) قبل الاسباني سرفيتوس، والذي أدعى أنه أول من اكتشفها بعد ان نقل ماكتبه ابن النفيس كلمة بكلمة وحرفاً بحرف ونسبه كله إلى نفسه. ولقد ظهر ان سرفيتوس كان يعرف العربية وأنه قرأ مخطوط ابن النفيس الموجود منه الآن نسخة في مكتبة الأسكوريال بمدريد باسبانيا.

ويبدو أن الاقدار أرادت أن تثأر لأبن النفيس وتعاقب سرفيتوس على جريمة السطو والغش الفكري في حق الأنسانية فأتهم بمعارضته لسر الثالوث المقدس وقضى نصف عمره هارباً، ثم قبض عليه وأودع السجن، حتى حرق في جنيف حياً عام ١٥٥٣م ومعه كتابه (إعادة بناء المسيحية) الذي ذكر فيه زوراً اكتشافه للدورة الدموية الصغرى.

ابن النفيس أول من أشار الى اتحاد الدم بالاكسجين من الهواء واستخلاص منه

٢- الشرايين التاجية واكتشاف الدورة الدموية بها:

وهذا كشف آخر لابن النفيس لم يسبقه اليه احد من اطباء العرب أو الغرب، فهو أول من وصف الأوعية الدموية التي تغذي عضلة القلب، وهي الشرايين الاكليلية او التاجية (Goronary Artery) واكتشف كذلك الدورة الدموية في الشرايين التاجية، ولاعجب فقد توصل- بالتشريح- إلى ان تغذية عضلة القلب تحمل بواسطة الدم الذي يجري في العروق الموزعة في انحاء القلب كله، وليس كما ادعى ابن سينا ومن سبقه من اطباء الاغريق في البطين الايمن من القلب. وكان اطباء الاغريق وابن سينا يعتقدون ان عضلة القلب تتغذى على الدم الموجود في تجويف القلب- وبالتحديد في البطين الايمن- عن طريق الامتصاص المباشر، واكتشف ابن النفيس ان عضلة القلب تتغذى من الشرايين التاجية الموجودة على سطحها.

يقول ابن النفيس في كتابه (شرح تشريح القانون) في معرض كلامه على تغذية عضلة القلب: (قوله- أي ابن سينا- ليكون له مستودع غذاء يتغذى به وجعله الدم الذي في البطين الايمن منه يتغذى القلب لايصح البتة، فإن غذاء القلب انما هو من الدم المار فيه من العروق المثبتة في جرمه).

وهذه العبارة تجعل ابن النفيس اول من فطن إلى وجود اوعية دموية داخل عضلة القلب تغذيها، وأول من اكتشف الدورة الدموية بهذه الاوعية، وهي تؤكد في نفس الوقت على ان ابن النفيس قد مارس التشريح، كما انها تجعل منه اول من وصف الشريان التاجي وفروعه، خلافاً لما يدعيه مؤرخو الطب من ان (ستاكيو Eustachi) هو اول من ذكر الشرايين التاجية التي تغذي عضلة القلب ووصفها.

والجدير بالذكر ان اهمية اكتشاف ابن النفيس هذه ترجع الى معرفة ان انسداد هذه الشرايين التاجية لاي، سبب من الاسباب يؤدي إلى حرمان عضلات القلب من مصدر الحياة أوالاكسجين، مما يؤدي إلى مانسمية الآن في عصرنا الحديث (الذبحة القلبية) التي تؤدي إلى الوفاة في كثير من الحالات إذا لم تسعف سريعاً.

٣- تشريح القلب وتركيبه

اكتشف ابن النفيس خطأ أطباء الاغريق وجالينوس في قولهم ان جدار القلب الفاصل بين البطين الايمن والايسر، فيه ثقوب او صمام. وقال في ذلك: (وليس بينهما منفذ فإن جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة، ولامنفذ غير ظاهر كما ظن جالينوس).

كما اكتشف ابن النفس ان القلب يتكون اساسا من غرفتين رئيستين هما البطينان، وقد كان الاغريق يعتقدون انه من ثلاث غرف. وردد ابن سينا رأيهم دون أي تغيير او اعتراض. وفي ذلك يقول ابن النفيس في كتابه شرح تشريح القانون:(قوله- اي قول ابن سينا- وفيه ثلاثة بطون. وهذا كلام لايصح، فإن القلب له بطينات فقط.. ولامنفذ بين هذين البطينين البتة، وإلا كان الدم ينفذ الى موضوع الروح فيفسد جوهرها. والتشريح يكذب ماقالوه، والحاجز ات بين البطينين اشد كثافة من غيرهما، لئلا ينفذ منه شيء من الدم أو من الروح فتضيع).

٤- الأوعية الشعرية والدورة الشعرية:

لابن النفيس سبق طبي مهم لايجوز ان نغفله، الا وهو وصفه

لـلاوعيـة الشعـريـة، وهي اوعيـة دمويـة شعرية(دقيقـة) تربط بين الجهــاز الشريــاني والجهــاز الوريدي. واشـار الى حتمية وجود اتصــال بين الاوردة والشرايين، واكتشف بذلك الدورة الشعرية.

يقـول ابن النفيس في كتابـه (شرح تشريح القـانون):(وكـذلك جعل الـوريـد الشريـاني شـديـد الانحصــاف ذا طبقتين ليكــون ماينفـذ من مسامـه شديد الـدقة، وجعل الشريان الـوريدي نحيفاً ذا طبقة واحدة ليسهل قبوله لما يخرج من ذلك الـوريـد، ولـذلك جعل بين هذين العرقين منافذ محسوسة).

وليس ثمة شك ان هـذه المنافذ المحسوسـة او المسام بين العـروق ليست إلا الاوعية الدموية الشعرية الرقيقة التي يتم بواسطتها التبادل فيما بين الاوردة والشرايين والتـي وصفها (كولومبو) بعد ابن النفيس بثلاثـة قرون، وأدعى بـأن أحداً لم يسبقه إلى كشفها، فأصبحت تعزي اسبقيـة وصفهـا إليـه وإلى عـالم التشريح الايطالي الشهير(مارسيللو مالبيجي) والذي اثبت وجودها عام ١٦٦١م بعد اختراع المجهر.

٥–نصف الدورة الكبرى

اشـار ابن النفيس في كتابـه الى خـروج الـدم المحمـل بـالـروح الحيواني(الهواء)

من البطين الايسر إلى الشريـان الابهر(الاورطي) لكي يـوزعـه على سـائر الجسم، فكشف بـذلك عن نصف الـدورة الكبرى، ولكنـه لم يتوصـل إلى معرفة النصـف الثاني من الدورة. ويشاء اللـه ان يتم هذا الكشف على يد زميـل معاصر لابن النفيس هـو الطبيب أبو الفـرج بن القف (ت١٢٨٦م).

فقـد وقف ابن القف في الفصل الثـاني عشرمن المقالـة الثانيـة من مؤلفة (العمدة في صناعة الجراحة) الى تفسير صحيح لعـلاقة الشرايين بـالاوردة حيث قــال في صــدد مجاورة الشرايين لـلاوردة:(امـا مجاورة احـدهما لـلاخـر في اكثـر المواضع، ليربط احـدهما بـالآخـر ولتستفيــد الاوردة من الشرايين حـرارة طـابخـة لما فيهـا وحيـاة تسري فيهــا وفيما في داخلهــا، والشرايين تكتسب منها لطيف الدم وبخاريته، وذلك في المسام المفضية من احـدهما إلى الآخـر الخفيـةعن الحس).

وهكـذا فان اكتشـاف الـدورة الـدمـويــة الكبرى التي نسبت الى وليم هــارفي اكتشـاف اسـلامي خـالـص تم على يـد كـل من ابن النفيس وزميله ابن القف.

ويطيـب لي، بـل ويجب علي ان اختم هذا المقال بكلمـة انصاف حق للـدكتور محيي الـدين التطـاوي، الذي لم يسعفـه الحظ، فلم يستطع بعد رجوعـه إلى مصر عام ١٩٢٥م ان يتـابع بنفسه مـوضوع كشفـه الهام، وتـوفى عــام ١٩٤٥م وهـو يقـاوم مرض التيفـوس في الـريف المصري، فكــان شهيـد الـواجب والانسـانيــة. وهـذه الكلمــة هي للـدكتور احمد شـوقي الفنجـري قالها في مقالة لـه بعنوان (اكتشاف الـدورة الـدمـويـة إنجـاز عـربـي) ونشرتها مجلة الفيصل السعـودية بعــددهــا رقم (١١٦) صفــر ١٤٠٧هـــ ..يقـول الـدكتــور الفنجري:

(بقي هنـاك ان نـذكـر كلمـة إنصـاف في حق الـدكتـور محيي الـديـن التطـاوي صـاحـب هــذا الكـــشف العظيم. فــقد كــانت أمـنيته ان يحـصل على الـدكتوراه في علاج امراض القلب لكي يعود الى التدريس في جـامعة القاهـرة ولكنه عنـدمـا عـاد بـالـدكتـوراه في ابن النفيس، لم تقبل الجامعـة تعيينـه لعدم استفادتهم من دراسته.

وبـذلك تـاه اسمه في الـزحـام والنسيـان وتوفى سنة ١٩٤٥م وهـو يكافح مرض التيفـوس الذي تفشى في هذه السنة وانتقلت اليه العدوى، ولو كان في اي بلـد اوروبي لاطلقوا اسمه على أحدث جامعـاتهم تقديراً لهذا الانجاز العظيم. واذا كنـا نحن اصحــاب الشأن ننسـى علماءنـا فهل نتــوقع مـن الغـــرب ان يتذكرهم!!). ■

ان اكتشاف الدورة الدموية الكبرى التي نسبت الى وليم هيرفي اكتشاف اسلامي خالص مئة في المئة

هوامش

١– ابحــــاث واعمال المؤتمر العــالمي(الثــاني) عـن (الطب الاسلامي) المنعقد بـدولة الكـويت بتــاريخ ٤–٨ جمادي الآخــر ١٤٠٢هـ/ اشرف وتقديـم الدكتور عبـد الـرحمن العـوضي/ تحريـر د. احمد الجندي.

٢– ابن النفيس/د. بول غليونجي/ سلسلة اعلام العـرب رقم ٥٧/الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣– اكتشاف الدورة الدمـوية انجاز عـربي/د. احمد شوقي الفنجـري/ مجلــة الفيصل/ العـــدد رقم ١١٦/صفـر ١٤٠٧هـــ– اكتوبـر ١٩٨٦م.

٤–شمـس العــــرب تسطـع على الغـرب/زغـريـد هــونكـة/ الـدار الجماهيريــة ودار الآفـاق/الـدار البيضـاء ١٩٩١م.

٥– مقدمة في تـاريخ الطب العربي/ د. مـاهـر عبـد القـادر محمـد/ دار العلوم العربية/ بيروت ١٩٨٨م.

٦– في تـاريخ الطـب في الـدولـة الاسـلاميـة/د. عـامـر النجـار/دار المعارف بمصر/ ١٩٩٤م.

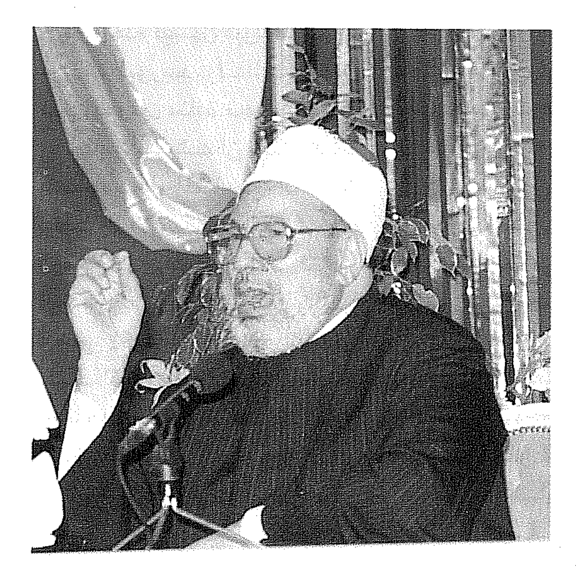
٧– اعــلام العــرب والمسلمين في الطب/د. علي عبـد اللــه الـدفــاع /مـؤسســة الـرســالــة/ بيروت ١٩٨٣م.

٨– حضـارة الاسـلام واثــرهـا في الترقي العالمي/ جلال مظهر /مكتبة الخانجي/ القاهرة ١٩٧٤م.

٩– اعـــداد من مجلات: العـــربي الكـويتيـة، والفيصـل السعـوديـة، والوعي الإسلامي الكويتية.

أكد الدكتور يوسف القرضاوي أن الأمـة الإسلامية ملتزمة بعقيدتها وشريعتها، وأن الفقه الإسلامي هو الذي يضبط الـدورة الحضارية للأمة الإسلامية.. ليكـون إيقاعها الحضاري منسجما ومتمشيـا مع أحكام الـدين الإسـلامي الحنيف.. وأن الفقـه الإسلامـي فقه شـامل يستوعب الحياة الاجتماعية والسياسية والدستورية والدولية وسائر مجالات الحياة.

وأوضح في حواره لـ «الوعي الإسلامي».. أن التيسير الفقهي أمر طلوب شرعا لأن الشريعة الإسلامية مبنية أسـاسا على اليسر، وتعليمها للناس مبني على التيسير لا على التعسير، وأن تيسير فهم الفقه يتطلب أن يكتب بلغة سهلة.. مع الاستعانة بكل وسائل الإيضاح الممكنة.. وأكد في حواره أن التيسير ليس معناه الإتيان بشرع جديـد.. وطالب بالتحرر من العصبية المذهبية.. وتناول الحوار العديد من القضايا التي تهم الأمة الإسلامية.



الدكتور يوسف القرضاوي لـ «الـوعي الإســلامي»:

يجب أن يكون للمسلمين فقه معاصر

اللغة ليست وسيلة اتصال أو أداة للتعبير فحسب بل هي انعكاس صريح لقيم المجتمع وثقافاته

حوار أجراه محمود بيومي:

■ تيسير فهمـه للعباد.. سـواء فقـه العبادات أو فقـه المعامـلات.. فما رأيكم في ذلك؟

■ لا شك أن الفقـه هـو معـرفـة الأحكـام الشرعيـة من أدلتهـا التفصيليـة.. فهـو علم القـانـون الإسـلامي الذي يضبـط حياة الفـرد المسلم والجماعـة المسلمـة بأحكـام الشرع.. سـواء منهـا مـا يختص بالعلاقـة بينه وبين الله تعالى وهـو ما ينظمـه فقـه العبـادات.. أو مـا يتصل بـالعـلاقة بين المرء ونفسـه وهـو مـا ينظمه فقه الحلال والحرام.

وكذلـك أدب السلوك الشخصي.. أو

علم القانون الإسلامي

الأمة الإسلاميـة المعاصرة.. رفعت شعار الصحوة الإسلامية من أجل عودة حميدة لكل تعاليم الإسلام.. بـاعتباره دين الحضـارة الراقيـة ودين صيانة الحقـوق الإنسانية.. والفقـه الإسـلامي في حـاجـة إلى

ما يتصل بالعلاقة بينه وبين أفراد أسرته وهو الزواج وما يترتب عليه أو ما يسمى (الأحوال الشخصية) أو ما يتعلق بتنظيم المبادلات والعلاقات المدنية بين الناس وهو مايسمى (المعاملات).. وما يتصل بالجرائم والعقوبات أي (الحدود والقصاص والتعزير). وما يتصل بين الدولة والشعب أو بين الحاكم والمحكوم وهو ما يسمى في الفقه بـ (السياسة الشرعية).. وهناك أيضا الجهاد والسير وهو ما يدخل في دائرة العلاقات الدولية.

وأضاف: أن الأمة الإسلامية أمة ملتزمة بأحكام دينها الإسلامي الحنيف.. حتى تكون حركتها للإسلام وبالإسلام.. والفقه الإسلامي مطلوب والتيسير هنا ليس استجابة لضغط الواقع أو تناغما مع روح العصر — كما قد يتصور بعض الناس - بل إن التيسير أمر مطلوب شرعا في ذاته.. يقول تعالى ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة: ١٨٥] ويقول سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ - (سورة الأنبياء: ١٠٧) — وقوله تعالى ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨].

تيسير الفهم والأحكام

* وماذا عن منهجية تيسير فهم الفقه في نظركم.. وهل تحتاج عملية التيسير إلى زيادة جرعات التوضيح.. أم إلى «عصرنة» علم الفقه ذاته؟

■ نحن نعيش في عصر «انفجار المعرفة» أو ثورة المعلومات.. وتيسير فهم الفقه للمسلم المعاصر أمر مطلوب ويتحقق هذا التيسير إذا راعينا كتابة الفقه بلغة مبسطة وأسلوب سهل بعيدا عن الإغراب في الألفاظ والتكلف في العبارات.. مع تجنب المصطلحات التي فيها كثير من الغموض، ومخاطبة المسلم المعاصر باللسان الذي يبين له «لأن المسلم في هذا القرن غير المسلم منذ قرنين أو ثلاثة».

ومن ذلك استخدام معارف العصر في بيان الحكم الشرعي وترجمة المقادير الشرعية إلى مقادير العصر.. مع استخدام بعض المصطلحات الحديثة إذا كانت عين علي فهم الأحكام الشرعية.. وحذف ما لا حاجة إليه في عصرنا من المسائل التي لم تعد قائمة في زمننا.. مثل الأحكام المتعلقة بالرق والرقيق.

الفقه والواقع

وأضاف: لابد أن يرتبط الفقه بالواقع ويبين حكمه.. فلا يصح أن نسكت عن زكاة أموال الشركات المساهمة والمصانع والعمارات.. ونتوسع في زكاة الأنعام والإبل والبقر والغنم.. فالمسلم المعاصر يسأل عن أحكام الإسلام في أعمال البنوك وشركات التأمين والبورصات وغيرها.. ولابد من بيان الحكمة من التشريع حتى يقتنع به العقل ويطمئن به القلب.. وينبغي أيضا الاستفادة مما يكتبه المختصون في هذا العصر.. مما يفيدنا في بيان حكمة الشرع واشتماله على مصالح البشر.. مثل ما يكتبه الأطباء في بيان مضار الخمر وأكل لحم الخنزير والأمراض الخطيرة التي تنشأ من اقتراف الزنا والشذوذ الجنسي.. ومثل ما يكتبه علماء الاقتصاد عن الآثار المدمرة للربا في الحياة البشرية وما يكتبه علماء النفس عن أثر الصلاة والعبادة في تكوين الشخصية السوية التي لا تنهار لأول صدمة.

وأضاف: ولابد من ربط الأحكام الجزئية بالمقاصد الكلية العامة للشريعة الإسلامية.. والتخفف من كثرة الزوائد والتعقيدات التي أضافتها العصور المختلفة وخصوصا في مجال العبادات.. حيث غدت كماً هائلا من الجزئيات التفصيلية.. وضرورة الاستفادة من كل ما كتب في عصرنا من العلماء في شتى جوانب الفقه الإسلامي ومن قرارات ودراسات المجامع الفقهية والعلمية.. ومن أجزاء الموسوعات الفقهية التي صدرت في الكويت والقاهرة ومن البحوث والفتاوي التي تصدر عن إدارات الإفتاء المختصة.. ويحسن أن يكون هناك أكثر من كتاب في الفقه يخاطب المستويات الثقافية المختلفة.. كما ينبغي الاستعانة بكل وسائل الإيضاح الممكنة التي أتاحها لنا العلم المعاصر.

العصرنة والابتداع

وهل تسهم «العصرنة» في تيسير تقديم الفقه وتقريبه إلى عقول المسلمين المعاصرين.. وكيف يمتد التيسير ليشمل أحكام الفقه حتى يتم تنفيذها والالتزام بها؟

■ أحب أولا أن أوضح أنه ليس معنى التيسير.. الإتيان بشرع جديد من عند أنفسنا نسقط به عن الناس ما فرضه الله تعالى عليهم.. أو نحل لهم ما حرّم الله عليهم.. أو نبتدع لهم في الدين ما لم يأذن به الله تعالى.. فهذا ليس من التيسير الذي نريده في شيء.. إنما نريد بالتيسير عدة أمور منها.. مراعاة جانب اليسر والرخص في الشريعة الإسلامية.. فلا ينبغي أن نعامل الناس كلهم بمستوى واحد.. فلا يطالب الضعفاء بما يطالب به الأقوياء، ولا حديث العهد بالإسلام مثل العريق في الإسلام.. ومن ذلك مراعاة الظروف والأعذار المخففة والضرورات التي تبيح المحظورات.. مع تقييدها بأن ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

وأضاف: إذا كان التيسير مطلوبا دائما فهو ألزم ما يطلب في عصرنا هذا الذي شاع فيه الغزو الفكري لديار المسلمين.. وغلبة النزعات المادية وتأثر المسلمين بغيرهم من الأمم نتيجة للبث المباشر.. والمنهج الذي أراه هو التيسير في الفروع والتشديد في الأصول.. فإذا كانت هناك وجهتا نظر أو قولان متكافئان أو متقاربان في قضية أحدهما أحوط والآخر أيسر فإني أختار الأيسر لا الأحوط.. وحجتي في هذا ما قالته عائشة رضي الله عنها: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين.. إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما» متفق عليه — ويلاحظ أن فقه الصحابة والسلف كان يتجه غالبا إلى الأيسر..

فضل اللغة العربية ليس في ذاتها وإنما في دينها وتاريخها وثقافتها

وفقه من بعدهم كان يتجه غالبا إلى الأحوط.. فالصحابة رضوان الله عليهم نجدهم أكثر الناس تيسيرا على الخلق.

ومن التيسير المطلوب.. التضيق والتحري البالغ في تكليف الناس بالأحكام، وخصوصا في مجال الفرض والتحريم. فلا يجوز التوسع في ذلك بأدنى دليل فلابد من نص صحيح الثبوت وصريح الأدلة، وقد كان السلف يتحرجون من التحريم إلا أن يكون معهم دليل لا شبهة فيه وإلا نزلوا من الفرض إلى الواجب ومن الحرام إلى المكروه.

توسيع دائرة العفو

كما يبدو من للمتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية.. أن الإسلام كان حريصا على تقليل التكاليف وتوسيع منطقة العفو.. ففي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوءكم وأن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور رحيم﴾ [المائدة: ١٠١] وفي السنة الشريفة نجد قوله ﷺ: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال.. وما حرمه فهو حرام.. وما سكت عنه فهو عفو.. فاقبلوا من الله عافيته.. فإن الله لم يكن لينسى شيئا» ـــ رواه الحاكم عن أبي الدرداء ـــ وقوله ﷺ: «إن الله قد حدّ حدودا فلا تعتدوها.. وفرض فرائض فلا تضيعوها.. وحرّم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» ـ رواه الدارقطني وحسنه النووي.

التحرر المذهبي

هل يعتبر التعصبا لمذهبي عقبة في سبيل التيسير.. وهل يعني التحرر المذهبي الاستغناء عن فقه المذاهب الفقهية المختلفة؟

■ لا شك أن المذهب الواحد قد يضيق في بعض المسائل والقضايا.. ومن التيسير المنشود، التحرر من الالتزام بمذهب واحد معين وإن ظهر ضعف دليله ومستنده الشرعي في مقابل المذاهب الأخرى.. كما أن التحرر لا يعني الاستغناء عن فقه المذاهب.. إنما أعني بالتحرر ألا يقيد الفقيه نفسه بغير ما قيده الله به ورسوله.. فيأخذ من أي مذهب كان.. ما يراه أقوى حجة وأرجح ميزانا في ضوء المعايير الشرعية.. وفي هذا توسعة وتيسير كبير.

ألا يفهم من ذلك أن ذلك دعوة صريحة للتفريق بين المذاهب الفقهية؟

■ ان التقيد بالمذاهب التزام بما لا يلزم ولا يجب دينا ولا شرعا.. إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله تعالى ورسوله ﷺ.. ولم يوجب الله ورسوله اتباع مذهب معين من مذاهب الأئمة.. إنما أوجب اتباع الكتاب والسنة.. وهذه المذاهب نشأت بعد أن اكتمل الدين وانقطع الوحي.. كما أن الأئمة المتبوعين أنفسهم نهوا عن تقليدهم ـ كما روى ذلك الحافظ ابن عبدالبر ونقله عنه ابن القيم وغيره ـ فليس في وجوب اتباعهم كتاب ولا سنة ولا إجماع وقول المقلدين بوجوب اتباع المذاهب غير معتبر لأن المقلد لا يقلد.. حتى أنهم لو أجمعوا لم يكن اجماعهم معتبرا.. لأن الإجماع المعتبر هو اتفاق المجتهدين في عصر من العصور لا اتفاق المقلدين.. كما أن العلماء المقلدين أنفسهم قد رجحوا أن العامي لا مذهب له.. وأن مذهبه هو مذهب من يفتيه من العلماء.. وجماهير المتعلمين في عصرنا هي التي تستفتينا وتسألنا أن نقدم لهم فقهاً عصرياً ميسراً.... فليس لها مذهب فقهي معين إنما مذهبها ما يقدمه أهل العلم لها مقروناً بأدلته الشرعية.

الأقليات والمذاهب الفقهية:

كما قال إننا مطالبون أن نقدم أحكام الإسلام للناس لنرغبهم في هذا الدين ونحبب إليهم أصوله وتعاليمه جعل من المقبول أن نقدم لهم نماذج أربعة أو سبعة تمثل المذاهب المتنوعة ونقول لهم ان كل مذهب من المذاهب يمثل تعاليم الإسلام... ومثل ذلك هل يمكن أن يقال لمن دخلوا في الإسلام حديثاً.. ومثلهم الأقليات والجاليات المسلمة المنتشرة في شتى أقطار العالم... إن المثقفين المعاصرين اليوم يطالبون علماء الشريعة بتقديم فقه للقضاة والمتقاضين في صورة مواد مقننة منضبطة فهل من المقبول أن نقدم لهم هذا التقنين على صورة نماذج أربعة أو أكثر فعلى الفقيه أنّ يعمل على تصحيح معاملات المسلمين من داخل الفقه ومصادر الشريعة الإسلامية وقواعدها وكثيراً ما يكون الضيق والحرج ناشئان عن التقيد بمذهب معين فلو تحررنا منه إلى إباحة المذاهب المنوعة وأقوال الصحابة والسلف وإلى النصوص والقواعد العامة لوجدنا ما يخرجنا من الضيق إلى السعة ومن العسر إلى اليسر.

الفقه الجديد

استجدت في عصرنا الحاضر العديد من الأمور التي لم تخطر ببال فقهاء الأمة من السابقين... فهل يقتضي بيان رأي الدين في القضايا المستحدثة إرساء قاعدة لفقه جديد؟

■ لا شك أن حياتنا المعاصرة وما فيها من مشكلات وتعقيدات لا تنتهي تحتاج من فقيه اليوم أن يقابلها باجتهاد جديد. بعضه انتقائي » في ضوء الأدلة والاعتبارات الشرعية وبعضه إنشائي إبداعي وذلك في المسائل التي لم يعفرها الفقه القديم. فلا بد أن يكون الفقه مادة حية مرنة تتسع لكل حاجات العصر وتغيرات الحياة المتجددة. .. فإذا كانت الشريعة الإسلامية وحي من الله تعالى والفقه عمل العقل الإسلامي في ضوء الوحي ولا شك أن التغيير الجذري في حياتنا المعاصرة يقتضي فقهاً واجتهاداً جديدين ليضبطا حركة الحياة بشرع الله تعالى وحكمه ويجب على رجال الفقه في عصرنا أن ينقحوا الكتب الفقهية القديمة لينتقوا منها ما يصلح لزمانهم وبيئتهم ويدعوا ما كان مقبولا عن زمن انقضى وبيئة تقترب وعرف انتهى لأنها ارتبطت بعلة لم تعد قائمة في هذا العصر وذلك حتى يكون لنا فقه معاصر جديد. ■

اللغة العربية لها أهمية استراتيجية على مستوى الوطن العربي فهي الرباط المقدس بينه من المحيط إلى الخليج

كلمة طيبة كشجرة طيبة

شعر:
رفعت عبد الوهاب المرصفي

أقبلتْ في ثغرها سيجارةٌ ... تنفث السّمّ سحاباً أزرقا
سألتني: هل صحيح أنك ... صرتَ في الزّهد محبّاً عاشقا؟
أخذتني من يدي.. هيّا معي.. ... قلت: في طيشك لا.. لن أغرقا
ضحكت حتى أبانت سنّها ... ثمّ قالت: ها أراك أحمقا
قلتُ والقلب يغنّي غبطة ... إنّ من كفره قلبي أُعتقا

***

كشفت عن ساقها في خفة: ... لا تُضيّع فرصةً من ذهب
غمزتني عينُها في رقة: ... لا تُضيّع موعداً للنّصب
فيه تشفي النفس من أسقامها ... وتُريح الجسمَ بعد التّعب
وقديماً قيل غامرْ دائماً ... لا تضيّع مجلساً للطّرب

***

جذبتني، ثمّ قالت: ما جرى؟ ... دَعْكَ من هذا الطريق المظلم
تترك اللهوَ وليلا أحمرا ... فيه رقصٌ تحت ضوء الأنجُم؟
أنت مازلت صغيراً فاغتنم ... لحظاتٍ من شباب حالم
ما سمعتُ اللهوَ نزْراً بيننا ... بحرامٍ في سلوك المسلم
هكذا التلفاز قال ليلة ... فاحذروا العَوْدَ لعهدٍ مظلم

***

سألتني ما الذي ما راقني ... في حياة هي رمزٌ للحضرْ
لا حرامٌ، لا قيودٌ بيننا ... أيّ خير بعد هذا للبشرْ
لا تصدّق قول جهل مغرضٍ ... ودعيٍّ يدّعي غيْب الخبرْ
قيمة الإنسان في ثوراته ... في زمانٍ حلّ فيه بالقمرْ

***

قلت مهْلاً يا فتاتي واعقلي ... فالحضارةُ خدعةٌ نشقى بها
لَوْ سألنا واحداً من قومها ... لاشتكى من قبْح إنجازاتها
دمّرتْ ماهو حلوٌ عندنا ... ما أرتنا غير قبح وجهها
لو دريْنا ما جنيْنا باسمها ... لعرفنا أيّ جُرم جُرمُها

***

رحتُ بالإيمان أتلو عدداً ... من مزايا دين ربّي الأوحد
دمعاتٌ لمعت في عينها ... هتفت: هذا طريق السّؤددِ
أعلِنوا الحقّ صريحاً واضحاً ... وانشروه بين قوم رُقّدِ
لا تخافوا قول زور عابر ... وخداعاً لأناسٍ حُسّد
ليت شعري، لا تخونوا دينكمْ ... إن أردتُم فتح عهدٍ أمجدِ

***

قلتُ حمداً لك ربّي دائماً ... أن جعلتَ العفو من أسمائكا
وجعلتَ الأمر سهلاً للذي ... يأمل القربَ إلى عليائكا
واعفُ عنّي يا إلهي ها ... قد رغبتُ العيش في آلائكا
وتقبّل دعواتي مخلصاً ... قد رغبتُ العيش في نعمائكا

نظرا لتوسع الانتاج والمشاريع الاستثمارية التي تحتاج إلى أيد عاملة مدربة تتطلع إلى الحوافز والأجر مقابل الانتاج، طفت على السطح هذه الأيام مشاركة العامل لصاحب العمل في الارباح مسألة مهمة من ناحيتين:

مشاركة العمال في الأرباح

بقلم: د. رفيق يونس المصري

مشاركة العامل في ربح المنشأة من العوامل المساعدة على اهتمامه بنتائج الأعمال

أهمية المسألة

هذه المسألة مهمة من ناحيتين:

١- من الناحية الادارية والاقتصادية: لاشك أن مشاركة العامل في ربح المنشأة أو الشركة يكون أدعى إلى إثارة اهتمامه بنتائج أعمال هذه المنشأة أو الشركة. فإذا نجحت وحققت ربحاً كانت له حصة من هذا الربح، وكان مقدار ما يعود عليه من ربح متناسبا طردا مع مقدار هذا الربح. وإذا خسرت لم يكن له شيء.

ومن البدهي أن العمل هنا يكون له عائدان:

- عائد ثابت، وهو الأجر المعلوم.
- وعائد متغير، وهو الحصة من الربح. ففي حدود العائد الثابت لا يتحمل العامل أي مخاطرة من مخاطر الخسارة المالية، ولكنه يتحمل هذه المخاطرة في حدود عائده المتغير، ويكون شريكا لرب العمل في هذه المخاطرة، بحدود النسبة المئوية التي يساهم فيها في الأرباح، ويتحدد عائد العامل في هذه الحالة بمجموع العائدين: الثابت، والمتغير.

٢- من الناحية الشرعية: فالفقه القديم الموروث أجاز للعامل أن يكون له أجر على عمله ويكون العقد في هذه الحالة عقد إجارة (إجارة أشخاص). كما أجاز الفقه له أن يشارك بحصة من الربح (حصة شائعة - أي نسبة مئوية)، وهو عقد على شركة في الربح (الصافي) بين رب المال من طرف، والعامل من طرف آخر.

لكن هذا الفقه أجاز كلا من الصيغتين على حدة، ولم يجز للعامل أن يجمع بينهما معا، أي بين الأجر والربح، أو بين الإجارة والمضاربة.

قال ابن قدامة: (لا يجوز أن يجعل لأحد من الشركاء فضل دراهم، وجملته أنه متى جعل نصيب أحد الشركاء دراهم معلومة، أو جعل مع نصيبه دراهم، مثل أن يشترط لنفسه جزءاً (نصف الربح مثلا) وعشرة دراهم، بطلت الشركة)، قال ابن المنذر: (أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على إبطال القراض إذا شرط أحدهما أو كلاهما لنفسه دراهم معلومة)، وممن حفظنا ذلك عنه مالك والأوزاعي والشافعي وأبوثور وأصحاب الرأي. والجواب فيما لو قال: لك نصف الربح إلا عشرة دراهم، أو نصف الربح وعشرة دراهم كالجواب فيما إذا شرط دراهم مفردة.

وإنما لم يصح ذلك لمعنيين

أولهما: أنه إذا شرط دراهم معلومة احتمل ألا يربح غيرها، فيحصل على جميع الربح، واحتمل ألا يربحها فيأخذ من رأس المال جزءا، وقد يربح كثيرا، فيستضر من شرطت له الدراهم.

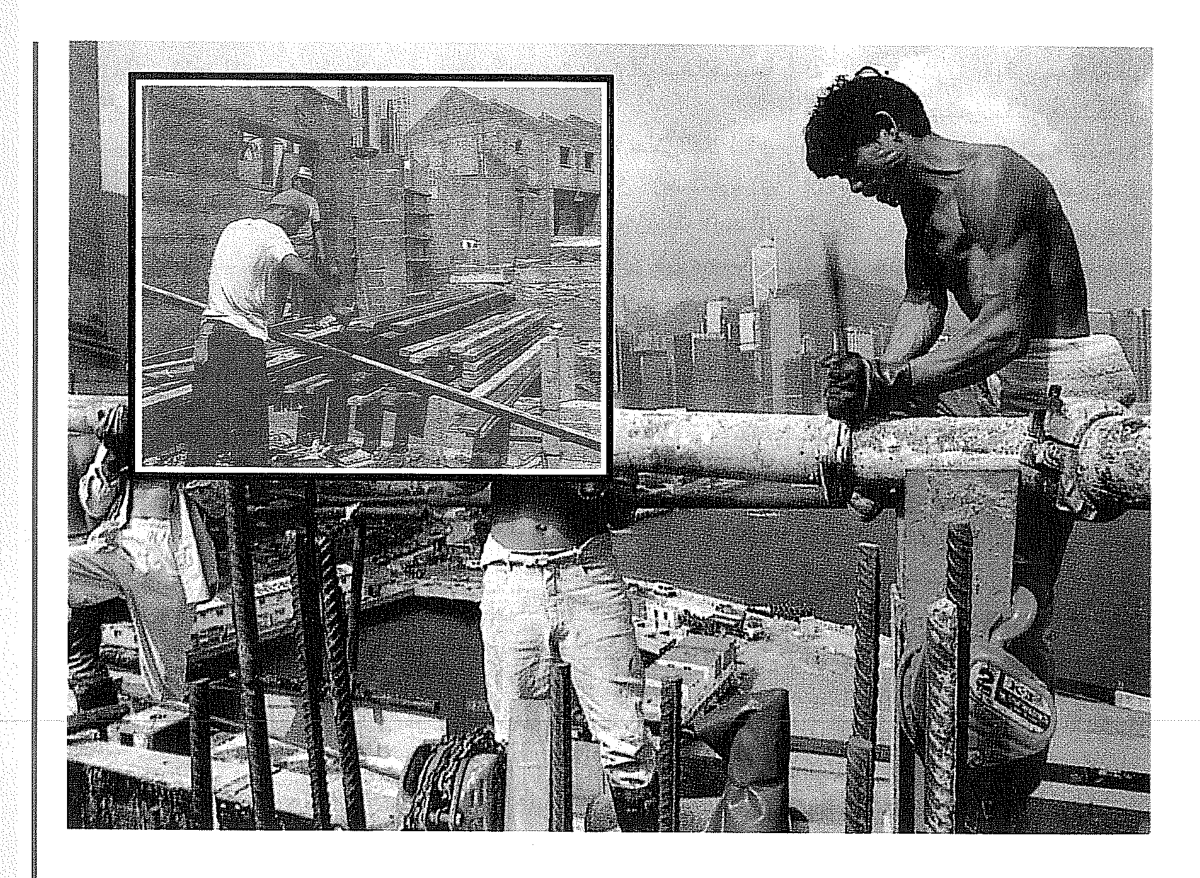
وثانيهما: (أن حصة العامل ينبغي أن تكون معلومة بالأجزاء (حصة شائعة - نسبة مئوية)، لما تعذر كونها معلومة بالقدر (مبلغ مقطوع). فإذا جهلت الأجزاء فسدت، كما لو جهل القدر فيما يشترط أن يكون معلوماً به، ولأن العامل متى شرط لنفسه دراهم معلومة ربما توانى في طلب الربح، لعدم فائدته له، وحصول نفعه لغيره، بخلاف ما إذا كان له جزء من الربح) (المغنى لابن قدامة ٥/١٤٨-١٤٩).

وقال السرخسي: (لا ينبغي له (أي للعامل المضارب) أن يشترط مع الربح أجراً، لأنه شريك في المال بحصة من الربح، وكل من كان شريكا في مال فليس ينبغي له أن يشترط أجراً فيما عمل، لأن المضارب يستوجب حصة من الربح على رب المال، باعتبار عمله له، فلا يجوز أن يستوجب، باعتبار عمله أيضا، أجرا مسمى عليه، إذ يلزم عوضان لسلامة عمل واحد له) (المبسوط للسرخسي ٢٢/١٤٩، وقارن المضاربة والمشاركة لوسيم لبابيدي - لندن - شركة بارك لين، ص١٤٨ و١٩١ و١٩٨ و٣١٤ و٣١٩، ومجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الاقتصاد الإسلامي لعام١٤١٤هـ = ١٩٤٤م، ص٨٥).

سبب المنع

وقد يكون سبب المنع هنا أن العمل الواحد يكون له عائدان أو

بعض الأدلة الفقهية اجازت للعامل أن يكون له أجر على العمل ومشاركة بحصة في الربح



يكون له العائد مرتين، أي يكون العائد مزدوجاً، وربما يؤكد هذا الفهم للنص ماقاله الماوردي: (لا يستحق على عمله في مال واحد عوضين: أجرة وربحاً) (الحاوي الكبير للماوردي ٩/١١٧).

وهذا أمر بدهي في النظرية والتطبيق، إذ لا يمكن له أن يتقاضى عن كامل عمله أجرة، ثم يتقاضى عنه ربحاً. فالواجب أن يجعل عمله قسمين: قسم يأخذ عنه أجراً، وقسم آخر يأخذ عنه ربحاً، فلا ازدواج عندئذ.

ويلاحظ في نص السرخسي أنه قد يكون فيه خطأ مطبعي عند قوله: (شريك في المال) وقوله: (شريكا في مال)، صوابه: (شريك مع رب المال) و(شريكا مع رب مال)، لأن العامل شريك في الربح، لا في المال، فحصته في الشركة حصة عمل لا حصة مال.

وعلى هذا فإن المسألة مهمة في الاقتصاد والإدارة، وعامة البلوى في عصرنا الحاضر، حتى لا يكاد يصدق أحد من غير الفقهاء (المختصين) أنها غير جائزة.

ولكنها مع أهميتها فهي ممنوعة في الفقه الموروث. ترى هل نستطيع أن نقنع العامل فقها بأنها حرام؟ ترى هل هذه الحرمة مؤسسة شرعا على أدلة قوية تجعلها حراماً فعلاً؟

هذا ما سنراه في هذا المقال.

يبدو أن الفقهاء قد منعوا أياً من الطرفين في عقد المضاربة (القراض)، أو الشركة، من أن يأخذ مبلغاً ثابتاً معلوماً. وعللوا ذلك بأن الإجارة والشركة عقدان متنافيان، لأن الأجر قد يؤدي إلى قطع الشركة. وقطع الشركة يعني أن هذا المبلغ المعلوم إذا كان مائة مثلا، فربحت الشركة مائة، أو أقل، فإن الشريك الذي يحصل على هذا المبلغ المعلوم يكون قد ظفر بشيء، وشريكه الآخر لم يظفر بشيء. هذا هو معنى قطع الشركة في الربح، بمعنى أن المبلغ المعلوم لأحد الشريكين قطع نصيب الشريك الآخر في ربح الشركة (انظر المغني لابن قدامة ٥/١٤٨، والمبسوط للسرخسي ١١/١٥٩، وغيره).

ولهذا السبب رأى بعض فقهاء الشيعة الزيدية أن عقد الشركة إذا نص على مبلغ معلوم من ربح الشركة، إذا زاد هذا الربح عليه، جاز.

قال في البحر الزخار ٤/٨٢: (إن قال لأحدهما: على أن لي عشرة، إن ربحنا أكثر منها، أو ما يزيد عليها، صحت، ولزم الشرط، إذ لا مقتضى للفساد). وتبعه في ذلك الدكتور الصديق الضرير (الغرر وأثره في العقود، ص٥١٩)، والشيخ علي الخفيف (الشركات، ص٧١و٨٥)، وعزاه تارة إلى بعض الفقهاء دون بيان أسمائهم، وتارة إلى الحنابلة، مشيرا إلى كشاف القناع، دون بيان الجزء والصفحة (ولم أجده فيه).

وأقر ذلك مؤتمر المصرف الإسلامي الثاني في الكويت (٦-٨ جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ)، وندوة البركة الأولى للاقتصاد الإسلامي في المدينة المنورة (١٧-٢١ رمضان١٤٠٣هـ).

هذا وقد أجاز هؤلاء العلماء هذا الشرط لكلا الطرفين، وإني أرى جوازه للعامل دون رب المال، لأن مركز رب المال مختلف في الفقه عن مركز العامل (انظر كتابي: أصول الاقتصاد الإسلامي، ط٢، ص٢٢٥، وبحثي مشاركة الأصول الثابتة في مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبدالعزيز، صيف ١٤٠٥هـ، ص٢٣ و٢٥). وحديثنا في هذا المقال عن العامل فقط، دون رب المال.

الاستدلال لجواز الجمع بينهما

يستطيع العامل، بلا أي نزاع فقهي، أن يأخذ أجره، في عقد الإجارة، في صورة مبلغ ثابت معلوم، ورب العمل قد يحقق بعد ذلك ربحاً أو خسارة، والربح الذي يحققه قد لا يتجاوز مبلغ الأجر الذي دفعه للعامل (أو للعمال)، وعندئذ لا يستطيع رب العمل أن يرجع على العامل بشيء، ولا يستطيع أن يحتج بأن أجر العامل قد قطع عليه طريق الربح.

كأن يستطيع العامل أن ينال عائده كله في صورة مبلغ مقطوع، فلماذا لا يستطيع أن ينال جزءاً من عائده في صورة مبلغ مقطوع، والجزء الآخر في صورة حصة من الربح؟ وهذا أفضل للعامل ولرب العمل معاً. فهو أفضل للعامل لأن عائده يزيد بزيادة الربح، وأفضل لرب العمل لأن العامل يصير أكثر اهتماما بتحقيق الربح.

فالإجارة والشركة هنا لا تبدوان متنافيتين، بل هما منسجمتان ومتعاونتان على تحقيق مصالح الشريكين، من دون أي مخالفة شرعية.

إذا كانت الإجارة جائزة بلا نزاع، فإن الانتقال من الإجارة إلى الشركة، كلياً أو جزئياً، لابد أن يكون أولى بالجواز، لأن مصالح الشريكين تصبح متفقة غير متعارضة، فلا يأخذ أحدهما أجره كاملاً، ويبقى الآخر على الكامل الخطر (انظر فتاوى ابن تيمية ٣٥٦/٢٠ وفي مواضع أخرى كثيرة، وأعلام الموقعين لابن القيم ٣٨٧/١، وإغاثة اللهفان له أيضا ٧/٢ و٤٠-٤٥).

ثم إن قطع الشركة ليس إلا مجرد احتمال، لأن المتوقع من عقد الشركة هو تحقيق أرباح كافية، وإلا لما أقدم الشركاء عليه.

دفع بعض الاعتراضات المحتملة

قد يقال إن العامل إذا أخذ أجراً مقطوعاً عن جزء من عمله، فإنه قد يسترخي في النشاط والإنتاج، ويقصر في تعظيم ربح الشركة (كما قال صاحب المغني ١٤٩/٥، وقد مرّ نصه).

جواب هذه الحجة أن هذا الاسترخاء والتواني والتكاسل أمر وارد أيضا حتى في حالة كون العامل يعمل بأجر مقطوع، ومع ذلك فالإجارة هنا جائزة. ويمكن القول هنا بأن العامل إذا أثبت ربُّ المال تقصيره وتفريطه يمكن له محاسبته ومساءلته ودياً وقضائياً، سواء أكان هذا العامل يعمل بأجر، أم بحصة من الربح، كما أن رب المال غير مجبر على اختيار هذه الصيغة، إذا عرف أن أخلاق العامل أو طباعه تسمح له بمثل هذا التقصير والتفريط. فكل صيغة من صيغ العائد تصلح لحالة دون أخرى، بعد المقارنة بين مزايا كل صيغة ومساوئها.

وقد يقال إن عامل المضاربة جاز له أن يكون شريكاً في الربح، لأنه هو المتصرف المدبر. معنى هذا أن العامل إذا لم يكن لعلمه تأثير في إنتاج الربح لم يجز له الاشتراك في الربح. وهناك حالات لا يكون فيها للعامل هذا التأثير.

جواب هذه الحجة

١- أن أي عامل في منشأة لابد وأن يكون له تأثير في تحقيق الربح، بطريقة أو بأخرى، بدرجة أو بأخرى. بوجهٍ أو بآخر ودراسات الجدوى والحكمة الإدارية تقتضي ألا يعين أي عامل في المنشأة إلا إذا كانت له إضافة على إيرادها، ومن ثَّم ربحها.

٢- العامل لن يجعل جزءاً من عائده في صورة عائد متغير إلا إذا كانت له ثقة برب العمل، وإلا آثر أن يكون عائده كله أجراً مقطوعا.

٣- رب المال يدفع ماله إلى العامل المضارب، ولا يشترك معه في إدارة العمل والتصرف (اللهم إلا من خلال شروط عقد المضاربة)، ولم يقل أحد إنه لا يجوز له الشركة في الربح، لأن القرار ليس بيده، إنما بيد العامل.

وعلى هذا فليس لهذه الحجة من أثر في تغيير الحكم الشرعي (عنصر غير مؤثر في الحكم).

وأخيرا انني أرى أخيرا جواز جمع العامل بين الأجر والربح، فلم أجد أدلة قوية واضحة لمنع هذا الجمع، ويترك الأمر لمصالح الطرفين، إن شاؤوا فعلوا ذلك، وإن شاؤوا لم يفعلوا، فكلاهما جائز، والترجيح بينهما عائد للمصالح المرسلة.

ولو تركنا ـ جانبا ـ المعالجات الفقهية الدقيقة، والغوص في التفاصيل والتفاريع، هل يمكن لفقيه ـ بالحس العام ـ أن يمنع عاملا من أن ينال حصة من الربح، فوق أجره، سواء أكان ذلك بشرط أم بغير شرط؟■

العامل لن يجعل جزءاً من عائده في صورة عائد متغير إلا إذا كانت له ثقة برب العمل

الاسلام والفساد... لا يجتمعان

المفاهيم الخاطئة تعتبر أن محاربة الاسلام للفساد الخلقي تتعارض مع الحرية الشخصية

فَسَد يَفْسِدُ فَسَاداً فهو فاسد، ويقال فسد الرجل: جانب الصواب وجاوز الحكمة، وفسد الطعام: عطب وتلف، وفسد العقد أو الوضوء أو نحوهما: بطل وانتقض، وفسد الحال أو الأمر: اضطرب وأصابه الخلل.

وأفْسَد يُفْسِدُ إفسادا: جعله فاسداً، وافساد مصدر أفسد، وفاسد: باطل، وعاث في الأرض فسادا: أفسد، وتفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام، واستفسد الشيء: عمل على أن يكون فاسدا، والفساد: التلف والعطب والاضطراب والخلل والجدب والقحط وإلحاق الضرر، والمفسدة: الضرر.

بقلم: معالي عبدالحميد حمودة

يخطيء من يظن أن الفساد الذي يحاربه الاسلام هو الفساد الخلقي فقط، ومن جهة أخرى يعتقد كثير من غير المسلمين أن الاسلام (يركز) فقط على محاربة الفساد الخلقي، وهم يرون ـ بحكم مفاهيمهم الخاطئة عن الاسلام ـ ان محاربة الاسلام للفساد الخلقي تتعارض مع الحرية الشخصية؟ وان الحدود التي حددها الاسلام لمحاربة الفساد الخلقي هي من (قوانين العصور الوسطى؟) التي لا تصلح لحياة (التقدم) و(المدنية) الخ.

وعندما نتحدث عن الفساد، فاننا نخاطب أولئك المسلمين ـ وغير المسلمين ـ الذين يظنون أن الفساد الذي يحاربه الإسلام هو الفساد الخلقي فقط، فالحقيقة أن الاسلام يحارب الفساد بكل صوره وأشكاله وأنواعه، يحارب فساد العقيدة، وفساد المعاملات، وفساد السلوكيات، والفكر الفاسد، والثقافة الفاسدة، وكل عمل يجلب الاضطراب والخلل وإلحاق الضرر بالمسلمين والناس.

وإذا تصفحنا كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نجد أن جميع الانبياء والرسل عليهم السلام كانوا ينهون عن الفساد كل في بيئته الرسالية، وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تنهي عن الفساد في كل صوره وأنواعه وفي كل زمان ومكان، نذكر من تلك الآيات قوله تعالى:

﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾(١)

وينهى الله عز وجل عن الإفساد في الأرض، يقول عز من قائل:

﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾(٢)

ويقول تبارك وتعالى:

﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾(٣)

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون. إلا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾(٤)

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون﴾(٥)

﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين﴾(٦)

(الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب. ان ربك لبالمرصاد﴾(٧)

وقمة الافساد في الأرض اليهود، قال تعالى عنهم:

﴿.. كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين﴾(٨)

ويقول تعالى:

﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾(٩)

ويخبرنا الله تعالى عن دعوة شعيب عليه السلام لقومه (قوم مدين):

﴿... ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾(١٠)

وهذا لوط عليه السلام يدعو الله أن ينصره على القوم الذين أفسدوا فسادا خلقيا مروعا:

﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين﴾(١١)

ويخبرنا الله تعالى عن رسوله

الكريم صالح عليه السلام، الذي نهى قومه - ثمود - عن الفساد:

﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين. الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾(١٢)

أي منهج للاصلاح؟

يرى البعض عندما نطالب باصلاح مجتمعاتنا العربية الاسلامية من الفساد، يرى أولئك أن نتجه إلى الغرب لنأخذ منه منهج اصلاح مجتمعاتنا! أي أنهم يستلهمون الغرب في منهج الاسلام، وهم للاسف لا يراعون في ذلك اختلاف الدين، والبيئة، والعرف والتقاليد.

والحقيقة أن نظرة هؤلاء نظرة قاصرة، وهروب من مواجهة المسؤولية: مسؤولية اصلاح مجتمعاتنا العربية الاسلامية، ذلك انهم يذكرون رأيهم وينتهي الأمر.

فإذا كان هناك - وهو موجود - فساد في بعض النظم السياسية. أشاروا علينا بنظم الغرب السياسية، وإذا كان هناك - وهو موجود - فساد في بعض نظمنا الاقتصادية. (نصحونا بشدة) بنظم الغرب الاقتصادية، وإذا كان هناك - وهو موجود - فساد اجتماعي في بعض أحوالنا الاجتماعية. قالوا لنا - بالفم المفتوح - أن نقلد الغرب في هذا المجال بالذات!.

وهكذا يقدمون لنا النصائح ببدائل لا يمكن أن تتفق نهائيا مع تعاليم ديننا، وبيئتنا، وتقاليدنا، ولا يمكن أن تفلح تلك البدائل في اصلاح الفساد الموجود في مجتمعاتنا. ولا نبالغ عندما نقول: ان الفساد الموجود في بعض مجتمعاتنا المسلمة مرجعه أولا: إلى ابتعادنا عن المنهج الاسلامي الذي حدده لنا الكتاب والسنة، وثانيا: إلى أننا فعلا أخذنا كثيرا مما أفرزه الغرب الينا، وليس من قبيل التعصب أن نقول: إن كثيراً من ألوان الفساد المتعدد في مجتمعاتنا وفد الينا من الغرب.

الرسل والرسالات السماوية كلها تنهى عن الفساد وليس الاسلام وحده

وبداية فكل تلك البدائل التي يطرحها بعضنا تندرج تحت هدف واحد هو تذويب شخصية الأمة الاسلامية تحت شخصية أخرى، وأن نتحول إلى تابعين، وأن نكون في النهاية قافلة من الاذلاء.

هم يريدون اذن تذويب شخصية الأمة الاسلامية في شخصية أخرى، وتنكيس راية الأمة الاسلامية لترتفع راية أخرى، وذلك يعني بوضوح الغاء الاسلام والعياذ بالله من كل جوانب حياتنا، ليصبح الاسلام كما يريدون (شيئاً يوضع في المتاحف نزوره في كل مناسبة اسلامية).

ان اصلاح مجتمعاتنا العربية الاسلامية من الفساد المختلف الذي تسلل الينا، يكمن في التمسك بشريعة الله عز وجل، وكذلك بالنسبة للفساد في بعض نظمنا السياسية، اصلاحها يكمن في العودة إلى ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في هذا المقام، قال تعالى آمرا المسلمين جميعا في كل زمان ومكان:

﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون﴾(١٣)

فالحكم لله رب العالمين، والحكم لله لا يعني كما يقول بعض المتفيقهين أنه حكم ثيوقراطي، كلا ان الاسلام لا يعرف الحكم الثيوقراطي، ولا يعرف اجرام ومظالم العصور الوسطى التي حكمت حياتها بمظالم ومفاسد بعد انحراف الدين المسيحي عن منابعه الأصلية، ان العصور الوسطى المظلمة (اصلا ليست عصورا اسلامية) هي العقدة التي تسيطر على كثير من الناس، في حين أن الاسلام لم يدع إلى ما فعلته العصور الوسطى من خروج على الدين واقرار هوى المخلوقات للحكم بها على رقاب غير المسلمين.

إن الحكم في الاسلام لله، ومادام الحكم لله فإن قوانين الشريعة الاسلامية يتحقق لها الثبات الدائم بخلاف القوانين الوضعية التي يشرعها بعض الناس لحماية المبادىء التي يعتنقونها وخدمة الانظمة التي يقيمونها، ومادام الحكم لله فإن قوانين الشريعة الاسلامية ستكون موضع الاحترام والثقة بها لأنها من عند الله سبحانه، وهذا كله يبعث على الطاعة، لأن الطاعة تقرب من الله عز وجل، وفي الاجمال فإن فساد بعض الأنظمة السياسية لن يكون له وجود في مجتمعاتنا إذا حكمنا بما أنزل الله تعالى.

وبالنسبة للفساد في بعض أنظمتنا الاقتصادية، فهذا راجع إلى عدم تطبيق المنهج الاسلامي في الاقتصاد (هذا المنهج الذي يحارب محاربة شعواء من اعداء الاسلام) وبخاصة ان نظام الاقتصاد الاسلامي لا شبيه له بين النظم الاقتصادية المعاصرة، فهو فريد في بابه ونسيج وحده، من ذلك مثلا: اقرار الاسلام للملكية الفردية، ومع ذلك فالاسلام يحارب تكديس الأموال وجمعها في أيدي فئة قليلة، والاسلام وضع التشريع الذي يحفظ أموال الناس: الأمة والأفراد، ومنها - وهو ركن ركين - الزكاة التي تخفف من طغيان رأس المال، ثم نظام التوريث لمنع تكديس الأموال في أيد قليلة، فقانون التوريث الاسلامي يساعد على توزيع الثروة على أكبر عدد ممكن من الذرية، ووسع دائرة الانتفاع بها، فكل أبناء المتوفى من ذكور واناث لهم الحق في الميراث، بعكس - مثلا - القانون الانجليزي الذي يقضي بانتقال ثروة الأب إلى الابن الأكبر!.

والاسلام جعل للفقراء نصيبا من الغنائم والفيء، وحرم الاسلام كنز الأموال، بمعنى تخزين الأموال وعدم اخراج زكاتها، وعدم استخدام تلك الأموال في الانتاج الاقتصادي واستغلال موارد الأمة الاقتصادية المختلفة.

والاسلام وضع قواعد لحفظ أموال الأمة الإسلامية والمسلمين،

وحرم الربا تحريما تاما، وحرم أكل أموال الناس بالباطل، وحرم الرشوة وغير ذلك كثير.

وإذا تأملنا الفساد الموجود في حياتنا الاجتماعية، وجب علينا أن نتذكر دائما حرص الاسلام على حماية الأعراض، تلك الحماية التي تبدو في العقوبات المحددة في حالات الزنا، وهتك العرض، والقذف، بل في تحريم الغيبة والنميمة، والتجسس، والهمز واللمز والتنابز بالألقاب..

وإذا تحدثنا عن الزنا باعتباره أكبر وأخطر صور الفساد الاجتماعي والاخلاقي، نجد الهجوم الكبير (المتعدد الجنسيات) ضد الحدود التي حددتها شريعة الله، ويبدأ ذلك الهجوم بترديد مقولات فاسدة كأن نقول: إن تطبيق الحدود في الشريعة الاسلامية لا يتناسب مع روح العصر أو أن الزنا ما هو الا ثمرة حرية شخصية! وغير ذلك.

ونقول لهم لماذا صرختم كالنساء اذن عندما فتك — ولا يزال — طاعون «الايدز» بعشرات المئات من أصحاب الدعوة إلى الحرية الشخصية؟ وأصحاب مقولة أن الزنا تفاعل طبيعي بين الجنسين من دون زواج؟ وأصحاب الترويج للشذوذ الجنسي، وغيرذلك على الرغم من أن (كتبهم) المقدسة تحرم الزنا واللواط وغير ذلك..

فلماذا الهجوم على ما وضعه الاسلام من حدود لحماية الاعراض والانساب؟ لماذا الهجوم على العقوبات التي وضعها الاسلام لمحاربة الزنا وباقي الجرائم الخلقية؟ أليس سر هذا الهجوم أن القصد منه (فقط) مهاجمة الاسلام؟

عندما ظهر طاعون (الايدز) نتيجة للزنا والعهر والفحشاء والشذوذ الجنسي نادى بعض عقلاء الغرب بضرورة الأخذ بتعاليم الاسلام في هذا المقام، لأن تعاليم الاسلام هي طوق النجاة الوحيد من (الايدز). هل عرفتم ماذا حدث بعد ذلك؟ انطلقت اقلام تلاميذ الحروب الصليبية تهاجم عقلاء الغرب وتتهمهم بالخلل العقلي؟

وختاما..

فإن الاسلام والفساد لا يجتمعان، والاسلام حارب كل صور الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والخلقي والثقافي. إن القضاء على هذا الفساد يكمن في أن تحيا جميع مجتمعاتنا كما أمر الله تبارك وتعالى وأن تكون الشريعة الغراء هي التي تحكمنا وتحدد كل أمور حياتنا من الألف إلى الياء..

هل تأملنا مثلا قوله تعالى:

﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾(١٤)

ان هذا الفساد المنتشر برا وبحرا انما هو ناتج عن انحراف كثير من الناس عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وناتج عن التخلي عن تعاليم الخالق الأوحد سبحانه وتعالى، وناتج عن ابتعاد الناس عن تقوى الله، وكان الجزاء ان انتشر فيهم — والعياذ بالله — الشيطان فأفسدوا.

وننبه في هذا المقام إلى أن اللعنة التي يصبها الله على المفسدين، والعذاب الذي ينزله الله بهم ليس خاصا بهم فحسب، لكن تلك اللعنة ربما تمتد إلى كل من يرى هذا الفساد ويصمت عن قول الحق، وذلك العذاب يمكن أن يصب أيضا فوق رؤوس أولئك الذين لا يعملون على تغييره طبقا لموازين الاسلام.

إن الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح، والتقوى هذا كله يشكل أهم الأسس التي تقاوم الفساد وتمنع ظهوره، قال عز من قائل:

﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾(١٥)

انها دعوة نطلقها من فوق منبر مجلة الوعي الاسلامي إلى كل المسلمين والمسلمات، بأن نحارب الفساد، هذا الفساد لا نحاربه (كما يظن البعض) بأن نشعل الحرائق في حانات الخمور، أو نطلق الرصاص على صاحب ماخور من المواخير الليلية، أو نغتال مسئولا إعلاميا لا هم له سوى عرض ما يثير غرائز الشباب على شاشات التلفاز ....الخ، كلا، هذا ليس من الاسلام، فهناك ولي الأمر المسؤول أمام الله عز وجل عن كل شيء، وهناك العلماء الذين هم ورثة الانبياء، وهناك المسلمون والمسلمات، وكل منا له دور وعليه واجبات في محاربة الفساد، حددها الاسلام وبينتها السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن من يقف ضد الفساد، ويحاربه، يكون في رعاية الله تعالى وحفظه، وأن من يسمح بهذا التلف العريض، والاضطراب والخلل، وإلحاق الضرر بالمسلمين والمسلمات في جميع جوانب حياتهم، يكون قد ناصب الله المنتقم الجبار العداء، وعندما يحين أجله سيأخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر.

فالله — أيها الناس — لا يحب الفساد. ■

هوامش

١- [المائدة/٣٣].
٢- [الأعراف/٥٦].
٣- [سورة البقرة/٢٧].
٤- [سورة البقرة/١١و١٢].
٥- [سورة النحل/٨٨].
٦- [سورة القصص/٤].
٧- [سورة الفجر/ ١١ ـ ١٤].
٨- [سورة المائدة/٦٤].
٩- [سورة الأعراف/١٠٣].
١٠- [سورة الأعراف/٨٥].
١١- [سورة العنكبوت/٣٠].
١٢- [سورة الشعراء ١٥١و١٥٢].
١٣- [سورة الأعراف/٣].
١٤- [سورة الروم/٤١].
١٥- [سورة ص/٢٨].

منهج الامام البخاري في تأليف صحيحه

إذا كان رسول الله ﷺ في أول الأمر قد نهى عن كتابة الحديث، خوفا من أن يلتبس بالقرآن، وكان معظم الصحابة رضي الله عنهم قد انشغلوا بالقرآن حفظا وكتابة. فإن الحديث لم يحظ ـ نسبيا ـ بالعناية التي حظي بها القرآن من حيث التدوين.

ومن ثم فإن تدوين السنة وتصنيفها، أي ضم الأحاديث ـ التي من نوع واحد في الموضوع ـ بعضها إلى بعض لم يتم إلا في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وهذا لا يعني أن كتابة السنة لم تكن معروفة من قبل، أي في حياة الرسول ﷺ وحياة الصحابة رضوان الله عليهم، بل في هذا العصر وجدت صحف كثيرة جمعت فيها نخبة لا بأس بها من الأحاديث، إلى جانب ما حفظ منها في الصدور، ومن هذه الصحف مثلا، الصحيفة الصادقة لعبد الله ابن عمرو بن العاص، والصحيفة الصحيحة، وهي إحدى صحف أبي هريرة التي رواها عنه همام ابن منبه.

كما أن عملية تدوين السنة فكرة قد خاطرت الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قبل، إلا أنه سرعان ما عدل عن تنفيذها لخوفه أن يأمر الصحابة بذلك فينكبوا على تدوينها ويتركوا كتاب الله تعالى، أو يلبسوه بها.

من أجل هذا وذاك، فإن تدوين الحديث لم يتم بمعناه

بقلم ـ عبدالإله ولد عيسى

الواسع إلا في عهد الخليفة عمر ابن عبد العزيز وذلك بعد استشارة العلماء في عصره وموافقة أكثرهم لرأيه، فكاتب عامله بالمدينة أبابكر بن محمد ابن عمرو بن حزم يأمره بكتابة وتدوين ما وفق لجمعه من السنة، ثم بعد ذلك كاتب غيره من عماله في مختلف الأمصار، وهكذا حتى شاع التدوين وانتشر وشمل مختلف العلوم.

وتجدر الإشارة إلى أن تدوين السنة يتميز ويختلف تبعا لاختلاف طبقات الأئمة الذين اعتنوا به، إذ انه في عصر أوساط التابعين كان ممزوجا في غالب الأحيان بفتاوى الصحابة والتابعين وخير مثال على ذلك (موطأ الإمام مالك رحمه الله)، أما في عصر أتباع التابعين. فقد حاول العلماء تدوين السنة خالية من فتاوى الصحابة والتابعين، ومثال ذلك مسند الإمام أحمد رحمه الله، على الرغم من أن هذا الأخير يدخل في عصر أتباع التابعين، وأما في عصر أتباع تابعي التابعين فقد اعتنى العلماء بتدوين السنة الصحيحة وحدها، مرتبة على الأبواب، وخير مثال على ذلك صحيحا البخاري ومسلم رحمهما الله، وأما في عصر المتأخرين عن عصر الرواية، فقد اقتصر عملهم على تهذيب أو شرح او اختصار الكتب الصحيحة المشهورة.

والذي قصدته ـ من وراء سرد المراحل التي مر عليها تدوين السنة والكتب التي دونت فيها ـ هو الوقوف عند صحيح الامام البخاري، لتحديد ترجمته، والتعريف بمصنفه، والوقوف على المنهج الذي اعتمده الامام في تأليف صحيحه.

البخاري في سطور(١)

هو أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري، ولد سنة ١٩٤هـ، في مدينة بخارى بخراسان وسط أسرة متدينة، توفي أبوه والبخاري لا يزال طفلا، فكفلته أمه من بعده، فنشأ تحت رعايتها، وأخذ يحفظ القرآن والحديث وهو دون العاشرة من عمره،وكان يختلف إلى الشيوخ والعلماء ويلازم حلقات دروسهم. ولما بلغ السادسة عشرة. خرج من بخارى راحلا إلى الحج بصحبة أمه وأخيه، حتى إذا انتهت مناسك الحج رجعت أمه وأخوه وتخلف هو لطلب الحديث، ثم رحل بعد ذلك إلى المدينة، ثم بعدها توالت رحلاته وتتابعت في سبيل الحديث والرواية حتى شملت أغلب الحواضر العلمية في عصره، مما أهله لتوسيع مداركه وتكثير روايته، لكن مع التحري في اختيار شيوخه، وممن تتلمذ عليهم

اعتنى العلماء بتدوين السنة الصحيحة مرتبة على الأبواب وخير مثال على ذلك صحيح البخاري

من الشيوخ ـــ أذكر على سبيل المثال منهم ـــ الامام أحمد بن حنبل، واسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني وغيرهم، وأما من تتلمذوا عليه ورووا عنه فخلق كثير، منهم على سبيل المثال: مسلم بن الحجاج، وأبو عبدالرحمن النسائي، وأبو عيسى الترمذي، وأبو القاسم البغوي وغيرهم.

أما عن آثاره فيذكر(٢) أنه خلف وراءه سبعة وعشرين مؤلفا وعلى رأسها كتابه الجامع الصحيح. والامام البخاري كغيره من الأئمة، تعرض في أخريات حياته لمضايقات كثيرة وابتلاءات متعددة. وكانت وفاته رحمه الله سنة ٢٥٦هـ، بعد أن قضى حياة مليئة بالجهاد في طلب العلم وتحصيله والتأليف فيه.

منهجه في الحديث

وضع الإمام البخاري ـ لنفسه وللعلم وللناس ـــ منهجا علميا فريدا، واسلوبا مبتكرا في علم الحديث وروايته، لم يسبقه أحد إليه، ولم يلحقه فيه، وكان فيه أستاذ الأساتذة وطبيب الحديث في علله، كما وصفه تلميذه به ومعاصره الإمام مسلم، وقد شمل منهجه طريقة أخذ الحديث، وجمعه، واختيار الشيوخ والرواة، ورجال الاسناد، فأما طريقة أخذ الحديث، فهو لا يأخذ إلا عن الرواة الثقات، ولا يروي حديثا إلا مسندا. ففي هذا الباب يقول: (كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة، وليس عندي حديث لا أذكر اسناده)، ومن أجل ذلك كان اهتمامه أشد بمعرفة حال الرواة وبكيفية تلقيهم للحديث حتى يطمئن إلى أخذه عنهم، وهذا ما أشار إليه بقوله: (لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء، كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وحمل الحديث إن كان فهما، فإن لم يكن سألته أن يخرج إلي أصله ونسخته. أما الآخرون، فلا يبالون بما يكتبون)(٣)

وأما طريقته في تلقي الحديث وحمله، فهو تارة يحدث بالاسناد نازلا، وتارة أخرى بالاسناد عاليا، حتى يستفاد منه أن الاسناد العالي حذف منه، أو أن الاسناد النازل قد زيد فيه، وهذا هو المقصود من قوله: (لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه)(٤) ففي هذا القول يتبين لنا تحديد الامام لطبقات الرواة ورجال الاسناد الذين يأخذ عنهم، والذين ينبغي للمحدث أن يروي عنهم.

ـ أما طريقته في كتابة الحديث، فقد راعى فيها جانبي الزمان والمكان: فمن حيث الزمان، نجد أنه استغرق في تأليف مصنفه ستة عشر عاما، وكان يعد نفسه لكل حديث بالغسل والصلاة، وأما من حيث المكان: نجده قد فضل الحرمين الشريفين لتنفيذ مهمته، إذ انه ألَّفه في المسجد الحرام، ووضع تراجمه بين قبر الرسول ﷺ ومنبره، ومن هنا نستنتج أن طول المدة التي استغرقها الإمام في تأليف الصحيح تؤكد شدَّة تحريه وطول بحثه وكبير استيعابه، كما أن اختيار الحرمين الشريفين يدل على تقدير المسؤولية في اختيار الصحيح وانتقائه، وهذا كله يوحي بجلال المهمة التي تصدى لها الامام، وقدرها حق قدرها.(٥)

وأما ما يشترطه الامام البخاري في رواية الحديث الصحيح، فيمكن استيعاب ذلك من زاويتين: زاوية التسمية التي أطلقها على كتابه، وسيأتي التعريف به، وكذا زاوية الاستقراء من تصرفه، فهو قد أطلق عليه (الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور الرسول ﷺ أو سننه وأيامه) فهو (الجامع) بمعنى أنه لم يختص بصنف دون صنف بحيث انه أورد فيه الأحكام والقضايا، والأخبار والآداب وغير ذلك، وهو (الصحيح)، بمعنى أنه ليس فيه شيء ضعيف، وهو (المسند) بمعنى أنه لم يخرج فيه إلا الأحاديث المتصلة الاسناد ببعض الصحابة عن النبي ﷺ من قوله أو فعله أو تقريره.(٦) ومن هنا يمكن القول بأنه: يشترط في صحة الحديث، أن يكون متصلا أو أن يكون رواته عدولا، وأن يخلو من العلة، أي لا تكون فيه علة قادحة، ولا شاذا يخالف راويه من هو أكثر عددا منه وأشد ضبطا.

التعريف بالجامع الصحيح

تصف الأمة الاسلامية صحيح البخاري بأنه أصح كتاب بعد القرآن الكريم، فهو الأثر الخالد للامام البخاري، الذي جمع فيه ما صح عنده من سنة الرسول ﷺ، وما سمعه من أكثر من سبعين ألفا من الثقات، وقد اشتغل في جمعه ست عشرة سنة، وانتخبه من زهاء ستمائة ألف حديث، فكان نحو ألفين وخمسمائة فقط كلها مسندة متصلة دون ما فيه من التعليقات وأقوال السلف وغيرها،(٧) وقد جاءت تسميته في مقدمة فتح الباري من قبل البخاري نفسه بـ «الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» كما يطلق عليه (الجامع) و(الصحيح)، ومن البواعث التي دعته إلى تأليفه ما ذكره الدكتور محمد عبدالرحمن بيصار في مقال له بمجلة دعوة الحق.(٨) وهو ما يلي: وكان سبب تأليفه الكتاب اطلاعه ـــ أي البخاري ـ على ما سبقه من تصانيف في الحديث وأسانيدها فوجد منها القبيح

الإمام البخاري وضع لنفسه منهجاً علمياً فريداً واسلوباً مبتكراً لعلم الحديث

ومنهـا الحسن، بـل والكثير منهـا يشمله التضعيف، وكان ذلك مرآة لتجـديـد همتــه لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتـاب أحد فيه، وقوّى عـزمه لـذلك ما سمعـه من أستـاذه اسحــاق بن ابــراهيم الحنظلي المعروف ـ بابن راهويه ـ وقد حدّث البخاري نفسه عن ذلك فقال: (كنا عند اسحاق بن راهويه فقـال: لو جمعتـم كتابـا مختصرا لصحيح سنـة رسـول اللـه ﷺ. قـال: فوقع ذلك في قلبي، فأخـذت في جمع الجامع الصحيح). ونظرا لما لهذا الكتاب من المكانة في نفوس العلماء والمسلمين عـامـة، فقـد تنـاوله كثير منهم بـالشرح، حتى قـال الـدكتـور صبحي الصـالح رحمه اللـه، حسب مـا نقلـه عن صاحب كشف الظنون أنها تصل نحــوا من اثنين وثمانين شرحــا، وذكر أن أفضلهـا شرح ابن حجر العسقلاني المسمى (فتح الباري) ويليـه شرح القسطلاني (إرشـاد الساري)، وغيره من الشروح.(٩)

منهجه في التأليف

أريد في هذا الباب بمنهج الامام البخـاري في تأليف صحيحه. مـا اشترطــه من شروط في قبــول الحديث النبوي، ويشير إلى هذا ما قاله الامام الترمذي في أوائل كتاب العلل: (لم أر في العــراق ولا في خراسـان في معنى العلل والتاريخ ومعرفـة الاسانيـد كبير أحد أعلم من محمــد بن اسماعيل).(١٠) ويكفي قـولا في البخاري شهـادة شيخـه محمد بن بشـار الحافظ: (حفاظ الـدنيا أربعة) (أبـو زرعة في الـري، ومسلم بـن الحجاج في نيسابور، وعبدالله بن عبدالرحمن الدارمـي في سمرقند، ومحمـد بن اسماعيل البخاري في بخارى).

فبـالنظـر إلى المقصـد الأصلي عنـد المحـدثين، وبـالنظـر إلى مـا قصده الإمام البخاري في صحيحه هـو تـوخي الصحة ــ أي صحـة الحديث ـ بأن يكون سنده متصلا بنقل العـدل الضـابط عن العـدل الضـابط إلى منتهــاه، ولا يكـون شــاذا ولا معــلا. فكل حــديث اجتمعت فيـــه هـــذه الشروط الخمسة فهو حديث صحيح. وهو حجـة يجب العمل بها وهــو مـا أجمع عليـــــه العلماء من أهـل الحديث ومن يعتد بـه من الفقهاء والاصوليين.

كما يشترط الامام البخاري في الحديث المعنعن ثبـوت اللقى، بين الــراويين لكي يحكم بـاتصــال السنـد. وفي تخريجه لـلأحـاديث فهـو ــ أي الامام البخـاري ــ لم يخرج الحديث إلا عن الثقـات من الـدرجة الأولى البـالغـة في الحفظ والاتقان، ويخرج عن طبقـة تليها في التثبت.

خاتمة

لا يخفى على أحــد منــا أن صحيح الامــام البخـاري، وغيره من أئمـة الحديث جـاءوا فـاتحة طور ثالث من أطوار تدوين السنة الشريفــة. فهي بعــد أن كــانت محفـوظة في الصـدور، وبعـد أن جمعت بغير تــرتيب مختلطــة بــالفتـاوى، أصبحت في القــرن الثـالث الهجـري مـدونـة حسب مـوازين دقيقة ومقـاييس علميـة مدروســة، كتب فضل السبق فيها للامـام البخاري. ثم تبعـه تلميذه الامام مسلم فحـذا حذوه واعترف له بجميلـه عليه، ومـا أسداه إليـه من نصح وتـوجيـه. فكان واجبا على الامــام مسلـم أن يثني على استاذه ويشكـره، وحقا فقـد كان مسلم في غـايـة الأدب مع شيخـه واستـاذه. حتى قـال لـه يـومـا: (دعني أقبـل رجلك يــا إمـــام المحدثين وطبيب الحديـث وعلله)، وحق للامام الـدارقطني أن يقول في مسلم (لـولا البخـاري لما ذهب مسلم ولا جاء).

ومن دون مجاملـة فـالامـام البخاري رحمه الله يعـد حقا ممن خدموا السنة النبوية الشريفة، وأنه قصر حيـاته لأجـل إيصالها إلينـا بعـد أن أزال عنها ــ وبتـوفيق من الله تعالى ــ بعض ما علق بها من انتحال واختلاف، فجمـع ما وفقه اللـه سبحانـه إلى جمعه ممـا صح من أخبار الرسـول ﷺ، في أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وساهم رحمه الله في ضبط أصول ذلـك وفروعه مسـاهمة فعالـة خالـدة. لذا فـلا غـرابـة بعـد هـذا أن يثني عليـه تلميذه، وأئمة العلـم بعده، ويكفيه من ذلك كلـه أن كتـابـه ــ الجامع الصحيح ـ يحتل المرتبة الثانية من حيث الصحـة بعـد كتـاب الحق سبحانـه، فجزى الله تعـالى الإمام عن الاســلام في خـدمـــة السنـة المطهـرة خير الجزاء، وأجــزل لـه العطاء■

تأليف مصنفه استغرق ستة عشر عاما يعد نفسه بالاغتسال لكل حديث

الهوامش

١– تـاريخ بغـداد أو مـدينـة السلام ــ للخطيب البغـدادي ـ ج ٣/ص٤١٢.
٢– رباعيات الامام البخاري ـ د. يـوسف الكتـاني ص: ٤٤ ومـا بعدها.
٣– تــــاريـخ بغــــداد ـ ج٢/ص٢٥.
٤– هدي الساري، مقدمة فتح الباري بشرح صحيـح البخاري ـ لابن حجر العسقلاني ـ ص٤٨٥.
٥– الرباعيات ص: ٧٢.
٦– رباعيـات الامام البخــاري (نقـلا عن كتــاب مختصر الفتح) ص: ٧٣.
٧– الفقـه السـامي في تـاريخ الفقه الاسلامي ـ لمحمـد الحسن الحجوي الثعالبي ج: ٢/ص٨٠.
٨– مجلة دعوة الحق ــ العدد الأول مايو ١٩٧٥، ص:٩٩.
٩– علوم الحديث ومصطلحه. ص:٣٩٧.
١٠– كتـاب العلل ــ لـلامـام الترمذي: ص٣٢.

معركة ذات الصواري البحرية تحقيق موقعها

قرأت بكل تقدير بحث الأستاذ أمين محمد عثمان عن معركة ذات الصواري البحرية في العدد ٣٤٤ من مجلة الوعي الغراء، وقد رأيت من واجبي أن أشارك في هذا المجال بالرأي الذي استخلصته مما تيسر إلى من المصادر والمراجع محاولة مني لتحقيق موقع تلك المعركة وسبب إطلاق ذلك الاسم عليها وحسم ما اختلف عليه المؤرخون، مع التسليم الكامل بأن الإسلام جعل للعلم حُرْمَة تمنع الإنسان من أن يدعي أنه قد بلغ في علمه الغاية التي لا مزيد عليها، فالعلم الكامل لله وحده، والأصل في العقيدة الإسلامية أن الله تعالى وحده هو الذي «أحاط بكل شيء علماً». وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على نشر العلم والانتفاع به والعمل به فقال: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع»(١) ـ «من سئل علماً فكتمه ألجم بلجام من نار»(٢).

أولاً: موقع المعركة

إننا نميل إلى الرأي بأن المعركة دارت قرب ساحل ليكيا (أوليسيا) في آسيا الصغرى (انظر الخريطة) ودليلنا على ذلك ما يلي:

١ ـ المؤرخ ثيوفانس

روى المؤرخ البيزنطي ثيوفانس Theophanes قال: «في هذه السنة ـ ٦٤٦ ميلادية ـ جهز (معاوية بن أبي سفيان) الجيش وزوده بأسطول ضخم قاصداً محاصرة القسطنطينية، وأمر بتجميع جميع الأسطول في

بقلم اللواء الركن/
محمد جمال الدين محفوظ

طرابلس فينيقيا، فلما علم بذلك أخوان مسيحيان(٣) من أهل المدينة، هاجما السجن وحطما الأبواب وأطلقوا سبيل جميع المحجوزين، ثم هاجموا رئيس المدينة وقاتلوه وجميع رجاله وهربوا إلى تخوم الروم، غير أن معاوية لم يغير رأيه في حصار القسطنطينية، بل جاء بجيشيه (يقصد أسطول الشام ومصر)إلى قيصرية وكباد وكيا و عين أبولا باروس Abula Barus (يقصد عبدالله بن سعد بن أبي سرح) قائداً للأسطول، فقَدِمَ هذا إلى مكان في ليكيا Lycia(٤) حيث كان الأمبراطور قنسطانز مقيماً بمعسكرة وأسطوله ودخل معه في معركة بحرية.(٥) من هذه الرواية ـ وهي لمؤرخ بيزنطي ـ نفهم أن الأسطول الإسلامي المشترك كان متجمعاً في طرابلس بالشام وليس في مصر، وأن المعركة دارت في ساحل ليكيا في آسيا الصغرى، كما نفهم أن الأسطول البيزنطي كان متجمعاً في ذلك المكان وليس بالقرب من الإسكندرية في مصر.

٢ ـ أرشيبالد. د. لويس

يقول أرشيبالد. د. لويس ـ بعد أن تحدث عن غزو الأسطول الإسلامي لقبرص(٦): «ويظهر أن الغارات التي انتهت باحتلال الجزيرة أثارت حماسة الدولة البيزنطية نحو البحر، ودفعتها للقيام بعمليات بحرية جديدة ـ وكانت هذه العمليات قد توقفت منذ فشلها في معركة الإسكندرية(٧) عام ٦٤٥م (٢٥هـ) وفي عام ٦٥٥ أعد قنسطانز الثاني خليفة هرقل أسطولاً كبيراً تراوح عدده من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ سفينة شراعية، والتقى هذا الأسطول في السنة ذاتها بأسطول صغير مشترك بين العرب والمصريين مكون من ٢٠٠ سفينة أقلعت من شواطىء سوريا قرب موضع يُقال فونيكس Phoenicus في آسيا الصغرى وتعرف هذه الواقعة بواقعة ذات الصواري.(٨)

ويفهم من هذه الرواية أيضاً أن الأسطول الإسلامي كان متجمعاً في شواطىء سوريا، وأن المعركة دارت قرب سواحل آسيا الصغرى.

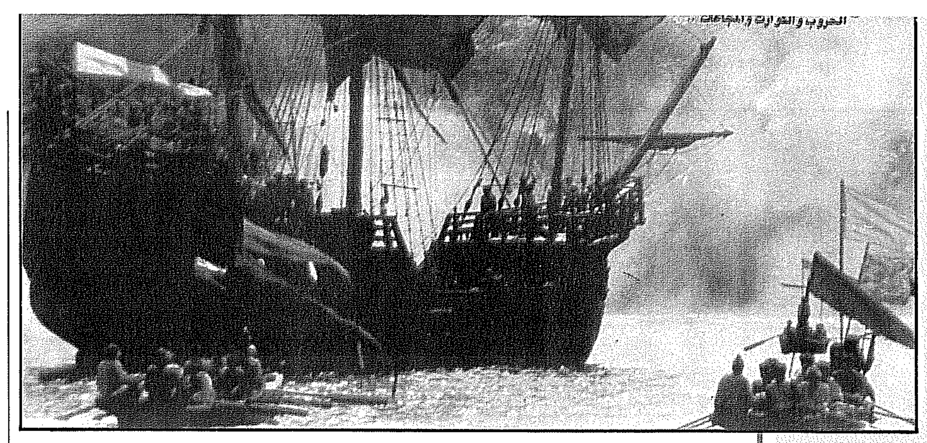
٣ ـ موسوعة التاريخ العسكري

ونجد في موسوعة التاريخ العسكري (باللغة الإنجليزية) ما يلي: «لقد بدأ العرب بشدة في تحدي سيادة بيزنطة البحرية وهزموا أساطيل الأمبراطور قنسطانز الثاني واستولوا على بعض الجزر في شرق البحر الأبيض المتوسط... ومن البحر استولى (المسلمون) على رودس ٦٥٤ وهزموا أسطولاً بيزنطياً يقوده بنفسه قنسطانز في معركة بحرية عظمى خارج ساحل ليكيا ٦٥٥»(٩)، فهذه الموسوعة تحدد موقع المعركة عند ليكيا في آسيا الصغرى وليس قرب سواحل الإسكندرية.

٤ ـ د. عبدالمنعم ماجد

ويقول د. عبدالمنعم ماجد: «ويظهر أن النشاط المتزايد من قبل العرب،

الاسطول الاسلامي المشترك كان متجمعاً في طرابلس بالشام والمعركة دارت في ليكيا بآسيا الصغرى



أخاف بيزنطة حيث إن الأمبراطور قنسطانز الثاني (٦٤٢ ــ ٦٦٨) جمع عدداً من المراكب لم يجمعها من قبل تزيد على ألف مركب وسار بها بقصد ملاقاة أسطول العرب، أو بقصد احتلال الإسكندرية العظمى أكبر موانىء البحر الأبيض، فخرجت إليه أساطيل العرب في أعداد كبيرة بقيادة عامل مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح»(١٠)، وهذه الرواية لم توضح مكان المعركة، وإنما ذكرت أن هدف أسطول بيزنطة كان أحد أمرين أحدهما ملاقاة أسطول العرب وهو الأرجح في رأينا بالنظر إلى الروايات السابق ذكرها.

٥ ـ ويؤيد ما اتجهنا إليه أيضاً ما نستخلصه من تناولنا للسبب في إطلاق اسم ذات الصواري على تلك المعركة.

ثانياً: تسمية المعركة بذات الصواري.

يرى بعض المؤرخين أن سبب هذه التسمية يرجع إلى كثرة صواري السفن التي اشتركت فيها من الجانبين، وبعضهم الآخر يرى أن هذا الاسم نسبة إلى المكان الذي دارت المعركة قريباً منه وهو ما نميل إليه وما يستنتج بوضوح مما يلي:

١ ـ ذكر أرشيبالد.د. لويس ـ في معرض الحديث عن أسباب المعركة ـ ما يلي:

ومما يلفت النظر أن المكان الذي درات فيه المعركة، وهو ساحل الأناضول يزدحم بغابات السرو الكثيفة، وهو الشجر المستخدم في صواري السفن، ولعل البيزنطيين قرروا القيام بتلك المعركة ليحولوا بين الخشب اللازم لصناعة السفن هناك، وبين وقوعه في قبضة العرب، وإذا صح هذا الزعم فإنه يقوم دليلاً على أهمية الخشب في الصراع البحري بين العرب وبيزنطة»(١١)، أي أن الاسم (ذات الصواري) يشير إلى المكان الذي يحتوي على أشجار الخشب الذي يستخدم في الصواري وفي صناعة السفن، وهنا يلزم الإشارة إلى أن الأسطول الإسلامي الناشىء كانت حاجته إلى ذلك الخشب مُلِحَّة بطبيعة الحال.

٢ ــ تشير رواية الطبري عن المعركة إلى أن ذات الصواري اسم للموقع:

«... فركب في مركب وحده ما معه إلا القبط، حتى بلغوا ذات الصواري، فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل، فقال: أشيروا عليّ، قالوا: ننظر الليلة، فباتوا يضربون بالنواقيس، وبات المسلمون يصلون ويدعون الله. ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل، فقرَّبوا سفنهم، وقرب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض، وصفَّ عبدالله بن سعد المسلمين على نواحي السفن، وجعل يأمرهم بقراءة القرآن، ويأمرهم بالصبر، ووثبت الروم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها، فكانوا يقاتلون في غير صفوف، قال: فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إن الله نصر المؤمنين، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينجُ من الروم إلا الشديد. قال: وأقام عبدالله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم، ثم أقبل راجعاً»(١٢) يتضح من ذلك اسم المكان: «حتى بلغوا ذات الصواري»...«وأقام عبدالله بذات الصواري أياماً...».

٣ ــ وإلى ذلك أيضاً تشير رواية ابن الأثير: «وأقام عبدالله بذات الصواري بعد الهزيمة أياماً ورجع»(١٣).

٤ ــ ويقول ابن عبدالحكم في وصفه للمعركة وكيف نجا عبدالله بن سعد قائد الأسطول من الأسر الذي كاد يقع فيه: «إن عبدالله لما نزل ذات الصواري، أنزل نصف الناس مع بسر بن أبي أرطأة سَرِيَّةً في البر، فلما مضوا أتى آتٍ إلى عبدالله بن سعد فقال: ما كنت فاعلاً حين ينزل بك هرقل (يقصد قسطنطين) في ألف مركب فافعله الساعة، (أي أنه يخبره بحشد قسطنطين لأسطوله لملاقاته) وإنما مراكب المسلمين يومئذ مائتا مركب ونيف، فقام عبدالله بن سعد بين ظهراني الناس فقال: قد بلغني أن هرقل قد أقبل إليكم في ألف مركب فأشيروا عليّ. فما كلمه رجل من المسلمين، فجلس قليلاً لترجع إليهم أفئدتهم، ثم قام الثانية (أي مرة ثانية) فكلمهم، فما كلمه أحد فجلس، ثم قام الثالثة: فقال: إنه لم يبق شيء فأشيروا عليّ، فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعاً مع عبدالله بن سعد فقال: أيها الأمير، إن الله جل ثناؤه يقول: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ البقرة/٢٤٩ فقال عبدالله: اركبوا باسم الله، فركبوا وإنما في كل مركب نصف شحنته، قد خرج النصف إلى البر مع بسر، فلقوهم (أي أسطول البيزنطيين) فاقتتلوا بالنبل والنشّاب، وتأخر هرقل لئلا تصيبه الهزيمة، وجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار فقال ما فعلوا؟ قالوا: قد اقتتلوا بالنبل والنشاب، فقال غَلبت الروم (بفتح الغين) ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟ قالوا: قد نفد النبل والنشاب، فهم يرتمون

المعارك دارت في ساحل الاناضول الذي يزدحم بغابات السرو الكثيفة

بالحجارة، قال: غَلبت الروم (بفتح الغين أيضاً). ثم أتوه فقال ما فعلوا؟ قالوا نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف. فقال غُلبت الروم (بضم الغين)... وكانت السفن إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال، فقرن مركب عبدالله يومئذ وهو الأمير بمركب من مراكب العدو، فكاد مركب العدو يجتر مركب عبدالله إليهم (أي يجذبه نحوهم) فقام علقمة بن يزيد الغطيفي وكان مع عبدالله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها».(١٤)

وبتحليل هذه الرواية في ضوء تكتيكات الحرب البحرية في ذلك الوقت نستخلص ما ينطوي عليه إنزال عبدالله بن سعد قائد الأسطول نصف الناس إلى البر من أدلة ترجح أن المعركة دارت قرب ساحل آسيا الصغرى كما ذكرنا وليس قرب سواحل مصر:

١ ــ كان من أوصاف الحروب البحرية بين السفن وقوانينها في الإسلام حتى أواخر دولة المماليك البرية والبحرية في مصر أنه من واجبات والي حرب البحر وقت الحرب ألا يهجم على المراسي لئلا تكون مراكب العدو بها كامنة، ولا يتقدم إلى البر إلا بعد المعرفة والاحتراز من الأحجار والأعشاب والاحراش التي تنكسر عليها المراكب ويكثر من الماء والزاد ليستظهر على طول المدة إن دعت الحاجة إليه كإدخار أصحاب الحصون. وإن كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر فيجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك»(١٥).

٢ ــ يتلخص من ذلك أن مهمة القوة التي نزلت إلى البر كانت الاستطلاع الذي يشمل أوضاع البيزنطيين وطبيعة الأرض والمراسي وإبلاغ القائد بما تحصل عليه من معلومات لكي يتصرف على ضوئها، وما كان عبدالله بن سعد في حاجة إلى اتخاذ ذلك الإجراء لو كانت المعركة قرب ساحل مصر وهو الوالي الذي إذا كان في حاجة إلى قوة تعمل على البر لكلف بهذه المهمة رجالاً من مصر قاعدته الرئيسية للقوة البشرية، وما كان مضطراً «لإنقاص قوته» التي في السفن الأمر الذي يُضعف من قدرته على مواجهة الأسطول المتفوق عليه.

٣ ـ وقد أدت هذه القوة التي نزلت على شاطىء آسيا الصغرى مهمتها ومن ذلك ـ وهو ما نرجحه ـ إبلاغها لقائد الأسطول بحشد قسطنطين لأسطوله كما ذكرنا في بداية رواية ابن عبدالحكم (لما نزل عبدالله بن سعد) ذات الصواري، أنزل نصف الناس مع بسر بن أبي أرطأة سرية في البر، فلما مضوا أتى آت إلى عبدالله بن سعد....إلخ).

٤ ــ ثم إنه يتضح من اختيار البيزنطيين «للقتال في البحر» أن هدفهم من الخروج هو القضاء على الأسطول الإسلامي الناشيء، وليس محاولة استرداد مصر التي تتطلب القتال على البر بالدرجة الأولى، ففي رواية الطبري على لسان شاهد عيان هو مالك بن أوس بن الحَدَثان قال: «كنت معهم، فالتقينا في البحر فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط... ثم قلنا «للبيزنطيين» إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم، وإن شئتم فالبحر، قال: فنخروا نخرة واحدة (١٦) وقالوا: الماء..»(١٧).

فالبيزنطيون اختاروا «الميدان» الذي يجيدون القتال فيه وهو البحر والذي يعتقدون أنهم يستطيعون فيه الانتصار على المسلمين لضعف خبرتهم فيه.

الهوامش

١ ــ من حديث رواه مسلم والترمذي.

٢ ـ رواه الترمذي عن أبي هريرة.

٣ ــ يعتقد أنهما من عملاء البيزنطيين وأنهم أبلغوا الأمبراطور بنوايا معاوية.

٤ ــ ليكيا Lycia موضع على الساحل بآسيا الصغرى وهو ظاهر على الخريطة في داخل دائرة.

٥ ــ ثيوفانس: كرونوجرافيا Chronographia عمود ٧٠٣ لاتيني في حوادث سنة ٦٤٦م.

٦ ــ بدأت عمليات البحرية الإسلامية النامية بغزو جزيرة قبرص عام ٢٨هـ.

٧ ـ في عهد الأمبراطور قسطنطين الثاني (أو قنسطانز) جهز أسطولاً من ٣٠٠ سفينة لاسترداد الإسكندرية سنة ٢٥ هـ من أيدي المسلمين الذين فتحوها عام ٢١ هـ لكنه فشل في استردادها.

٨ ــ أرشيبالد. د. لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ترجمة أحمد محمد عيسى ص ٩١.

٩ ـ موسوعة التاريخ العسكري: Ernest Dupuy and Trevor N. Dupuy The Encyclopedia of Military History From 3500 B. C. to the Present. P. 222 - 223.

١٠ ــ عبدالمنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

١١ ـ أرشيبالد.د.لويس: المرجع السابق ص ٩٢.

١٢ ــ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.

١٣ ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٣ ص ٥٨.

١٤ ـ ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ١٢٩ ٢ ١٣٠.

١٥ ــ عبدالفتاح عبادة: سفن الأسطول الإسلامي ١٩١٣ ص ١٥.

١٦ ــ نخر نخرا ونخيرا: صوَّت بخياشيمه، والنخير: الصوت بالأنف والمَنْخر: ثقب الأنف.

٧ ــ الطبري: المرجع السابق ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

البيزنطيون اختاروا الميدان الذي يجيدون فيه القتال ضد المسلمين ولم يفلحوا

توثيق الديون في الشريعة الإسلامية

بقلم: أ.د ـ نزيه حماد

مصطلح الدين

من خلال ذلك وجدنا بعد تتبع استعمال الفقهاء لمصطلح «توثيق الدَّين» أنهم يطلقونه على أمرين:

أحدهما: تقوية وتأكيد حق الدائن فيما يكون له في ذمة المدين من مال بشيء يعتمد عليه ـ كالكتابة أو الشهادة ـ لمنع المدين من الإنكار وتذكيره عند النسيان، وللحيلولة دون ادعائه أقل من الدين أو ادعاء الدائن أكثر منه أو حلوله أو انقضاء الأجل ونحو ذلك، بحيث إذا حصل نزاع أو خلاف بين المتعاملين، فيعتبر هذا التوثيق وسيلة قوية يحتج بها لإثبات الدين المتنازع فيه أمام القضاء.(١)

وثانيهما: تثبيت حق الدائن فيما يكون له في ذمة المدين من مال وإحكامه، بحيث يتمكن عند امتناع المدين عن الوفاء ـ لأي سبب من الأسباب ـ من استيفاء دينه من شخص ثالث يكفل المدين بماله، أو من عين مالية يتعلق بها حق الدائن ابتداءً، وتكون رهينة بدينه.

وعلى هذا، فطرق توثيق الديون عند الفقهاء أربعة: البينة الخطية (الكتابة)، والبينة الشخصية (الشهادة)، والكفالة، والرهن.(٢)

البينة الخطية

وهي الكتابة: فقد ثبتت مشروعيتها في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا﴾ [البقرة/٢٨٢]. فقد دلت الآية الكريمة على مشروعية توثيق الدين بالكتابة المبينة له، المعربة عنه، المعرفة للحاكم بما يحكم عند الترافع إليه، وذلك في صك موضح بجميع صفاته.(٣) والحكمة في ذلك ـ كما قال القاضي ابن العربي ـ الاستذكار بالدين عند أجله، لما يتوقع من الغفلة في المدة التي بين المعاملة وبين حلول الأجل. فالنسيان موكل بالإنسان، والشيطان ربما حمل على الإنكار، والعوارض من موت وغيره تطرأ، ولذلك شرع توثيقه بالكتابة.(٤) وقال الجصاص: (الأصل في هذا الباب أن الكتاب يقوم مقام عبارة المكتوب من جهته وخطابه)(٥). وجاء في (ظفر اللاضي فيما يجب في القضاء على القاضي): (وقد ثبت العمل بالخط بالأدلة المتكاثرة من الكتاب والسنة والإجماع. ومن الحاكين لإجماع الصحابة على العمل بالخط الرازي في المحصول. وأما من بعد الصحابة، فيدل عليه إجماعهم الفعلي على الاحتجاج بذلك والعمل به في معاملاتهم).(٦)

وعلى هذا جرت مجلة الأحكام العدلية، حيث اعتبرت كتابة الدين حجة في توثيقه، وبينة لإثباته أمام القضاء، لأن المرء مؤاخذ بإقراره الواقع بالكتابة، كما هو مؤاخذ على إقراره الواقع بلسانه، فجاء في م(١٦٠٦) منها: (الإقرار بالكتابة كالإقرار باللسان).

رأي الفقهاء

وقد اختلف الفقهاء في حكم توثيق الدين بالكتابة على قولين:

أحدهما: لابن جرير الطبري والظاهرية وبعض السلف، وهو أن كتابة الدين واجبة، لقوله تعالى ﴿فاكتبوه﴾ إذ الأصل في الأمر إفادة الوجوب، ولأنه عبر عن عدم الكتابة في المبادلات الناجزة بنفي الجناح ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها﴾ حيث إنه يشعر بلوم من ترك الكتابة عند تعامله بالدين.(٧)

وثانيهما: لجمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة، وهو أن كتابة الدين ليست بواجبة، إذ الأمر في الآية على سبيل الإرشاد لمن يخشى ضياع دينه بالنسيان أو الإنكار، حيث لا يكون المدين موضع ثقة كاملة

التوثيق يعتبر الوثيقة القوية التي يحتج بها لإثبات الدين المتنازع عليه أمام القضاء

عدد الفقهاء وثائق الدين لدى اتباعها مثل البينة الخطية أو البينة الشخصية أو الرهن أو الكفالة

من دائنه. يدل على ذلك قوله تعالى في آية الدين ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته﴾ [البقرة/٢٨٣] وهو يفيد أن الكتابة غير مطلوبة إذا توافرت الأمانة والثقة بين المتداينين. ويؤيد هذا: أن صاحب الدين من حقه أن يتنزل عنه ويسقطه عن المدين، فله بالأولى أن يترك توثيقه بالكتابة. وقد درج الناس من عهد الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا على عدم كتابة الديون مادامت الثقة قائمة بين المتعاملين بالدين، ولم ينقل عن فقهائهم نكير عليهم مع اشتهار ذلك.(٨)

البينة الشخصية

وهي الشهادة: فقد ثبتت مشروعيتها في قوله تعالى في آية الدين ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ [البقرة/٢٨٢] حيث دلت الآية على مشروعية توثيق الديون بالشهادة، وأنها وثيقة واحتياط للدائن، لأن استشهاد الشهود أنفى للريب، وأبقى للحق، وأدعى إلى رفع التنازع والاختلاف، وفي ذلك صلاح الدين والدنيا معاً.

ثم إن الفقهاء اختلفوا في حكم توثيق الدّين بالشهادة على قولين:

أحدهما: للظاهرية وبعض السلف، وهو أن الإشهاد على الدّين واجب، لقوله تعالى في آية الدّين ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾.(٩)

وثانيهما: لجمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة،وهو أن الإشهاد على الدّين ليس بواجب، إذ الأمر به إرشاد إلى الأوثق والأحوط(١٠) لقوله تعالى ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته﴾. قال ابن العربي: معناه أنه أسقط الكتاب والإشهاد والرهن، وعول على أمانة المعامل...

ولو كان الإشهاد واجبا لما جاز إسقاطه.. وجملة الأمر: أن الإشهاد حزم، والائتمان وثيقة بالله من المدين ومروءة من المداين.(١١)

وجاء في «أحكام القرآن» للكيا الهراسي: (ان الأمر بالإشهاد ندب لا واجب، والذي يزيده وضوحا أنه قال ﴿فإن أمن بعضكم بعضا﴾ ومعلوم أن هذا الأمن لا يقع إلا بحسب الظن والتوهم، لا على وجه الحقيقة، وذلك يدل على أن الشهادة إنما أمر بها لطمأنينة قلبه لا لحق الشرع، فإنها لو كانت لحق الشرع لما قال ﴿فإن أمن بعضكم بعضا﴾ فلا ثقة بأمن العباد، إنما الاعتماد على مايراه الشرع مصلحة، فالشهادة متى شرعت في النكاح لم تسقط بتراضيهما وأمن بعضهم بعضا، فدل ذلك على أن الشهادة هاهنا شرعت للطمأنينة، ولأن الله تعالى جعل لتوثيق الديون طرقا، منها الكتابة، ومنها الرهن، ومنها الإشهاد، ولا خلاف بين علماء الأمصار، أن الرهن مشروع بطريق الندب لا بطريق الوجوب، فيعلم من ذلك مثله في الإشهاد).(١٢)

الرهن

هو (المال الذي يجعل وثيقة بالدين ليستوفى من ثمنه إن تعذر استيفاؤه ممن هو عليه). فإنه بهذه الوثيقة يصير المرتهن أحق بالعين المرهونة من سائر الغرماء، فإذا كان على الراهن ديون أخرى لا تفي بها أمواله، وبيع الرهن لسداد ما عليه، كان للمرتهن أن يستوفي دينه من ثمنه أولا، فإذا بقي شيء فهو لسائر الغرماء.(١٣)

وقد ثبتت مشروعية الرهن في قوله تعالى في آية الدين: ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة﴾ [البقرة/٢٨٣] وبما روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاما إلى أجل ورهنه درعه».(١٤)

ومذهب جماهير أهل العلم أن توثيق الدين بالرهن ليس بواجب(١٥). قال ابن قدامة: الرهن غير واجب، لا نعلم فيه مخالفا.. وقوله تعالى ﴿فرهان مقبوضة﴾ إرشاد لنا لا إيجاب علينا بدليل قوله:(١٦) ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته﴾ [البقرة/٢٨٣].

الكفالة

هي كما عرفها الحنفية (ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل في المطالبة).(١٧) أو كما قال الشافعية (ضم ذمة الكفيل إلى ذمة المكفول في الالتزام بالدين، فيثبت في ذمتهما جميعا، ولصاحب الحق مطالبة من شاء منهما).(١٨) تقتضي التزام الكفيل بأداء الدين إلى الدائن إذا تعذر عليه استيفاؤه من الأصيل، وذلك هو معنى التوثيق وفائدته وثمرته.

وهي ثابتة المشروعية في قوله عز وجل ﴿ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾ [يوسف/٧٢]

قال ابن عباس: الزعيم هو الكفيل. وفيما روى ابو داود والترمذي وابن ماجة عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته عام حجة الوداع: «الزعيم غارم».(١٩)

والكفالة بلا ريب هي صورة من صور التعاون على الخير والبر والتقوى، وذلك لما فيها من تسهيل عقود الناس ومداينـاتهم التي يحتاجون إليها، ورفع خوف الدائن على ماله بتوثيقه وحفظه له من الهلاك والضياع، وإزالة خوف المدين على نفسه من العجز عن الوفاء. ومن هنا كانت عونا للدائن والمدين معا. يقول الزاهد البخاري: (وأما الحسن في الكفالة، فإن فيها إظهار الشفقة ومراعاة الأخوة ببذل الذمة ليضمها إلى الذمة، فيتفسَّح وجه المطالبة، ويسكن قلب المطالب بسبب السعة).(٢٠)

موقع التوثيق

لقد ثبت بالاستقراء والتتبع للأحكام الشرعية وغاياتها أن المولى عز وجل قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية على وجه لا يختل لها به نظام، لا بحسب الكل ولا بحسب الجزء، وسواء في ذلك ما كان من قبيل الضرورات أو الحاجات أو التحسينات.(٢١)

وقد ذكر الإمام الشاطبي في (الموافقات) ان توثيق الديون يعد من التكملة والتتمة لمصلحة فيها ضرورة أو حاجة، وذلك بحسب اعتبار المعاملة المنشئة للدين المراد توثيقه وما تقتضيه.. فإن كانت داخلة تحت الضرورات، لتوقف المحافظة على إحدى المصالح الضرورية ـ وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال ـ عليها، فإن توثيق الدين في هذه الحالة يعد من قبيل مكملات الضرورات.. أما إذا كانت تلك المعاملة المنشئة للدين معتبرة من قبيل الحاجات، لكون المقصود بها دفع الحرج والعنت والمشقة عن المكلف فحسب، فإن توثيق الدين في هذه الحالة يعد من مكملات الحاجات. (٢٢) والله تعالى أعلم■

الله سبحانه وتعالى شرع التثبت من الاحكام الشرعية بقصد قامة المصالح الأخروية والدنيوية كي لا يختل النظام

الهوامش

١- انظر وسائل الإثبات للدكتور محمد الزحيلي ص٣١
٢- أحكام القرآن للكيا الهراسي ١/٣٨٧
٣- أحكام القرآن لابن العربي ١/٢٤٨
٤- المرجع نفسه ١/٢٤٧
٥- شرح أدب القاضي للجصاص ص٢٥٤.
٦- ظفر اللاضي لصديق حسن خان ص١٣٠و١٣١.
٧- المحلى لابن حزم ٨/٨٠، تفسير الطبري ٣/٧٧و ٧٩ وتفسير القرطبي ٣/٣٨٣.
٨- أحكام القرآن للجصاص ١/٤٨٢، أحكام القرآن للشافعي ٢/١٢٧، المحصول للرازي ج١ ق٢ ص٥٨، الأم للشافعي ٣/٨٩ وما بعدها، تفسير الطبري ٣/٧٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٣٨٣.
٩- المحلى ٨/٨٠.
١٠- أحكام القرآن للجصاص ١/٤٨٢، الأم الشافعي ٣/٨٩ وما بعدها، أحكام القرآن لابن العربي ١/٢٥٨، الفصول في الأصول للجصاص ٢/٧٨، التلويح على التوضيح ١/٢٨٢، شرح الكوكب المنير ٣/٢٠، المحصول للرازي ج١ ق٢ ص٥٨، المدخل إلى مذهب أحمد بن حنبل لبدران ص١٠٢.
١١- أحكام القرآن لابن العربي ١/٢٦٢.
١٢- أحكام القرآن للكيا الهراسي ١/٣٦٥.
١٣- المغني لابن قدامة ٤/٣٦١، رد المحتار ٥/٣٠٧، شرح منتهى الإرادات ٢/٢٨٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ص١٢١٧، أحكام القرآن للجصاص ١/٥٢٣.
١٤- صحيح البخاري ٣/١١٥، صحيح مسلم ٣/١٢٢٦.
١٥- المغني ٤/٣٦٢، أحكام القرآن للجصاص ١/٤٨٢، الأم ٣/١٣٨، كشاف القناع ٣/٣٠٧ المحلى ٨/٨٠، البرهان للزركشي ٣/٣٩.
١٦- المغني ٤/٣٦٢.
١٧- رد المحتار ٤/٢٤٩، تبيين الحقائق للزيلعي ٤/١٤٦.
١٨- الأم /٢٢٩، المهذب ١/٣٤٨، شرح منتهى الإرادات ٢/٢٤٥، نهاية المحتاج ٤/٤٤٣.
١٩- بذل المجهود ١٥/٢٤٣، عارضة الأحوذي ٦/٢١، سنن ابن ماجة ٢/٨٠٤ وانظر الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢/١٦٣.
٢٠- محاسن الإسلام للزاهد البخاري الحنفي ص٩٤
٢١- الموافقات للشاطبي ٢/٣٧.
٢٢- الموافقات ٢/١٢و ١٣.

الدلالات الاقتصادية

من قصة شعيب عليه السلام

يقول تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط. ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين...﴾ هود/ ٨٤ ـ ٨٦.

وفي الآيات إشارات مهمة، منها:

أولاً: الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده، وهي دعوة الرسل جميعاً، كما في قوله تعالى: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره...﴾.

ثانياً: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي لا تطفّفوا، لأنهم كانوا مع كفرهم أهل تطفيف، كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، وكذلك إذا وصل إليهم الموزون أخذوا بوزن زائد، وإذا باعوا باعوا بكيل ناقص ووزن ناقص.

والتطفيف من المحظورات أشد الحظر، لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل في الأخذ والدفع.

والتطفيف: نوع من الغش، والتطفيف: البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد، إن اقتضى من الناس، أو بالنقصان إن قضاهم، يقول سبحانه: ﴿ويل للمطففين. الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ المطففين/ ١ـ٣.

ثالثاً: ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾أي أتموهما، والقسط: العدل، وهو عدم الزيادة أو النقص.

جاء في سورة الإسراء/ ٣٥ قوله: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾.

وفي سورة الأنعام/١٥٢ قوله: ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾.

وفي سورة الرحمن/ ٩ قوله:﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾.

ويقصد بالمكيال: الوعاء الذي يكال به، حديداً كان أو خشباً. وجمعه مكاييل. ومن أصناف المكاييل: الصاع، والمد، والقفيز. ويقصد بالميزان: القضيب الحديدي التي توضع في طرف منه البضاعة، وفي الطرف الآخر الوحدة المحددة للوزن. وقد استعمل الميزان في الأسواق في العصور الماضية لوزن البضاعة ذات الأحجام والأشكال المختلفة.

بقلم: زيد بن محمد الرماني

ومن ثم فيمكن تحديد الكيل بأنه: كل ما لزمه اسم الصاع والمدّ والمختوم والقفيز والمكوك.

وكذلك يمكن تحديد الوزن بأنه: كل ما لزمه اسم الرطل والمنّ والأوقية.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «المكيال مكيال المدينة، والميزان ميزان مكة».

رابعاً: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ البخس: الهضم أو النقص، وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئاً كما تفعل السماسرة، أو كانوا يمسكون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء، فنهوا عن ذلك...

مما سبق نأخذ الدروس الاقتصادية التالية:

١) أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أحد الأنشطة الاقتصادية التطبيقية، وذلك عندما أنزل الله تعالى دروساً اقتصادية في المكاييل والموازين، لبناء اقتصاد تطبيقي سليم في المجتمع.

٢) أرست قصة شعيب عليه السلام قواعد أساسية في الحياة الاقتصادية اليومية، بدعوته عليه السلام بإيفاء الكيل والوزن.

٣) تبرز قصة شعيب عليه السلام أهمية السمعة الاقتصادية لأي قوم أو مدينة، بحيث تؤثر على مجالات التبادل التجاري، والميزان التجاري.

٤) إن عملية تحديد الوزن في الاقتصاد التطبيقي تتميز باستخدام النقود في عمليات المبادلة بين قيمة السلعة وثمنها الحقيقي.

٥) إن ضبط المقاييس والموازين والمكاييل من أهم ضوابط تنظيم التعامل السلعي في اقتصاد السوق.

٦) الربط بين العقيدة والاقتصاد، حيث اهتم شعيب عليه السلام بمطالبة قومه بعد عبادة الله تعالى، بالوفاء بالكيل والوزن بالعدل، وتوفية الناس حقوقهم، دون بخس أو تطفيف.

٧) كان قوم شعيب عليه السلام يقطعون الدراهم والدنانير، فنهاهم عن ذلك، فردوا عليه متهكمين بأن هذا من حقهم، فهي أموالهم ولهم حرية التصرف فيها كما يشاءون،كما في قوله تعالى ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ هود/ ٨٧.

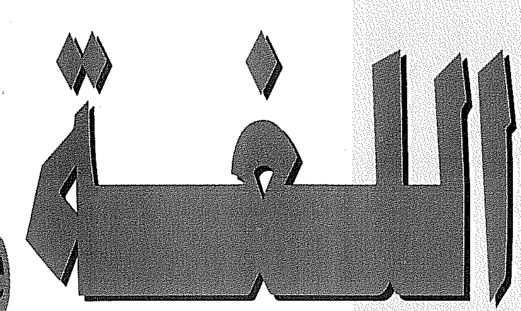
٨) من صور التطفيف، كل من خلط بالطعام تراباً أو غيره ثم كاله، فهو من المطففين في الكيل.

وكل قصاب وزن مع اللحم عظماً أو دهناً لم تجر العادة بمثله، فهو من المطففين في الوزن. ونفخ اللحم تطفيف، ووضع الورق السميك مع اللحم وغيره من السلع تطفيف. والتقتير في القياس عند بيع القماش، تطفيف في المقاس.

٩) ورد ذكر المكاييل والموازين والمقاييس في القرآن الكريم، من مثل: القنطار والذراع. وكانت معروفة عند العرب في جاهليتهم.

١٠) وردت لفظة الكيل والميزان والقسطاس في مناسبات عديدة في معرض الأمانة والاستقامة في الكيل والوزن. وقد استعملت كلمة وزن في كتاب الله على أعمال الناس، وكذا في السنة النبوية، يقول عليه الصلاة والسلام «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر....» ■

التطفيف في الكيل والوزن من اشد المحظورات لانه نوع من الغش



اللغة والحفاظ على الهوية الثقافية

اللغة ظاهرة اجتماعية بالغة الأهمية لما تقوم به من دور في الاتصال والتفاهم بين بني البشر. وهي نعمة عظيمة قد منحها الله تعالى للإنسان فميزته عن غيره من الكائنات، حيث إنه وحده من بين المخلوقات الذي يستخدمها، أما باقي الكائنات، فإن أدواتها في الاتصال تختلف عنها اختلافا نوعيا.

بقلم: يحيى المبدي أبوبكر

استطاعت تلك اللغة أن تعبر عن أفكار الإنسان وتصوراته المختلفة، بل إنها استطاعت أن تتسلل داخله لتكشف لنا عن مشاعره الغائرة وخلجات نفسه الكامنة. واختلف البشر فيما بينهم، فتنوعت اللهجات وكثرت اللغات، وتلك آية من آيات الله في خلقه: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ [الروم: ٢٢].

واللغة ليست وسيلة اتصال أو أداة للتعبير فحسب، وإنما هي انعكاس صريح لقيم المجتمع وثقافته، حيث إنها وسيلته الفعالة في صبغ أفراده في الفكر والسلوك المميز لهذا المجتمع. وتصير اللغة مع مرور الزمن خزانة فكرية زاخرة بثقافة وتراث الأمم، ولذا فقد قالوا: «إن اللغة ــ كالعقيدة ــ مقوم أصيل من مقومات شخصية الأمة وملمح أساسي من ملامح هويتها الحضارية». وحينئذ يتعاظم دور اللغة وتزداد أهميتها في تاريخ وحياة الشعوب.

اللغة ليست وسيلة اتصال أو أداة للتعبير فحسب بل هي انعكاس صريح لقيم المجتمع وثقافاته

لغات البشر

واللغة العربية هي إحدى لغات البشر تلك، والتي يضعها علماء اللغة في أسرة اللغات السامية ـ هي لغة مثل باقي اللغات ــ وسيلة للاتصال وأداة للتفاهم وحافظة لثقافة مجتمع، وملمح رئيسي ومميز لهوية هذه الأمة الحضارية.

ولكن من الملاحظ أن علماء العربية المخلصين قد بالغ بعضهم في تقرير فضل ومكانة هذه اللغة، فنعتها بأفضل اللغات إطلاقا وبأنها سيدة اللغات وغير ذلك من صفات ونعوت، إن دلت على شيء فإنما تدل على حب وحرص هؤلاء العلماء على اللغة لإدراكهم مدى أهميتها الثقافية والدينية. ونحن نرى أن فضل اللغة العربية ليس في ذاتها، فهي لغة مثل سائر اللغات تتكون من أنظمة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ليس لها قيمة معيارية في حد ذاتها وإنما يرجع فضل اللغة العربية وشرفها إلى عوامل أخرى دينية وتاريخية وثقافية: حيث إن الله تعالى قد شرف هذه اللغة بحمل معجزته الخالدة ورسالته الخاتمة حيث جاء التنزيل باللغة العربية، محل إعجاز وتحد،ليس على مستوى الأسلوب والصياغة فقط وإنما على الأصعدة المتعددة اللغوية والفكرية، أو على مستوى التعبير والتفكير معا. وبذلك يكون اختيار اللغة العربية «لغة» للتنزيل ووسيلة للإبانة، ووعاء لحفظ الرسالة، هو بلا شك تشريف لها من بين سائر اللغات.

أهمية اللغة العربية

كذلك فمن العوامل التي منحت اللغة العربية تلك الأهمية والمكانة السامية وعززت من قدرتها في نفوس أبنائها كونها الخزانة الفكرية لثقافة وحضارة هذه الأمة، حيث زخرت هذه الخزانة بنفيس النصوص والمؤلفات التي أبدعتها العقلية العربية الإسلامية أو حتى تلك التي ترجمتها في مختلف فروع العلم والمعرفة. ويشهد بذلك الانتاج الهائل سواء في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه أو في العلوم الإنسانية كالآداب والتاريخ والفلسفة والجغرافية.. أو في علوم مادية تجريبية كالطب والكيمياء والفيزياء... إلخ.

فجميع تلك الفروع التي شكلت الوجدان الثقافي العربي والإسلامي صاغتها اللغة العربية وحافظت عليها، مما أدى بغير العرب إلى التسلل إلى هذه الخزانة والنهل من بضاعتنا الثقافية والتي لم ترد إلينا حتى الآن.

كذلك فإن ثمة ارتباط وتداخل ـ نتيجة علاقة اللغة بسلوك وقيم وثقافة المجتمع ــ قد حدث بين اللغة العربية من جهة والعرب والإسلام من جهة أخرى، حيث إن اللغة العربية هي اللغة الدينية لملايين كثيرة من المسلمين المنتشرين في شتى أرجاء المعمورة. وأصبحت العربية رمزا وعنصرا في ارتباط المسلمين غير العرب بالإسلام.

– وللعربية أهمية استراتيجية على مستوى وطننا العربي فهي الرباط المقدس الذي ربط بين الشعب العربي من المحيط إلى الخليج، وهي أقوى مقومات قوميته تؤثر فيه وتطبعه بطابع مشترك في طريقة تفكيره وإحساسه وتشكل رمز وحدته. وتبدو خطورة هذا الدور خاصة في إطار ما يعانيه الصف العربي الآن من تصدع وانشقاقات سياسية، وكذلك في إطار انتشار وسيطرة العاميات المختلفة في

جوانب هذا الشعب العربي حيث بلغت درجة عدم وجود الحد الأدنى من التفاهم المشترك إذا ما تحدث إثنان إحداهما من المشرق العربي والآخر من مغربه بلهجاتهم المحلية دون استخدام اللغة العربية الفصحى، فلن يتحقق هذا الحد الأدنى من التفاهم المشترك. ولذا تكون اللغة عاملا مهما في رأب الصدع العربي.

– حقيق علينا ونحن نتحدث عن أهمية اللغة العربية ومكانتها الرفعية أن نزعم دون مبالغة أن اللغة العربية تمتلك بعض السمات والخصائص التي تميزها عن غيرها، وهي أنها لغة بيان وفصاحة وذلك ما جعل العقاد يصفها بـ «اللغة الشاعرة»، وما جعل أيضا الكلمات تنتظم على لسان الشاعر حافظ ابراهيم مؤكدة القدرات الخاصة للغة العربية:

(أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي)

أدت الأهمية الكبيرة للغة العربية الفصحى في حفاظها على الهوية الثقافية لهذه الأمة إلى الإعداد والتدبير لحملة شعواء من أعداء الثقافة العربية، مستخدمين في ذلك أسلحة شتى منها: الازدواجية اللغوية وقضية العامية.

أعداء الثقافة العربية

وقد ظهرت هذه الدعوة مع بداية عصر الاحتلال الغربي للوطن العربي، بعدما عمل بقوة على منع انتشار اللغة العربية في ربوع العالم الإسلامي الذي رزح تحت نير هذا الاحتلال.

وكانت البداية مع مشروع اللورد (فوفرين) الذي أعلن في تقرير وضعه عام ١٨٨٩م دعوته إلى معارضة اللغة الفصحى وتشجيع اللهجة المصرية العامية.

وقال: إن أمل التقدم ضعيف في مصر مادامت العامة تتكلم العربية الفصحى، ثم كانت الدعوة التي أطلقها المهندس البريطاني (وليام ويلكوكس) بعد أن تم تعيينه رئيسا لتحرير مجلة الأزهر حيث دعا الباحثين إلى كتابة بحوثهم باللغة العامية، التي تدب فيها الحياة لا باللغة الفصحى الميتة التي لا يعرفها إلا المختصين بدراستها! ولكن مثل هذه الدعاوى قد لاقت رفضا ومقاومة من المثقفين الوطنيين مما أيأس الأجانب من تكرار محاولاتهم، ولكن المدهش أن يبرز من العرب أنفسهم من يقوم بأداء هذا الدور وينذر حياته لمحاربة اللغة الفصحى والثقافة العربية الإسلامية. ويأتي على رأس هذه القائمة سلامة موسى ولطفي السيد وأمين الخولي وطه حسين ولويس عوض وغيرهم ممن بذلوا حياتهم سدى في حملات التشكيك في العربية وثقافتها والتي استخدمت فيها المصطلحات الخادعة والمعاني البراقة من إصلاح وتطوير وتحديث وتنوير. والمؤسف أن المؤامرات على الفصحى مازالت مستمرة مع التنوع في طرقها ووسائلها، مستمدة أصولها من الغزو الفكري والتغريب الثقافي للأمة.

ويعجب المرء عندما ينظر إلى الشعوب من حوله فيجدها تحرص كل الحرص على لغتها وثقافتها، فهذه فرنسا تشرع عقوبة في (مايو ١٩٩٤) لمن يستخدم غير الفرنسية في الوثائق والمستندات ووسائل الإعلام والمحلات التجارية، والأمة الألمانية تحرم الدراسة في جامعاتها بغير الألمانية ، بل لن يجيبك الألماني إذا ما تحدثت معه بلغة غير ألمانية، وأصحاب الثقافات المختلفة يتصارعون فيما بينهم لنشر لغاتهم وثقافاتهم. أما نحن العرب في ظل مأساتنا اللغوية وآراء كبار مفكرينا نتصارع ونتسابق من أجل الانتماء لمدرسة ثقافية غربية أنجلوفونية كانت أو فرانكفونية.

نعم إن العربية الفصحى في مأزق حقيقي والعاميات تسيطر على النشاطات الثقافية في البلدان العربية المختلفة ولكن ذلك لا يؤدي إلى قبول هذا الوضع وخصوصا في إطار دراستنا للنموذج الجاد الذي قدمه اليهود في محاولتهم المستميتة ونجاحهم في إحياء اللغة العبرية التي كانت في عداد الأموات لأكثر من خمسة عشر قرنا.

وهي الآن تستخدم في جميع مجالات ومستويات التعامل في إسرائيل ولم نسمع قول قائل إن هذه اللغة لغة بداوة ألفة ميتة ولا تستطيع أن تستوعب لغة العلم والتقنية وغير ذلك من الادعاءات التي ألصقوها باللغة العربية.

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

وأخيرا فإننا لا نبغض النقد بل نحث عليه، ونريده نقدا بناءً، يبني ولا يهدم يصلح ولا يفسد، نقدا يحرص على حاضر ومستقبل الأمة، يرعى مصالحها ولا يزيف وعيها، فربما عز قوم بعز لغات

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

فضل اللغة العربية ليس في ذاتها وإنما في دينها وتاريخها وثقافتها

مراجع المقال:

١– د. أبومغلي، سميح (١٩٨٧): «في فقه اللغة وقضايا العربية» دار مجدلاوي للنشر ـ الأردن.

٢– الجندي، أنور (١٩٩٤): «المؤامرة على لغة القرآن» لواء الإسلام، العدد الرابع السنة الثامنة والأربعون، القاهرة.

٣– د. السامرائي، إبراهيم (١٩٩٤): «في شرف العربية» كتاب الأمة ـ العدد ٤٢ قطر.

٤– د. بشر، كمال (١٩٩٢): «علم اللغة الاجتماعي: مدخل» دار الثقافة العربية ـ القاهرة.

٥– د. زايد ، علي عشري (١٩٩٤): «وكم عز أقوام بعز لغات» لواء الإسلام، العدد السادس السنة الثامنة والأربعون. القاهرة.

٦– د. عبدالعزيز. محمد حسن (١٩٨٨): «مدخل إلى اللغة» دار الفكر العربي، القاهرة.

٧– د. مكي، الطاهر أحمد (١٩٩٤): «مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن» عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة.

من القضايا التي دارت وتدور حول شخصية سيدنا محمد ﷺ (قضية التبني) التي تتحدث عن علاقاته الاجتماعية بين الناس والتي جعل الله - تعالى - نبيه مصدرها ومبعثها لمحو مثل هذه القضايا الشائعة - وقتئذ - كي تتحقق العدالة الاجتماعية، فينتمي كل فرع لأصله، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لسيد على مسود، ولا لحر على عبد إلا بالتقوى. هذه القضية تناولها كتّاب ثلاثةمن كتّاب العصر الحديث هم: العقاد - طه حسين - هيكل.

التبني بين التصوير الأدبي والمنهج التوثيقي

بقلم د: فوزي عبدالرحمن شحاتة

يحدثنا العقاد عنها تحت عنوان (الزوج) في كتابه (عبقرية محمد) ويقرر أنها كانت (حلا لمشكلة) التبني التي تبرز شخصية محمد ﷺ في قوتها ونزاهتها وطاعتها لأمر ربها، وتسليمها لكل ما أمر الله به(١).

ولم يذكر العقاد من أين استقاها؟ ولا من أي مصدر أخذها؟

وطه حسين يعقد لها فصلا كاملا في الجزء الثالث من هوامشه، يتحدث فيه عن عاشق مستهام تعلق قلبه بامرأة أجنبية في عصمة رجل غيره.

وتظهر عبقريته فيما وضعه من عنوان لهذا الفصل بصورة لا تليق بمسلم ناهيك عن رسول الله ﷺ ذلك الإنسان العظيم الكامل الإنسانية - ذلك قوله: «شوق الحبيب إلى الحبيب»(٢).

ويبث تحت هذا العنوان خياله التصويري، المعتمد على الصوت واللون والحركة، وتشخيص الأحاسيس، وتجسيم الوجدانيات، وتوضيح المعاني، وقد تناسى ما ألزم به نفسه من أنه لم يخترع أحاديث تتعلق بشخص النبي، عليه الصلاة والسلام.

أليس هذا اختراعا وتلفيقا لا يليق، فقد صور سيد الخلق أمام الشباب المسلم - قبل الشيوخ - بصورة رجل لا يعبأ بالقيم الخلقية في تطلعه لزوجة غيره، ويوجه كل همه للحصول عليها، ثم يتحدث عن سيرة زيد ابن حارثة، ذلك المتبنى لرسول الله، ويعود في نهاية الفصول ليقول: (يمتحن الله - في ذلك نبيه، ويمتحن في ذلك زيدا، ويمتحن في ذلك المؤمنين الصادقين جميعا، يلقى في قلب النبي حب زينب زوج زيد، ويلقي في قلب زيد الانصراف عن زينب والنفور عنها)(٣).

فكيف يكون هذا امتحانا، أمام قانون يشرع، وفرض يفرض على الناس، يقوم بتنفيذه صاحب الرسالة، فيبطل قاعدة التبني بهذا الزواج بعد أن تحقق مبدأ العدالة الاجتماعية بزواج زينب من زيد - أولا - إنه تشريع جديد، يرسمه الله لنبيه ولأتباعه، وليس امتحانا، ولا إلقاء حب في القلوب، ولا انقيادا لعواطف، ولا انسياقا لأهواء، إنما هو تكليف للعقول قبل القلوب، لأنه تنزيل من حكيم حميد، وأمر من صاحب الأمر.

ثم يشير طه حسين في هوامشه إلى أن هذه القضية أخذها من طبقات ابن سعد من الجزء الثالث، لكنه لم يذكر من الطبقات شيئا إلا عبارات لا علاقة لها بهذا الزواج، وإنما هي عن مكانة زيد القتالية: (ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش - قط - إلا أمره عليهم ولو بقي - بعد - استخلفه)(٤).

والقضية تحدث عنها (ابن سعد) في طبقاته حديثا مستفيضا لم يرجع إليه الكاتب في الجزء الثامن من الطبقات (الخاص بالنساء) ولو رجع إليه لكان هاديا له، ومعينا على تحقيق هذه القضية المتعلقة بشخص النبي، ثم يدعى في مقدمة كتابه (أنه ملتزم بما التزم به المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية وعلماء الدين)(٥) ولا التزام إذا، ولا تحقق بل التلفيق كل التلفيق.

أما عن موقف هيكل من هذه القضية، فهو موقف المؤرخ

قضية التبني كانت قانونا يشرع وفرضا يفرض على الناس نفذها صاحب الرسالة لإبطال قاعدة التبني

العقاد تناول القضية في كتابه (عبقرية محمد) على اعتبار أنها حل لمشكلة التبني. ولم يحدد مصادر معلوماته فيها

الحقيقي إذ تراه يفرد لها فصلا من فصول كتابه (حياة محمد) كسابقيه، لكنه يختلف عنهما، فيصب في حديثه كله، على (زينب وزواجها) ويهتم أول مايهتم بموقف المستشرقين والمبشرين المغرضين الذين يوجهون كل حديثهم للطعن في شخص الرسول الكريم - عليه الصلاة والتسليم - وكأني به يذكرنا بالهدف الذي من أجله ألف هذا الكتاب.

فيقوم بعرض خيال المستشرقين والمبشرين، وما صوروه نحو (زينب) وماوجهوه من سهام لشخص محمد، فقد ادعوا بأنه رجل شهوة يسيل لعابه عند رؤيته للمرأة.. فيشغف حبا بزينب بنت جحش، وهي في عصمة زيد بن حارثة، مولاه. لغير شيء إلا لأنه مرَّ ببيت زيد وهو غائب، فاستقبلته زينب، وكانت في ثوب يبدي محاسنها، فوقع منها في قلبه شيء لجمالها، فقال «سبحان مقلب القلوب»(٦).

وبعضهم يصور زينب ساعة رؤية النبي لها بأنها نصف عارية، أو تكاد، وقد انسدل ليل شعرها على ناعم جسمها الناطق بما يخفيه من كل معاني الهوى.

وآخرون يذكرون أنه حين فتح باب بيت زيد لعب الهوى بأستار غرفة زينب وكانت ممددة على فراشها في ثياب نومها فوقع منظرها في قلب هذا الرجل الشديد الولع بالنساء ومفاتنهن، فكتم ما في نفسه من حب جارف، وهيام واضح.

ثم يعقب هيكل على ذلك، تعقيب المدافع أمام محكمة العدل التي لا تنشد إلا الصواب، ولا تعرف إلا الحق، ولا تقول إلا الصدق، ولا تمالىء أحدا.

إن هؤلاء وأمثالهم اعتمدوا في رواياتهم على ما ورد في بعض كتب السير ثم ابتدعوا صورا من خيالهم المغرض، ونسجوا من أساطير تفكيرهم المريب ما لا يليق بسيد الخلق، ورسول الإنسانية الذي صنعه الله على عينه، وأدبه فأحسن تأديبه.

ويقوم بالرد على هؤلاء الطاعنين ليقضي على شهواتهم الدنيئة، رد من يعرف الداء، فيضع له الدواء، الذي يبطل حججهم، ويرد كيدهم في نحورهم، إذ يقول: (إن القوانين التي تجري على الناس لا سلطان لها على العظماء، ومحمد عظيم، فلم تصبه طعون الطاعنين، وتشكيك المشككين، فإن كان للقوانين سلطان فأولى ألا يكون لها سلطان على الأنبياء والمراسلين، ويضرب لهم أمثلة كثيرة بالأنبياء، ومنهم عيسى عليه السلام، الذي خرج بمولده وحياته، عن قوانين الطبيعة وسننها جميعا) ومع ذلك يجعلون من عظمة عيسى ونبوءته ورسالته دليل معجزة الله فيه.

ثم يستعجب من أمر هؤلاء المبشرين بالمسيحية وبدعوتهم إلى الإيمان بهذا الخروج على سنة الكون في أمر عيسى - عليه السلام - وأن يأخذوا محمدا بما دونه، وبما لا يزيد على أنه سمو من الخضوع لقانون المجتمع يسمح به لكل عظيم(٧).

وما عقب به هيكل هذا كاف في إسقاط حجة المبشرين وطعونهم في سيد الخلق وحبيب الحق، وكل من ينهج نهجهم من المستشرقين وغيرهم.

أضف إلى ذلك، أننا لو اقتصرنا على هذا نكون قد جنينا على التاريخ ورجاله، وعلى عظمة سيدنا محمد ﷺ وجلال رسالته.

ثم جاء من بعدهم الدكتور شعوط(٨) وتناول هذا الموضوع مفندا بعض النصوص التي وردت في المصادر الأولى والتي لم يتعرض لها هؤلاء الكتاب الثلاثة، وقام بالرد على بعض منها وأغفل الآخر كالذي ورد في طبقات (ابن سعد)، وأنساب الأشراف (للبلاذري)، وغيرها، مما ورد في كتب التفاسير، والتواريخ.

وعلى الرغم من وضوح رأى العقاد في ثنايا هذا التفنيد لكنه لم يشر إليه، ثم بعد ذلك يذكر السر الحقيقي في وقوع السادة المفسرين والمؤرخين في هذا الخطأ، هو ما قاله ابن خلدون في مقدمته:

(إنه كثيرا ما وقع للمؤرخين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوع على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة، فضلوا عن الحق، وتاهوا في ميدان الوهم والغلط)(٩).

وما قاله ابن خلدون هذا ينطبق على بعض المؤرخين كالواقدي(١٠) الذي أخذ عنه ابن سعد(١١).

وابن اسحاق(١٢) الذي أخذ عنه ابن هشام(١٣) صاحب السيرة النبوية العطرة، والطبري(١٤) الذي أخذ عنهم - أيضا.

والحق يقال ان ما ورد في هذه المصادر، واتخذه خصوم الإسلام عنهم ذريعة للتشكيك، والاتهام، والظن السيء، كان من أصحابها عن حسن نية، وسلامة طوية، وسريرة صافية، أرادوا به أن يصوروا سيدنا محمدا ﷺ عظيما في كل شيء في طفولته، في شبابه، في علاقاته بمن حوله، حتى في شهوات الدنيا، التي صرفه الله عنها، وبرأه منها.

وكان الأجدر بأصحاب المصادر الأولى أن يمحصوا رواياتهم، ويتثبتوا منها، فيأخذوا بما هو صحيح فيها، ويشيروا إلى ما فيها من فساد، ويفرقوا بين متصل السند، ومنقطعه لأنهم أعلم بها من غيرهم، ومن جاء بعدهم، فلا يصير عملهم بعد ذلك مطية

ذلولا.. لمن أخذ عنهم ما يشفي غليله، ويشبع نهمه، ويتخذ من ذلك وسيلة لاتهاماته الباطلة، وتلفيقه المشين.

والإنسان ليس معصوما من الخطأ ـ لأنه لا عصمة إلا للأنبياء ـ وكل إنسان مركب من الحق والخير، والباطل والشر، وكثيرا ما يغلب الشر والباطل على الحق والخير، لأن النفس البشرية شريرة تقود صاحبها إلى الهلاك، فكان الواجب على هؤلاء الرواد الأوائل في التأليف أن يجنبوا مؤلفاتهم هذا الريب، وذلك الاتهام حتى تظل نواياهم طيبة لا تدع مجالا للتشكيك فيها.

وإذا جاز من تعقيب بعد هذا:

فأول ما ورد عن موضوع (زينب بنت جحش وزواجها) كان في طبقات ابن سعد كاتب الواقدي، والواقدي متهم في رواياته، وفي أسانيده بالضعف، وعدم التفريق بين مقطوع السند والمرسل(١٥) كما قال عنه الكوثري في وفيات الأعيان(١٦).

وقد أخذ روايته عن (موضوع زينب) عن عبدالله بن عامر الاسلمي(١٧) المتهم بالضعف أيضا، عند كثير من رجال الأحاديث، منهم البخاري، والإمام أحمد والنسائي، فإذا كان قد ثبت أن الذي ساق هذه الرواية رجلان ضعيفان في رواياتهما فماذا يبقى لهذه الرواية من ثبات، إنها لرواية واهية ولا أساس لها من الصحة.

وهذا نص الرواية كما وردت في طبقات ابن سعد:

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبدالله بن عامر الأسلمي عن محمد بن يحيي بن حيان. قال: جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة يطلبه. وكان زيد إنما يقال له: زيد بن محمد، فربما فقده رسول الله ﷺ ـ تلك الساعة ـ فيقول: أين زيد؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده، وتقوم إليه زينب بنت جحش زوجته فضلا(١٨) فأعرض رسول الله ـ ﷺ ـ عنها فقالت: ليس هو هاهنا يارسول الله، فادخل ـ بأبي أنت وأمي ـ فأبى رسول الله أن يدخل، وإنما عجلت زينب أن تلبس لما قيل لها رسول الله ﷺ على الباب، فوثبت عجلى، فأعجبت رسول الله، فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه إلا ربما أعلن: «سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب» فجاء زيد إلى منزله، فأخبرته امرأته، أن رسول الله أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى. قال: فسمعت شيئا؟ قالت: سمعته حين ولى تكلم بكلام ولا أفهمه، وسمعته يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد حتى أتى رسول الله، فقال: يارسول الله، بلغني أنك جئت منزلي، فهلا دخلت؟ بأبى أنت وأمي ـ يارسول الله ـ لعل زينب أعجبتك فأفارقها، فيقول رسول الله: «أمسك عليك زوجك» فما استطاع زيد إليها سبيلا، بعد ذلك اليوم، فيأتي إلى رسول الله فيخبره، فيقول رسول الله: «احبس عليك زوجك» ففارقها زيد، واعتزلت، وحلت، يعني انقضت عدتها(١٩).

وهذه الرواية مع ضعفها وتمامها هي التي نقلها الطبري عن ابن سعد كما هي، ولم يتحقق من قوتها أو ضعفها ومن صدقها أو كذبها، بل أضاف إليها رواية أخرى أكثر منها ريبة، وأشد وهنا، وأركن طعنا في حق سيد الخلق إذ يقول: (حدثني يونس بن عبد الأعلى)(٢٠)

قال أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد:

(كان النبي ﷺ قد زوج زيد بن حارثة، زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله ﷺ يوما يريده، وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها، حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، قال: فجاء فقال: يارسول الله، أني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك، أرابك منها شيء! فقال: لا، والله يارسول الله، ما رابني منها شيء، ولا رأيت إلا خيراً، فقال له رسول الله ﷺ أمسك عليك زوجك، واتق، فذلك قول الله تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾(٢١) تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها(٢٢).

ولنتحقق من هذه الرواية بالفحص والاختبار والتمحيص والتدقيق. فإن كانت هذه الرواية قد وصلت إلى الطبري عن محادثة يونس بن عبدالأعلى له، ذلك الذي وثقه ابن حاتم وغيره كما ورد في ميزان الاعتدال للذهبي(٢٣) فان يونس هذا يقول: أخبرنا ابن وهب يقول: قال ابن زيد: فمن: ابن وهب؟ ومن ابن زيد حتى تثبت صحة هذه الرواية؟.

أما عن ابن وهب: فأبناء وهب كثيرون لا يمكن حصرهم، منهم:

عبد الله بن وهب(٢٤).

وعبد الله بن وهب الفسوى، وقيل النسوى، روى عن يزيد بن هارون وغيره قال عنه ابن حبان: دجال يصنع الأحاديث(٢٥).

وعبدالله بن حمدان بن وهب الدنيوري ـ أبو محمد: متهم(٢٦).

وعبدالله بن حمد بن وهب الراسبي كان من رؤوس الحرورية زائغ مبتدع أدرك عليا ـ كرم الله وجهه ـ ذكر بعضهم أنه من الضعفاء، وهو في كتاب أبى اسحاق الجوزجاني من أقران عبدالله بن الكواء(٢٧).

وعبدالله بن وهب الحضرمي الكوفي ـ ذكره ابن حاتم: مجهول.

طه حسين تناول هذه القضية بصورة لا تليق بمسلم لا بنبي في فصل كامل من هوامشه

وعبد الله بن وهب بن منبه قال عنه الذهبي ما علمت أحدا وثقه(٢٨).

هذه أسماء العبادلة التي وردت في ميزان الاعتدال لابن وهب، فما بالك بالكتب الأخرى، وأبناء زيد كثيرون ـ أيضا ـ منهم:

ـ إبراهيم بن زيد الأسلمي التفليسي، له عن مالك خبر باطل ووهاه ابن حبان والسند إليه مظلم.؟(٢٩).

وإسماعيل بن زيد بن مجمع والد إبراهيم هذا ضعفه يحيي بن معين(٣٠).

وأسيد بن زيد الجمال أبو محمد الكوفي مولى صالح بن علي الهاشمي، كذبه ابن معين ـ أيضا ـ وقال النسائي مترك ـ وقال ابن حبان يروي عن الثقات والمناكير، ويسرق الحديث(٣١).

وأصبغ بن زيد الجهني، وثقه ابن معين، وقال النسائي ليس به بأس(٣٢).

والبراء بن زيد البصري سبط أنس بن مالك، ضعفه أحمد وابن معين(٣٣).

والحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي العلوي، قال عنه ابن عدي وجدت في حديثه بعض النكارة(٣٤).

بهذا يتضح لنا أن صاحب هذه الرواية مجهول لعدم الوصول إلى معرفة اسمه، وزمنه الذي عاش فيه، وتصبح هذه الرواية موضوعة ومنكرة لأنها تتنافى مع الكتاب والسنة والإجماع، ولم يصدقها عقل، ولم يعيها قلب.

يقول ابن الجوزي: (إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع)(٣٥).

أضف إلى ذلك أنه لو فرض جدلا أن ابن زيد هذا هو ـ المقصود به ـ حاتم(٣٦). فقد عده ابن الجوزي من التابعين، ومن الطبقة السادسة من أهل البصرة، الذين لم يروا الرسول ﷺ ولم يشاهدوا دخوله وخروجه من عند زيد بن حارثة، ولم يسمعوا ماقاله الرسول في ذلك، كما أنهم لم يحضروا مثل هذه الأحداث، فكيف تم له هذا القول، إن هذا لأفك وبهتان، ودليل آخر على وضع الرواية وهوانها.

ثم جاء ابن الأثير صاحب الكامل في التاريخ، وأخذ من كل رواية من هاتين الروايتين بطرف ـ فيما اتفق فيه ابن سعد والطبري، وما انفرد به الطبري عن ابن سعد، والتي سمعها من يونس بن عبدالأعلى.

ثم لم يذكر ابن الأثير سلسلة الرواية، ولا اسم من رأى، أو سمع أو حضر، ولا أي راو مشهور برواية الأحاديث، مما يدل على عدم اهتمامه بشخصية الراوي، ولا نصوصها، ومعرفة الراوي من الأمور المهمة لصحة الرواية من كذبها(٣٧).

فأنت ترى أن مضمون الروايات واحد، لكن التقديم والتأخير، والتغيير في الألفاظ والجمل واضح، وما هذا إلا من اختلاف الرواة.

ونحن لا نشك في أمانة ابن سعد، والطبري، وابن الأثير، من ذكرهم لهذه الرواية، فهم من أهل الإنصاف والاعتدال في التدوين، وكان في اعتقادهم، أن من الإنصاف جمع الأخبار والروايات من كل المذاهب والمشارب، كي يكون الباحث على بصيرة ودراية بكل خبر قيل ـ بصرف النظر عن صدقه أو كذبه ـ ليجد أمامه مادة غزيرة تفيده في الدرس والبحث.

فصاحب الرأي السديد، والذوق الرفيع، عليه أن يعلم أن كل ما يتصل بشخص النبي يجب أن يمحص ويغربل، وخصوصا من المنصفين الأوائل كي يصل الخبر، أو الرواية إلى قرائها، منقاة صافية، لا تدع مجالا للريب والشك ممن تتملكهم الأهواء، وتسيطر عليهم الأحقاد، فيتخذون من النيل في شخص الرسول الكريم تسلية لهم يشبعون رغباتهم الخبيثة وشهواتهم الدنيئة، فضلا عن أن هؤلاء هم أصحاب المصادر الأولى التي قد لايجد الدارس أمامه إلا هي، فتجره إلى الانقياد إليها، والأخذ عنها إذا لم يجد مفرا من اللجوء اليها.

وهذا ما حدث مع القرطبي، والنسفي في تفسيرهما، وفي غيرهما من تفاسير. ومع ذلك فإن هناك بعض المنصفين الذين قاموا بتوثيق هذا الموضوع توثيقا يتسم بالحق والصدق، وتذليل الباطل، ودحر الريب، من علماء التفسير والحديث.

فلقد ورد في كتاب (الكافي الشافي) في تخريج الأحاديث النبوية للحافظ ابن حجر العسقلاني(٤٠) الشارح لصحيح البخاري، وعلى هامش تفسير الكشاف(٤١) ما يبطل هذه الروايات التي وردت حول (موضوع زواج زينب) في طبقات ابن سعد، والطبري وما أخذه ابن الأثير عنهما، أن ماورد من رواية (محمد بن يحيي بن حبان)(٤٢). التي ذكرها ابن سعد، وأخذها عنه الطبري ـ إنما هي مقطوعة السند، ويقول: (لم أجدها موصولة) وما ورد في الطبري، وانفرد به ابن سعد، (إنها بغير سند مطلقا) وما أثبته ابن حجر هذا دليل صدق، وحجة قاطعة على إبطال ما قيل حول (زينب بنت جحش) وما كان من اتهام باطل وتشكيك في حياة الرسول ـ ﷺ ـ وقد نسبها بالكذب والبهتان.

وأكد كلام ابن حجر هذا محقق كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير بقوله: (هذه الرواية باطلة زورها الملاحدة، واختلقتها أذهان أعداء المسلمين، وقد تغلغلت في نفوس العلماء من حيث لا يعلمون، فافتكروا في رواية الخبر، فاتخذوه أساسا، وأعرضوا عن أن الله ـ

هيكل وقف من هذه القضية وقفة المشرف والمؤرخ الحقيقي الذي دافع عن الطعن في شخصية رسول الله من قبل المغرضين المستشرقين

تعالى ـ أعلمه أنها قد صارت له زوجا. وعلى الرغم من ذلك، فقد اتخذ أعداء الإسلام من هذه الروايات الضعيفة ـ الزائفة الواهية التي لا أساس لها من الصحة ـ قذائف وشظايا مستهدفة للطعن في شخص الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه - والنيل من مقامه العظيم الذي لم يحظ به أحد قبله من الأنبياء والمرسلين. ولو فطن كل من هؤلاء إلى كنه القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لوجدوه صريحا وواضحا في الرد على هذا البهتان العظيم وذلك الافك الأثيم.

ولم يبق من قول للرد به على هؤلاء إلا أن يفطنوا، ويتيقنوا: أن الحق واضح، والحقيقة ساطعة لا لبس فيها ولا غموض، ولا بد لهم من أن يتأكدوا من أقوالهم، ويتمكنوا من أحكامهم، فمن غير المعقول، أن يعاتب إنسان لأنه لم يجاهر بحبه لزوجة جاره - وحاشا لله ـ أن يعلق قلب رسوله الطاهر بامرأة أجنبية هي في عصمة رجل آخر، ومن هذا الرجل، إنه مولاه، وأن يخفي هذ الحب حتى ينزل القرآن يعاتبه على هذا الخفاء فهذا ما لا يليق بإنسان، فضلا عن أنه أشرف الخلق جميعا، غاية ما في الأمر: ما ورد على لسان علي بن الحسين من أنه قال: (أعلم الله نبيه، أن زينب ستكون من أزواجه، قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها إليه، وقال له: اتق الله، وأمسك عليك زوجك، عاتبه ربه، وقال له: قد أخبرتك أني مزوجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه، وقد أطنب الترمذي الحكيم في تحسين هذه الرواية وقال: (إنها من جواهر العلم المكنون)■

آخر المتصدرين لهذه القضية الدكتور شعوط الذي أورد المصادر التي أغفلها الكتاب وقام بالرد على بعضها

الهوامش

١- عبقرية محمد، العقاد، ص١٠٨.
٢- على هامش السيرة، طه حسين ٣/٢١٧.
٣- المرجع نفسه،، ٣/٢٢٧.
٤- طبقات ابن سعد، ٣/٣١.
٥- على هامش السيرة، طه حسين، ص.ك. المقدمة.
٦- حياة محمد، هيكل، ص٣١٥.
٧- حياة محمد، هيكل، ص٣١٨.
٨- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د/إبراهيم شعوط، ص/ ٧٠-٨٠.
٩- مقدمة ابن خلدون، ١/١٢، كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٧٠.
١٠- أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم.
١١- أبو عبدالله محمد بن سعد بن منبع الزهري البصري كاتب الواقدي.
١٢- محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار، ولد بالمدينة٨٥ هـ.
١٣- محمد بن عبدالملك بن أيوب الحميري المعافري، نشأ بالبصرة، ثم نزل مصر، وصار إماما في النحو.
١٤- أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، ولد ٢٢٤هـ، بطبر سكان.
١٥- مقطوع السند، ما حذف من أول إسناده راو واحد فأكثر والمرسل، ما روي عن التابعي، وليس عن الصحابي، وهذا وذاك ضعيف للجهل.
١٦- وفيات الأعيان لابن خلكان، ٤/٣٤٨.
١٧- عبدالله بن عامر الأسلمي أبوعامر المدني.
١٨- فضلا: ثياب النوم، لسان العرب، ٥/٣٤٣.
١٩- طبقات ابن سعد، ٨/ ٧٠و٧١.
٢٠- أبو موسى يونس بن عبدالأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصدفي المصري الفقيه الشافعي.
٢١- [الأحزاب/٣٧].
٢٢- تاريخ الطبري، ٢/٥٦٣و٥٦٤.
٢٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي ٤/٤٨١.
٢٤- أبو محمد عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي بالولاء.
٢٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، ٤/ ٤٨١.
٢٦و٢٧- المصدر نفسه ١/٥٢٣، ٢/٤١٢، ٤٢٠.
٢٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ١/٣٢.
٢٩- نفسه ١/٢٥٧، ٢٧٠.
٣٠- نفسه ١/٣٠١، ١/٥٣٥.
٣١- نفسه ٢/٤٢٥، ٤٥٦.
٣٢- نفسه ٣/١٢٩.
٣٣-نفسه ٣/١٩٨.
٣٤- نفسه٤/٣١٣.
٣٥- أضواء على مصطلح الحديث، د/أنور عبدالفتاح، ص١٤٩.
٣٦- حماد بن زيد بن درهم الأذري البصري الضرير يكني أبا إسماعيل.
٣٧- علماء الحديث يعتمدون أساسا على أمرين، الاسناد والمتن: المتن هو النص عما ورد عن الرسول، الاسناد: أي إسناد القول إلى صاحبه بسلسلة تمتد من القائل إلى أن تنتهي إلى من رأى أو سمع أو مارس شيئا يخبر عنه/ طبقات ابن سعد ٣/ق، ٢/٣٢.
٣٨- هو شهاب الدين أبوالفضل: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني الأصل، المصري المولد والنشأة والدار.
٣٩- تفسير الكشاف، الزمخشري، ٤/١٣٤، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
٤٠- أبو عبدالله محمد بن يحيى بن عبدالله بن خالد بن فارس بن ذؤيب النيسابوري.

الاستشراق والفكر الأسود

الاسلام دين الحق الذي بعث به الله تعالى رسوله محمدا ﷺ ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وأعداء هذا الدين لا ينقصون بل يزيدون، ويزيد حقدهم على الإسلام، ويتفننون في الكيد له فيزرعون أحقادهم هنا وهناك في كل بقعة من عالمنا الاسلامي الكبير ويدسون سمومهم وأفكارهم السوداء الجاهلة المظلمة في عقول شبابنا المسلم، وشغلهم الشاغل تشويه صورة الإسلام ليبغضه المسلمون ذاتهم قبل أن يكرهه غيرهم، وارتدى أعداء الإسلام أقنعة ذات أشكال مختلفة، يغيرون جلودهم كالأفاعي وينظمون حركاتهم في قوافل عدائية يصوبونها نحو أمتنا بغية هدم الإسلام، ولكن يأبى الله إلا أن يجعل كيدهم في نحورهم ويقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً﴾ [البقرة/ ١٠٩] وقال تعالى: ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [التوبة/ ٣٢].

تاريخ الاستشراق

لم يحدد أحد من المؤرخين أو العلماء تاريخا معينا ثابتا لبدء حركة الاستشراق، فمنهم من أرجع تاريخ الاستشراق للقرن العاشر الميلادي، وبعض الباحثين أرجعه إلى القرن الحادي عشر الميلادي، بينما يرجع بعض الباحثين أن الاستشراق كانت بدايته مع مطلع القرن الثاني عشر الميلادي حيث أخذت حركة الاستشراق شكلا شبه رسمي بإيفاد الدارسين وبعض الرهبان على بلاد الأندلس أيام عظمتها الثقافية والسياسية وكان على شكل بعثات مرسلة من أوروبا، وإن كانت قبل

بقلم: ممدوح إبراهيم الطنطاوي

ذلك قد أخذت طابعا فرديا، إلا أنها أصبحت بعد ذلك الحين آخذة في الزيادة وبخاصة في حلول عهد الإصلاح الديني في أوربا، وتكثيف قوافل الدارسين النصارى إلى بلاد الأندلس لدراسة الحضارة الإسلامية، وتعلم اللغة العربية وآدابها، فتعلم رهبان النصارى في المدارس الإسلامية في الأندلس، وتجرعوا الثقافة الإسلامية، ولكن سرعان ما اتخذت تلك القوافل عمليات الترجمة والمعرفة سبيلاً لها ليس بهدف نشر الثقافة الإسلامية وعلومها ولكن من أجل تشويه صورة الإسلام عند الأوروبيين حتى لا يفكر أحدهم ــ مجرد تفكير ــ في دخول الإسلام واعتناقه، وتطورت حركة الاستشراق حتى صارت تأخذ طابعا سياسيا واستراتيجيا هاما عندما أصبح المستشرقون يعملون كجواسيس يطلعون على أسرار الشرق وخيراته، وينقلون ملاحظاتهم وتقاريرهم إلى حكوماتهم متضمنة الأحوال الثقافية والسياسية والاقتصادية لبلدان المشرق وبخاصة المشرق العربي، فيسهل لتلك الدول السيطرة على بلاد المسلمين، وفعلا لعب الاستشراق دورا حيويا في قيام الاستعمار وبخاصة في شمال أفريقيا وغرب آسيا وجنوبها حيث بدأ المستشرقون بأساليبهم الخبيثة يتقربون إلى بعض العلماء والقادة المسلمين، كي يحصلوا على معلومات وبيانات تخدم الاستعمار وغاياته، ناهيك عن حركات التنصير التي قادها المستشرقون، وبعثات التبشير وتمهيد المناخ الفكري لتلك البعثات

في عقول المسلمين وتشويه صورة الاسلام لديهم فتسهل مهمة المبشرين، وبالفعل نجح الاستشراق في هذا الأمر خصوصاً عندما وجد أرضا خصبة في بلاد المسلمين المتمثلة في العلمانيين وضعاف الفكر حتى كانوا أداة للاستشراق والمستشرقين يبثون من خلالها سمومهم وأحقادهم الدفينة على الإسلام وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ [البقرة/ ١٢٠].

أهدافه

يمكن تلخيص أهداف الاستشراق وغاياته كالتالي:

١- تشتيت وحدة المسلمين بإثارة الخلافات والبغضاء فيما بينهم ليصيروا أمما وجماعات متفرقة فيسهل للغرب مد نفوذه وفرض سيطرته عليهم.

٢- تشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم وإشاعة أفكار سوداء باطلة في أذهانهم ليمسي فكرهم شاذا عن الدين الإسلامي وعقيدته.

٣- تشويه صورة الإسلام وقلب تاريخه الطاهر ليصبح في صورة بشعة يكرهها الأوروبيون، وقلب عقيدة المسلمين الراسخة إلى جحود وكراهية للإسلام.

٤- تسهيل تمرير مخططات الغرب إلى بلاد المسلمين بمعاونة تابعيهم من العلمانيين والجهلة فتسهل سيطرة الغرب على بلاد الإسلام وبالتالي يقبع الاستعمار في قلب الاسلام والمسلمين.

٥- إن من أهم أهداف الاستشراق

اهتم المستشرقون بإرسال البعثات والرهبان إلى بلاد الاندلس أيام عظمتها الثقافية الاسلامية للنيل من الإسلام والمسلمين

عمليات التبشير والتنصير التي كانت تتوالى في قوافل تنصيرية الواحدة تلو الأخرى إلى بلاد المسلمين، معتمدين على الحالات السياسية والفقر لتلك البلاد فيظهرون في صورة النصير والمعين عند الحاجة فينخدع الجاهلون بتلك التمثيلية الخبيثة فيمتثلون للتنصير.

٦- تغريب الدول العربية الإسلامية وتبديل الثقافة العربية بحيث تصبح ثقافة أوربية علمانية.

٧- فصل الدين عن الدولة باعتبار أن الدين الإسلامي هو دين فقط لا دخل له في العلاقات الإنسانية والمعاملات بين الناس وبالتالي لا يجلد شارب الخمر ولا يرجم الزاني ولا تقطع يد السارق بمعنى هدم الشريعة الإسلامية في عقر دارها.

الفكر الأسود

فكر الاستشراق أسود ودنيء إلى مستوى انحطاطي ويعتبر وصمة عار على جبين أوربا بأسرها، حيث تكتلت قوى الغرب فأعدوا المستشرقين بهدف انتقاء نقاط معينة في الإسلام، وظنوا بجهلهم أنها نقاط ضعف فأخذوا يتشبثون بها ثم يحورونها ويضيفون إليها ما يريدونه حتى تخرج في صورة تناسب مآربهم، ويقبلها ضعاف الفكر والثقافة وهذه هي طريقة الاستشراق دائما، يحددون غاياتهم، ثم ينقبون عن أقوال وأفعال ذكرت في الكتب الإسلامية ويظنون أنها تتوافق مع تلك الغايات فيدعمون بها مزاعمهم كما يقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه الاستشراق والمستشرقون: «يضع المستشرق الفكرة في ذهنه أولا، ثم يستنبط من الكتب والأقوال بعد ذلك ما يظنه دليلا على فكرته».

مزاعمهم الباطلة

إذا كانت بداية حركة الاستشراق قد هدفت إلى دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية للاستفادة منها في النهضة الأوروبية إلا أنها أخذت تربو على ذلك الهدف، واتسع نطاق الاستشراق حتى يخدم الاستعمار بعمل الأبحاث، والدراسات المختلفة عن الشرق في جميع النواحي ولكن سرعان ما تحول هذا الفكر إلى أبعد الحدود، فدأب المستشرقون يدرسون العلوم الإسلامية، وكانت الغاية في هذه المرحلة هي تشكيك المسلمين في دينهم وإبعادهم عنه، وتبغيض العقيدة الإسلامية لدى شعوب أوروبا حتى لا يفكروا — مجرد التفكير — في اعتناق الإسلام دينا وعقيدة، وجاءت مزاعمهم مبتورة مفتراة وأهمها:

١- إنكار النبوة وأن القرآن من عند محمد.

٢- الإسلام انتشر بالسيف.

٣- كانت الفتوحات الإسلامية هدفها التوسع ونهب الثروات.

٤- الاسلام دين لا دولة

٥- الأحاديث النبوية الشريفة ليست من أقوال النبي وإنما قالها التابعون.

٦- الثقافة الإسلامية تدعو إلى التأخر والتخلف.

٧- الرسول رجل مزواج وحق المرأة مهدر في الإسلام.

٨- الحروب الإسلامية اتخذت طابعا همجيا.

٩- مزاعم أخرى كثيرة كلها كذب وافتراء.

كل هذه المزاعم باطلة ليس لها أساس من الصحة، وإن استند المستشرقون إلى أدلة تثبت ذلك، فإنما هي أدلة واهية مختلقة. فالقرآن كلام الله تعالى نزل به الوحي على رسول الله ﷺ في ليلة مباركة وتوترات الآيات الكريمات الدالة على أن القرآن من عند الله يقول الله تعالى: ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل﴾ [الزمر/٤١] ويقول تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر/٩].

ويقول الله تعالى: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ [الرعد/٣٨].

وعن زعمهم أن الأحاديث الشريفة ليست من أقوال النبي ﷺ وأنها من أقوال بعض الصحابة والتابعين يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل/٤٤]. فأنزل الله القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ وأمره بتفسيره وتوضيحه لأصحابه فقال النبي ﷺ أحاديث كثيرة وضحت لهم أمور حياتهم ومماتهم وبعثهم وحسابهم، وأمرنا الله تعالى أن نأخذ ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتمسك به وننتهي عما نهى عنه في قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الآية ٧/سورة الحشر] وقال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وتلك أدلة تثبت وترد على مزاعم المستشرقين على أن الأحاديث النبوية من كلام سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وأوضح الله تعالى في قوله ﴿وما آتاكم الرسول﴾ رداً لا يحتاج إلى تفصيل ولكن أعداء الدين الاسلامي بغبائهم المتراكم فوق جهلهم لم يفهموا القرآن ولن يفهموه أبدا لأنهم قد غلظت عقولهم وتاهت ضمائرهم واستكبروا وافتروا على الله ورسوله ويصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾ [الآية ٨٧/البقرة].

الفتوحات الإسلامية ونظرة الاستشراق

وزعم المستشرقون أن الفتوحات الإسلامية كانت ذات طابع همجي استعماري، وأنها هدفت إلى التوسع ونهب الثروات وأن الإسلام قد انتشر بالسيف، فكلها مزاعم باطلة لا تحتاج إلى عناد في الرد عليها،فكل متأمل في التاريخ يعلم طهارة الإسلام ونظافة يد المسلمين ويكفي أمة الإسلام شرفاً وعزةً عندما يصفها رب العزة تباركت أسماؤه في كتابه العزيز بأنها الأمة

كان هدف المستشرقين تشكيك وتشتيت وحدة المسلمين في دينهم وعقيدتهم بمعاونة تابعيهم من العلمانيين

يهدف الاستشراق إلى عملية التبشير والتنصير في بلاد المسلمين معتمدين سياستهم الدنيئة واستغلال ظروف الفقر

الخيرية التي تدعو إلى الخير قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[آل عمران/ ١١٠].

وكان التسامح هو السمة الملازمة لحركة الفتوحات الإسلامية من بداياتها ولا يخفى على عاقل ذلك الأمر كما سجله التاريخ بحروف من ذهب على صفحات من نور عندما دخل رسول الله ﷺ مكة ـ كرمها الله وشرفها ـ ومعه مائة ألف من الصحابة وفر أهل مكة أمامهم فأعجب أحد الصحابة بالمنظر فسل سيفه وقال بصوت مرتفع: (اليوم يوم الملحمة) فغضب الرسول ﷺ من قوله وقال «لا تقل اليوم يوم الملحمة ولكن قل اليوم يوم المرحمة» وظن أهل مكة أن يجدوا من رسول الله سوءاً كما أذاقوه من ألوان الإيذاء من قبل، ولكن الرسول ﷺ كان خلقه القرآن وكان على خلق عظيم فقال لهم «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فيا من زعمتم على رسول الله وصحابته بهتانا ألم تعلموا هذا الموقف! وهناك من المواقف ما لا يعد ولا يحصى ولعل أبرز تلك المواقف تتجلى في موقف الفاروق عمر بن الخطاب من أهل بيت المقدس عندما كتب كتابه للقساوسة والبطارقة وأهل الذمة في بيت المقدس: (بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أهل بيت المقدس: إني قد منحتكم الأمان على دمائكم وأموالكم، وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب. إلا إذا أحدثتم حدثا عاما والسلام) ـ وأشهد على هذا الكتاب كلا من:

يزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان، وخالد بن الوليد.

وقد ذكر التاريخ على لسان أحد النصارى قوله: دخل المسلمون علينا ذات يوم، فعرضوا علينا الإسلام فأبينا ذلك، فعرضوا علينا الجزية فرضينا ثم جاءت أوامر لقائد المسلمين أن أترك المدينة وارجع، فأرسل الجيش الإسلامي وظل هو، ومر على كل منزل وقام بتوزيع الأموال على أصحابها. فقال أهل المدينة (لو كانوا القساوسة ما ردوا علينا أموالنا، والله إن هذا لدين الحق، ودخلت البلد كلها في الإسلام).

أبعد كل هذه المواقف يصر أعداء الإسلام على غوغائهم وحقدهم وضغينتهم، يقول الله تعالى: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [الأنفال/ ٣٠].

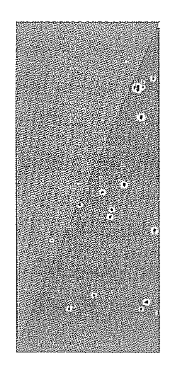
الاستشراق والمرأة المسلمة

حاول المستشرقون نشر أفكارهم المسمومة بالطرق كافة، فتطرقوا صوب المرأة المسلمة، لأنهم علموا أن المرأة هي أشد عنصر في إشاعة الفتنة حال فسادها، لأنها إن صلحت صلح المجتمع وخرج النشء صالحا نافعا لأمته، وإن فسدت انتشرت الفاحشة وضاع الجيل المسلم في بؤرة الفساد، وهم لا يقولون نحن نريد الرذيلة ـ أي المستشرقون ـ ولكنهم يريدون أن تفسد المرأة فيفسد المجتمع، فتخفف وطأة الطريق لتمرير مخططاتهم لهدم الإسلام، فعمل المستشرقون جاهدين على إثناء المرأة عن دورها الأساسي في المجتمع المسلم، وذلك بتبغيضها في الاسلام وزعموا أنهم في صف المرأة المسلمة، وأنهم في أشد الحزن على أحوالها والمعاملة التي تعامل بها في الإسلام حيث ان حقها ضائع ومهدور وأنها تعامل معاملة الجواري، وتحت هذه الشعارات والادعاءات خدعت الكثيرات من نساء المسلمين وبلغت الوقاحة أوجها عندما قال أحد أقطاب العداء: (لن تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع هذا الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن) ولكن الله يعلم ما يفعلون وما يقولون وسيجعل كيدهم في نحورهم ولهم في الآخرة عذاب أليم مهين ـ يقول تعالى في كتابه: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾[النور/ ١٩].

وعلى المرأة أن تعلم أنها بالإسلام تساوي كل شيء وبغير الإسلام لا تساوي شيئا ألم تكن توأد في الجاهلية وتباع وتشتري فحرم هذا الإسلام، ومنحها عزة وكرامة ونصيبا في الحقوق، وينبغي على الحكومات الإسلامية وأولو الأمر أن تتكاتف جهودهم وتتحد قواهم لتصير بلادنا أمة لها شوكتها وتكون قادرة على التصدي لهؤلاء الأقزام أعداء الدين، يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد/٧]. أيها المسلمون عودة صادقة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ حتى نصل إلى بر الأمان■

المراجع

* محمد فؤاد عبدالباقي ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
١- د/مصطفى السباعي * الاستشراق والمستشرقون.
٢- أرنولد توينبي * الإسلام والغرب والمستقبل.
٣- د/عجيل النشمي * الاستحسان في نظر المستشرقين. مقال في مجلة الوعي الإسلامي ـ العدد ٢٤٤ ربيع الثاني ١٤١٥هـ.
٤- د/ محمد حمدي زقزوق * الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.
٥- د/عباس محجوب * الاستشراق تاريخه وأهدافه. مجلة منار الاسلام ٣/ ١٤١١هـ.
٦- د/شعبان أبو طالب * محاضرات في العقيدة والتيارات الفكرية المعاصرة.
٧- د/ابراهيم اللبان * المستشرقون والإسلام
٨- د/محمد البهي * الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي
٩- محمد أسد * الإسلام على مفترق الطرق.
١٠- محمد بن جرير الطبري * تاريخ الأمم والملوك
١١- محمد عبدالسميع الحفناوي * لباب الإسلام
١٢- محمد يوسف الكاندهلوي * حياة الصحابة
١٣- د/عبدالسلام القوصي * وبعث رسول الله.



في الوقت الذي ندعو فيه إلى الاهتمام بالمجامع الفقهية، ورعايتها، ونشر نتائج بحوثها على أوسع نطاق، والبحث عن السبل التي تنهض بها، وتدفعها للأمام،بعدما توصل كثير من علماء المسلمين إلى أن الحل الأمثل لموضوع الاجتهاد في عالم اليوم، هو الاجتهاد الجماعي فقد رأينا بعض العلمانيين - هداهم الله - لا يزال يناقش في موضوع فتح باب الاجتهاد واغلاقه، وقدر الله أن أحاور بعض الشباب المتأثرين بالتيار المذكور، فوجدتهم يدعون إلى فتح باب الاجتهاد بحرارة شديدة، (حتى لا يبقى للمذهبية مساحة تتحرك فيها بجمودها الذي يعوق حركة الحياة، والتطور الحضاري)؟!

صفات المجتهد في الفقه الإسلامي

بقلم: أحمد عزالدين الويسي

الاجتهاد

شاء الله تعالى أن أتصفح كتاب (الفتاوى) لشيخ الأزهر الأسبق د. عبدالحليم محمود رحمه الله ت ١٣٩٨هـ، فوجدته كتب تحت عنوان: (ماهو الاجتهاد في الفقه الإسلامي؟) فقال: (والواقع أن الذين يظنون أن الاجتهاد اختراع وابتداع كثيرون، حتى في كبار المثقفين من الحقوقيين، ففي بعض اللجان التي تضم حقوقيين وعلماء دين يأتي بعض الحقوقيين مكوناً رأياً معيناً في الطلاق، أو تعدد الزوجات، أو الميراث، ويعلق رأيه في اللجنة، فإذا اعترض على رأيه بعض علماء الدين قائلين: إنه غير موافق للشرع، يقول لهم اجتهدوا؟ ومعنى هذا بكل بساطة: غيروا الدين ليتفق مع رأينا، أو افهموا النصوص الدينية في ضوء ما نقول)؟!

وبهذا يتبين أي اجتهاد يسعى إليه العلمانيون، الذين لبسوا قناعاً من احترام الدين، والاهتمام بتطوير الشريعة الغراء، ومن هنا تأتي أهمية الحديث عن موضوع الاجتهاد وشرائطه، ويزيد الأمر أهمية ما نجده في بعض المسلمين من تجاهل هذه الشرائط أو جهلها حتى رأينا من يتوهم أن خريج كلية الشريعة مثلاً، بل حتى من يعتاد قراءة الكتب الإسلامية، قادر على الاجتهاد والإفتاء في مسائل لو حصلت في عهد أحد الخلفاء الراشدين لجمع من أجلها أهل بدر وكبار الصحابة؟!

الاجتهاد وبذل الوسع في أي فعل كان واستفراغ الجهد في الأحكام الشرعية

الاجتهاد في اللغة

الاجتهاد عند أهل اللغة هو: بذل الوسع في أي فعل كان، فيقال: استفرغ وسعه في حمل هذه الصخرة حتى نهض بها، فهو إذاً عملية يستنفد الإنسان السوي كل ما لديه من طاقة فيها، ولهذا لا يقال: استفرغ وسعه في حمل الدرهم أو القلم أو المسطرة. والاجتهاد: مأخوذ من الجهد - بفتح الجيم أو ضمها - ولهذا عبّر به الفقهاء عند تعريفهم للاجتهاد فقالوا: (هو استفراغ الجهد في درك الأحكام الشرعية).

- وخشية أن يفهم من التعريف: أن أي متشهٍ إذا استفرغ جهده فهو مجتهد! عرّف بعض العلماء الاجتهاد على النحو التالي: (هو استفراغ الفقيه الوسع...الخ)، فاحترز بقوله: (الفقيه) عن أهل التشهي والتطاول.

- وهنا قد يأتي سؤال: ولكن ما أكثر من يوصف بالفقيه، فهل كل هؤلاء مجتهدون؟

- والجواب - كما أوضحه صاحب سلم الوصول - فقال: (لا يطلق لفظ الفقيه إطلاقاً حقيقياً إلّا على المجتهد المطلق، وأما إطلاقه على غيرهم من الفقهاء فمجاز، وعليه فالمجتهد هو الفقيه، والفقيه هو المجتهد، لا فرق بينهما لأن ما يصدقا عليه واحد).

فهذا هو الذي يستفرغ الوسع، وليس كل من هبَّ ودب، وعليه كما يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

(وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده، والإنصاف من نفسه، حتى يعرف من أين قال ما يقول، وترك ما يترك).

قفل باب الاجتهاد

ـ لقد كان الاجتهاد شائعاً في القرون الثلاثة الأولى، لأن المتصدين له كانوا يتحلون بصفات المجتهدين، وتتوفر فيهم شروط الاجتهاد غالباً، ثم لما تطلّعت همم القاصرين إلى هذه الرتبة الجليلة، وخشي علماء الأمة على هذا الدين أن يتلاعب به الجهلة أحاطوه بسياج من الحماية وقالوا: لقد أغلق باب الاجتهاد إذ أن المقصود بهذا القول هو دفع أهل التشهي الذين صدروا أنفسهم لهذا الأمر العظيم.

ولعل أبا الحسن الغالي، المحدث الأديب الشاعر، علي بن أحمد بن سَلَّك ت (٤٤٨)هـ. عناهم عندما قال:

(١ـ لما تبدلت المجالس أوجهاً
غير الذين عهدت من علماء)
(٢ـ ورأيتها محفوفة بسوى الألى
كانوا ولاة صدورها وفنائها)
(٣ـ أنشدت بيتاً سائراً متقدماً
والعين قد شرقت بجاري مائها)
(٤ـ أما الخيام فإنها كخيامهم
وأرى نساء الحي غير نسائها)

ـ حكى العلامة الشيخ محمد سعيد الباني الدمشقي ت ١٣٥١هـ، في كتابه (عمدة التحقيق) قال: (سألت مرةً أستاذنا العلامة الشيخ عبدالحكيم الأفغاني نورالله ضريحه، حينما كنت أتلقى منه أصول الفقه، عن فائدة هذا العلم؟ فأجابني على البداهة إن فائدته الاجتهاد، فقلت: ألم يقولوا يا سيدي! إن باب الاجتهاد مقفل؟ فقال بحدة على سبيل الاستفهام الإنكاري: من أقفله؟ يصلح الله حالك، لكن طالب العلم في بلادكم يدّعي الاجتهاد وهو لما يقرأ بعد (نور الإيضاح...).

ونور الإيضاح من المتون الصغيرة عند فقهاء الحنفية، التي تدفع للطالب المبتدئ حتى يتدرج في المعرفة الفقهية، ويماثله متن أبي شجاع عند الشافعية، ومتن خليل عند المالكية، وزاد المستقنع عند الحنابلة.

صفات المجتهد

هناك صفات تتعلق بذات الشخص المجتهد، وصفات تتعلق بالعلوم التي يجب أن يحصّلها حتى يغدو مجتهداً.

فالتي تتعلق بذاته أربع:

١ـ أن يكون بالغاً، فلا يقبل اجتهاد الصبي، لأن مناط التكليف بالبلوغ.

٢ـ أن يكون عاقلاً.

٣ـ العدالة، فلايجوز أن يكون المجتهد فاسقاً، لأن الفاسق وإن أدرك الأحكام، وعَرَف طرق الاستنباط إلا أنه لا يعتد بقوله لفسقه.

ومن أعجب ما سمعناه في هذا أن بعض العلمانيين الذين اتجهوا إلى الاجتهاد في الفقه؟ لا يصلّون؟ ولا يلزمون بالفرائض الدينية فضلاً عن النوافل، ولعل اجتهادهم قادهم إلى إسقاط الصلاة، نعوذ بالله من الزيغ بعد الهدى؟!

٤ـ فقه النفس ـ كما يعبر عنه العلماء ـ وهو الذي صار الفقه سجيةً ملازمة له، وملكة قائمة به يستطيع بواسطتها: استنباط الأحكام وإدراكها.

* قال إمام الحرمين الجويني رحمه الله: (وهو ـ أي فقه النفس ـ رأس مال المجتهد، ولا يتأتى كسبه، فإن جبل المجتهد على ذلك، فهو المراد، وإلا فلا يتأتى تحصيله بحفظ الكتب).

والتي تتعلق بالعلوم التي يجب تحصيلها خمس.

١ـ العلم بالقرآن الكريم.

يشترط في المجتهد أن يكون عالماً بكتاب الله تعالى، لأنه المصدر التشريعي الأول، الذي يجب أن يستند إليه، وعلمه بالقرآن الكريم لا يعني معرفة معناه إجمالاً، وإنما يكون مضطلعاً بالمعارف والعلوم القرآنية متمكناً فيها، لكن لا يشترط أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى، إذ المقصود أن يستطيع استنباط الحكم من الآية القرآنية، وكيفية استحضارها ومراجعتها...

وما يجب معرفته من كتاب الله تعالى:

ا : الناسخ والمنسوخ، حتى لا يعمل بالمنسوخ، وليستنبط الأحكام من الآيات الناسخة.

ب ـ العام والخاص، إذ أن هناك آيات عامة، وآيات خاصة، وهناك عامة دخلها الخصوص، وعامة يراد بها الخصوص... إلخ، وتفصيل ذلك في كتب أصول الفقه.

ج ـ المطلق والمقيد، وذلك ليتمكن من حمل المطلق على المقيد عند قيام دواعيه، أو يبقي كل منهما على ما عليه عند عدم الدواعي.

د ـ أسباب النزول، لأن بها يتضح المراد من الآية، ويفهم المقصود من الخطاب، ويقطع بدخول صورة السبب في الحكم، ويمتنع تخصيصها... إلخ.

٢ـ العلم بالسنة المطهرة

يجب على المجتهد أن يكون عالماً بالسنة، لأنها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، فصّلت ما أجمله، وأوضحت مقاصده، ومن لا معرفة له بها لا يمكن أن يكون مجتهداً. ويكفيه في هذا الزمن الرجوع إلى الكتب التي جمع فيها علماء الحديث السنة المطهرة، وهي كافية للاجتهاد، لأن الرواية كادت تنقطع، مع قلة نفعها في العصور المتأخرة مقارنة مع العصور المتقدمة، ومن هذه المؤلفات: (الكتب الستة المعروفة، والموطأ، والمسانيد: كمسند أحمد وأبي يعلي، ومصنفي عبدالرزاق وابن أبي شيبة، وسنن الدارمي والدار قطني والبيهقي،

المجتهد يجب أن يكون ملماً بالناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد

لا يشترط أن يكون المجتهد ذكراً أو حراً أو عارفا بعلم الكلام والفلسفة

ومعاجم الطبراني الثلاثة وغير ذلك...).

* ولا يكفي الإنسان أبداً كما يقول العلامة د. محمد حسن هيتو: (أن يقتصر على سنن أبي داود، أو الصحيحين، أو الصحاح الستة، لأن هذه الكتب وإن جمعت كثيرا من أحاديث الأحكام إلا أنها لم تستوعبها، وكم من الأحاديث التي تذكر فيها الأحكام لم تتعرض لها هذه الصحاح.

ولذلك كان لابد لمن يريد أن ينصب نفسه مجتهداً مطلقاً أن يكون عارفاً بكل السنن لاحتمال أن يوجد في بعضها ما لا يوجد في بعضها الآخر.

وليس المراد أن يحفظها، وإنما المراد أن يكون مشرفاً عليها مطلعاً على ما فيها، وإلا فلكل مقام مقال، ولكل فن رجال، ومن بطأت به همته لا يسرع به جهله، ولا يرحمه حمقه، ورحم الله امرأ عرف قدره فوقف عنده) اهـ.

ـ وما يجب أن يعرفه في السنة المطهرة:

أ ـ الصحيح والحسن والضعيف: ليقدم الأول على الثاني عند التعارض، والثاني على الثالث.

ب ـ التاريخ والرجال: ليتوصل به إلى معرفة الصحيح من الضعيف، والمقبول من المردود.

ج ـ الناسخ والمنسوخ: لأنه قد يعكس إذا لم يكن عالما بهما... وغير ذلك مما يندرج تحت معرفة علوم السنة، كأسباب الجرح والتعديل، وأسباب الورود، والتواتر، والآحاد، ونحو ذلك....

٣ ـ الخبرة بمواقع الإجماع

ويشترط أن يكون المتصدر للاجتهاد خبيراً بمواقع الإجماع، وإلاّ فقد يخرقه بمخالفته له، وخرقه حرام، وقد وقع في هذه الهوة بعض من تصدي للاجتهاد بغير حق في عصرنا هذا هداهم الله وإيانا.

٤ ـ معرفة أصول الفقه.

لأنه أساس الاجتهاد ودعامته، ولولاه لما تمكن العلماء من نصب الأدلة على مدلولاتها، ولما تمكنوا من استنباط الأحكام منها.... وإنما يجب معرفته ليقدم المجتهد ما يقضي له بتقديم، ويؤخر ما يقضي عليه بالتأخير، ولاسيما عند التعارض.

٥ ـ العلم باللغة العربية مثل النحو والصرف والمعاني، والبيان: وذلك لأن ألفاظ الشرع جاءت بلغة العرب، وما كان كذلك لا يفهم إلا بقواعد اللغة العربية، من النحو والصرف والبلاغة، ومن زعم أنه مجتهد، وهو باللغة جاهل، فإنه زعم بهتاناً وإفكاً، ولن يكون الجاهل بالعربية ـ كما يقول العالم الأصولي د: محمد حسن هيتو ـ مجتهداً إلا إذا ولج الجمل في سم الخياط.

ولا يشترط في معرفة العربية التبحر بها، وإنما يكفيه منها ما يحتاج إليه في الاجتهاد والاستنباط. قال ابن السبكي رحمه الله: (وهو ذو الدرجة الوسطى لغة وعربية)..، لكن والده الإمام تقي الدين السبكي لم يكتف بالدرجة الوسطى، بل المجتهد عنده: (من هذه العلوم ـ النحو... الخ ـ ملكة له وأحاط بمعظم قواعد الشرع، ومارسها بحيث اكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع).

قال العلامة البناني: (فلم يكتف بالتوسط في تلك العلوم، بل زاد على ذلك التوغل فيها إلى أن تصير ملكة له)، وهذه مبالغة كما قال العلامة الشيخ: محمد أسعد عبه جي.

تنبيهان

١ ـ لا يشترط أن يكون المجتهد ذكراً أو حراً، فللمارة والعبد الاجتهاد إن تحققت فيهما شرائطه

٢ ـ ولا يشترط أن يكون عارفاً بعلم الكلام والفلسفة ونحوهما من العلوم لعدم الحاجة إلى ذلك.

الاجتهاد ومقاصد الشريعة

زاد بعض العلماء ـ كالشاطبي ـ شرطاً آخر في شرائط الاجتهاد وهو: معرفة مقاصد الشريعة على كمالها، وذلك لأن فهم النصوص وتطبيقها على الوقائع متوقف على معرفة هذه المقاصد، فمن يريد استنباط الحكم الشرعي من دليله، يجب أن يعرف أسرار الشريعة ومقاصدها العامة في تشريع الأحكام.

والمراد بمقاصد الشريعة: الغايات والأهداف التي شرعت لها أو عندها الأحكام، وهي معان عامة قررتها نصوص كلية أو اجتهد في استخلاصها الفقهاء في العصور الإسلامية المتعاقبة من استقراء طوائف من النصوص المتناسبة..

وأرجو أن يكون قد اتضح لنا من يقبل قوله ومن يرد، فمن أكرمه الله ووهبه صفات المجتهد فإليه نتطلع بالحب والإجلال والتقدير، وأمّا من قصرت به مواهبه وعلومه عن بلوغ هذه السدة فليسلم لأهل الاختصاص، وليسكت عن المخالفة، وقديماً قال أحد أسلافنا وهو كلثوم ابن عمرو العتابي: (لو سكت من لا يعلم عما لا يعلم لقلّ الاختلاف).

نسأل الله أن يكرمنا بنور الفهم، وأن ينقذنا من ظلمات الوهم إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين اهـ. ■

المراجع:

١ ـ أصول الفقه الإسلامي ـ للشيخ د ـ وهبة الزحيلي

٢ ـ إفاضة الأنوار على أصول المنار ـ للإمام الحصكفي

٣ ـ جمع الجوامع للإمام ابن السبكي مع شرحه للعلامة الجلال المحلي، وحاشية العلامة البناني.

٤ ـ سُلم الوصول إلى علم الأصول للعلامة الشيخ محمد أسعد عبه جي.

٥ ـ صفحات في أدب الرأي ـ للعلامة الشيخ محمد عوامة.

٦ ـ صفحات من صبر العلماء ـ للعلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة.

٧ ـ الفتاوي ـ لفضيلة شيخ الأزهر السابق د ـ عبدالحليم محمود.

٨ ـ المحصول ـ للإمام الرازي، تحقيق ا.د (طه جابر فياض العلواني).

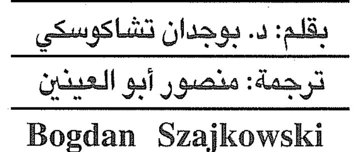
٩ ـ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ـ للدكتور أحمد الريسوني.

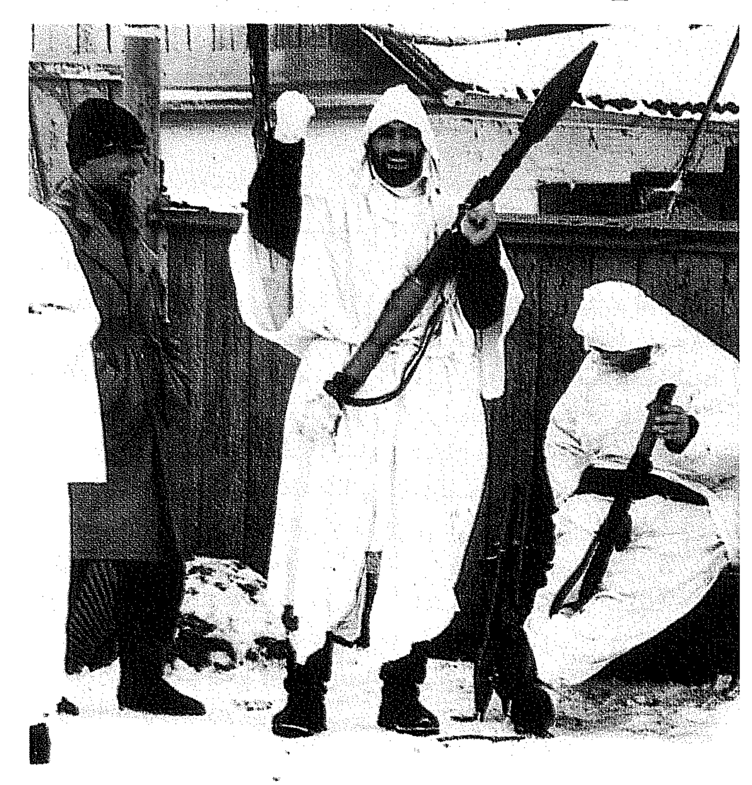
١٠ ـ الوجيز في أصول التشريع الإسلامي للعلامة الشيخ د ـ محمد حسن هيتو...

٢ ـ ٣

الشيشان: الامبراطورية تشن هجوما معاكسا

Chechnya: The Empire Strikes Back


بقلم: د. بوجدان تشاكوسكي
ترجمة: منصور أبو العينين
Bogdan Szajkowski



شمل الجزآن الاول والثاني احداث ما خلفه الدب الروسي من دمار في جمهوريه الشيشان الاسلاميه التي انفصلت من جانب واحد عن روسيا، فقد احتوى الجزء الاول من هذا المقال على الغزو الروسي ورأي المنظمة الاوروبية وتبريرات الغزو من جانب الروسي وماحدث للبنية الاجتماعية لهذه الجمهورية القوقازية.

واشتمل الجزء الثاني من هذا المقال أيضاً على الانتفاضة الشيشانية وعودة المرحلين بعد موت ستالين وحق تقرير المصير مع الرئيس الراحل جوهر دوداييف.

أما الجزء الثالث فيحتوي على محاولة استعادة الروس للجمهورية التي تنوي الانفصال والمآسي التي تعاني منها الجمهورية والتسويات التي ابرمت وفشلت وأهمية هذا البلد النفطي بالنسبة للدب الروسي واخيرا خاتمة شاملة للمقال.

محاولة استعادة الحكم الروسي

حاولت روسيا إجبار الشيشانيين على العودة إلى أحضان الاتحاد الروسي بوسائل الحصار الاقتصادي. وقد بدأ يؤدي ذلك إلى موقف يدعو لليأس، بعد أن توقف صرف المرتبات والمعاشات التقاعدية للكثيرين. كذلك توقفت وسائل التدفئة عن العمل وارتفاع معدل الجريمة المنظمة. كما أدى الحصار الاقتصادي إلى تعميق الاستقطاب السياسي وشجّع على ظهور عمليات اشتباكات متبادلة بين العرقيات المختلفة بالاضافة إلى معارضة لنظام دوداييف، وهو ما كانت موسكو تأمله. فقد كانت روسيا تريد اللعب على كارت العرفيات في الشيشان. وقد بدا أن هذه الاستراتيجية كانت ترمي إلى تشجيع ظهور المنافسات التقليدية بين الجماعات العرقية، وإعادة تأكيد امتيازات جماعة الترخو التي كانت قد

الروس استغلوا وسائل الحصار الاقتصادي من وقف صرف المرتبات والمعاشات لاجبار الشيشان الى العودة الى روسيا



الفشل الذي مني به المؤتمر الدستوري الذي انعقد عام ١٩٩٣م لتحديد الحقوق السياسية، لايجاد حل ناجح لقضية سيادة الجمهوريات

أفرزت حكام العهد الشيوعي بالمنطقة.

وفي نهاية ١٩٩٣ وبداية ١٩٩٤ برزت على الساحة بكل وضوح أربع جماعات معارضة، تركز أهمها في منطقة نادرشني الشمالية الغربية، مركز نفوذ جماعة الترخو. هذه المنطقة التي تتمتع بالاكتفاء الذاتي من المنتخبات الزراعية تنتج ٢٤٠ ألف طن من البترول سنويا، كادت أن تنفصل تماماً عن جمهورية الشيشان عام ١٩٩٣ ويديرها عمر عبدالرحمانوف الذي تمتع بتأييد ودعم الحكومة الروسية الفيدرالية. وفي يونيو ١٩٩٤ أصبح عبدالرحمانوف رئيس المجلس المؤقت، وهو ائتلاف غير مستقر لخمسة جنرالات عسكريين شيشانيين يشتمل الجماعات المعارضة: نارشو، دايموخ، الجبهة الشعبية والائتلاف المدني. أما الجماعة الرئيسية الثانية فقد تمركزت في مناطق شالي وفيدينو بقيادة رسلان لابازانوف رئيس حركة العدالة. أما الجماعة الثالثة فقد تزعمها بسلان جنتاميرون ومركزها قرية جينحي في جنوب غرب الجمهورية. أما رسلان حسب اللاتوف، الخصم السابق للرئيس يلتسون، فقد قام بعد خروجه من السجن الروسي بحشد قوة تمركزت في منطقة تولستوي يورت. وبالرغم من أن كل هذه الجماعات كانت قد تسلحت تسليحاً جيداً لم يكن في إمكان واحدة منها تحقيق السيادة والتفوق العسكري بدون تدخل روسيا العسكري.

وفي أوائل الصيف كان قد بدا أن الكرملين قد قرر استعادة الحكم الروسي للشيشان. في ذلك الوقت، كان يبدو أن الروس قد وضعوا خطتهم على أساس أن جماعات التحالف المضاد لدوداييف، المدعومة بتأييد ومستندة روسية غير معلنة، كفيلة بقلب النظام الشيشاني. ومع ذلك فإن الكرملين كان قد أبدى اهتماماً بالغاً بضرورة أن تكون أي من ا لجماعات المعارضة على استعداد للقبول بمبدأ إعادة فرض الحكم الروسي للشيشان إذا تحقق لأي منهم الانتصار. كذلك فقد كان هناك ادراك لدى موسكو أن الحكومة الروسية والقوات المسلحة الروسية قد يقفا عاجزين مشلولي اليدين في وجه التحدي المتواصل من الجمهورية الصغيرة نسبياً، وأن ذلك محكوم عليه سلفاً بأن يثير ردود فعل ضارية وشديدة جدا بين المواطنين ذوي العرقيات اليمنية، مما قد يؤدي بدوره إلى تدمير حكومة يلتسين وفشل انتخابه المزمع إجراؤه في العام الحالي ١٩٩٦. في سبتمبر وأكتوبر ١٩٩٤ تعرضت الجماعات المناوئة لدوداييف لسلسلة من النكسات والهزائم العسكرية، بلغت أوجها في هجومها الساحق على العاصمة جروزني يوم ٢٥ نوفمبر، ففي هذه العملية وحدها تم القضاء على حوالي مائة مقاتل علاوة على أسر عدة عشرات آخرين من بينهم ٢١ جندياً روسياً. وهكذا أصبح من المستحيل أن تدعي روسيا بأن قواتها المسلحة لم تتدخل بشكل أساسي حتى الآن في الصراع الشيشاني. إن الإخفاق التام الذي منيت به روسيا في ٢٥ نوفمبر قد منعها من استعادة كامل سلطتها على الشيشان.

أثر ماتريوشكا:

إن المأساة التي تعاني منها الشيشان حالياً — وهي آخر سلسلة من المآسي منذ تم ضم القوقاز للامبراطورية القيصرية ترجع بدرجة كبيرة إلى ما عرف بـ «أثر

صادر الدستور الروسي عام ١٩٩٣م كثيرا من الامتيازات التي سبق التفاوض عليها

ماتـريوشكـا»، وهي لعبة من داخل لعبـة وعجـز متـواصل للسلطـات الروسيـة عن تطوير سياسـة وطنية تسمح بـانتقـال السلطة لـلأطـراف التي يتشكل منها الاتحاد الروسي. إن تفكك الإتحاد السوفيتي السـابق قد أدى إلى نشوء خمس عشرة جمهورية مستقلـة ذات سيـادة فبمجـرد أن بـرزت بعض هذه الـدول ككيانـات مستقلـة، أسرعت الـدول الأخـرى بالمطـالبة بحقها في تقريـر مصيرها ونيل استقـلالها. إن المطـالبـة بـالإستقلال لما يسمـى بجمهوريـة «ترانسر نستر» وجمهوريـة القوقاز قـد فتت تماسك ووحـدة جمهوريـة المولـدوف، كمـا بـدأ الصـراع في أوستـا الجنوبيـة في جـورجيا، تلتـه أفخاذيا.

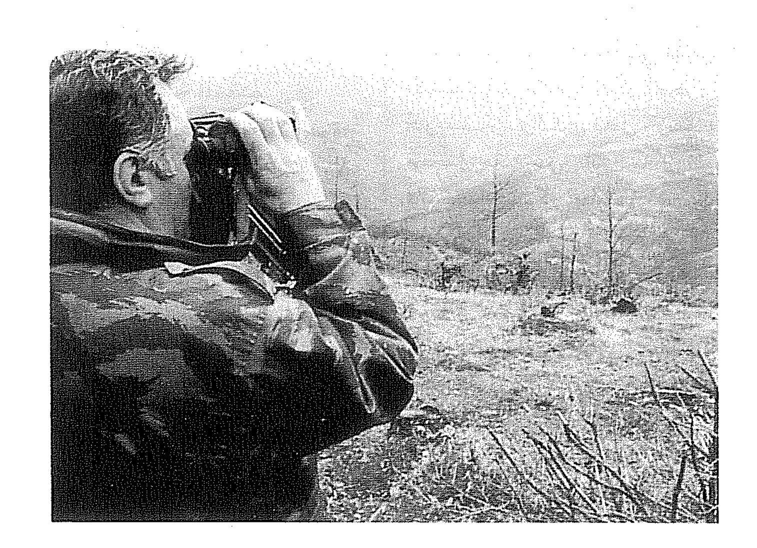
لم يكـد الاتحاد الـروسي يكتسب اعترافاً عالميا حتـى بدأت جمهوريات الحكم الـذاتي التابعـة له بمطـالبته بإلحاح لتحقيق مزيد من السيادة لها كان في مقـدمتها الشيشان وبعـدها تـاتـارستان، ثـم باشكـورتستـان وتايفا وساخا وآخرين.

لقـد أدى الفشل الـذي مني بـه المؤتمر الدستوري الذي انعقـد عام ١٩٩٣ لتحديـد الحقوق السيـاسية والاقتصـاديـة «لـرعـايـا الاتحاد» ولإيجاد حل نـاجح لقضيـة سيـادة الجمهـوريـات إلى تعميق الفـوضى والارتبـاك بـالعـلاقـات الاقليميـة بـالجمهـوريات الفيدراليـة، والذي لا يزال مستمراً حتى الآن.

بوريس فيـودوروف وزير مـالية سابق في حكومة ييجور جايدار نقلت عنه جـريدة الجارديـان البريطانيـة بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٩٥ قوله:

«هـا نحن اليوم نشاهد الدولة وهي تنحل وتتفسخ أمـام أعيننـا. لقـد أصبح الاتحاد الـروسي جسـداً بـلا رأس. إن البلاد في حـاجة إلى سلطـة قويـة، كما أن جميع مواطن الاتحاد يشعـرون نفس الشعور. إن مـرور خمس سنـوات على الاتحاد بهذا الحال كفيل بفنائه وموته.

لقد كان صدور الـدستور الروسي



عـام ١٩٩٣ الـذي صـادر كثيراً من الامتيازات التي سبق التفاوض عليها والاتفـاق بشأنها ومنحهـا للجمهـوريات التي يشملهـا الاتحاد الـروسي قد أعـاد تأكيد شكـوك تلك الجمهـوريـات بأن موسكـو مصممة على دولة وحدوية مركزية. إن النظرة المهيمنة والمسيطرة للزعامة الروسية هي أن المبدأ الـدستوري للمحـافظة على كيان الدولـة على أسس تاريخية وجيوبولـوتيكية يلغي حق الشعوب العرقيـة في تحقيق استقـلال سياسي واقتصادي واضح ومحدد.

وعلى المدى الطويل يبقـى الموانون غير الـروس معـرضين لـلذوبـان في روسيا الكبرى مرة ثـانية، وكما كان الحال في زمن الاتحاد السـوفيتي المنحل.

فشل التوصل لتسوية متفق عليها

ممـا لاشك فيـه أنـه بـالـرغم من مطـالبـات الشيشـانيين لتحقيق استقـلالهم إلا أنهم كانـوا يرغبـون بإلحاح وعلى أتم الاستعداد للتوصل لاتفاق مع الروس، قبيل عملية الغزو التي تمت في ديسمبر ١٩٩٤. لقـد أصـدرت لجنـة تقضي الحقـائق الدوليـة عام ١٩٩٢ وبعـد محادثات مكثفة مع المسؤولين الشيشان تقريراً مطـولاً جـاء فيـه أن الشيشـانيين «يسلمـون بأن مـوقعهم الجغـرافي، علاوة على مـائتي سنة من تـاريخهم تفـرض اتحاداً مستمـراً مع روسيـا. كذلك فهم يقولون إنهم أيضا يرون في هذا الاتحاد المستمر كثيرا من الفوائد. وقبل وضع إطار عمل متفق عليه لهذا الاتحاد، فإنهم يطالبـون روسيا بأن تعترف بـالمظـالم التي ارتكبتهـا، وأن تقبل منحهم الاستقـلال، وأن تـوافق على التفـاوض على أسـاس المسـاواة حول القضـايا الشرعية والسيـاسية والاقتصـاديـة والثقافية». كـذلك فقد أكـد التقريـر الشيشانيين يـرون أن مـوقفهم يعتبر مشـابها لمواقف «الشعوب المستمرة».

الوفد الـدولي الذي زار الشيشان في ينـايـر ١٩٩٥ أورد في تقريـر أيضـا الحوار الـذي تم مع مهـدي اسرائيليـوف ممثل مجلس جـاليـة العجائز الشيشان المقيمين في موسكو والتي أكد خـلالها على أنه «من الممكن تحقيق تسوية من خلال المفاوضات. وقد قدم الجانب الشيشاني مقترحات تهدف إلى تحقيق وضـع خـاص لجمهـورية الشيشـان داخل الاتحاد

الروسي، غير أن الحكومة الروسية لم تكن على استعداد لأخذ هذه المسألة مأخذ الجد».

أهمية النفط

إن اهتمام موسكو بمنطقة القوقاز بصفة عامة وبالشيشان على وجه الخصوص ينبع جزئياً من حقيقة أنها تعتبر مركزاً لانتاج وتكرير النفط. فالشيشان تملك ٢٥٪ من الطاقة التكريرية للنفط الروسي. وتوجد في ضواحي مدينة جزورني محطتا تكرير عملاقتان ومجمع للبتروكيمائيات.

وتعتبر الشيشان عصب الحياة بالنسبة لشبكة خطوط أنابيب البترول الرئيسية في روسيا. فبالقرب من العاصمة الشيشانية يلتقي خطان رئيسان للأنابيب، ينقل أحدهما النفط الخام من الحقول البحرية الضخمة في باكو بأذربيجان، بينما ينقل الخط الآخر النفط إلى نوفوروسيك على البحر الأسود. وتعتمد جمهورية كازاستان الغنية بالبترول اعتماداً كلياً على خطوط الأنابيب الروسية لتصدير نفطها من بئرها المكثف حديثاً والمسمى «تنجيس». وتخترق شبكة الخطوط الشيشان ومنها إلى الموانىء الروسية على البحر الأسود.

إن صناعة النفط الروسية قد تتعرض لضربة قاصمة إذا تم قطع أياً من خطي الأنابيب اللذين يلتقيا في الشيشان، وسوف يترتب على ذلك ـ في حالة حدوثه ـ تخفيضاً كبيرا في الطاقة التكريرية للبترول نظرا لأن هذه الشبكة تنقل النفط إلى محطات تكرير الاذربيجان الرئيسية في باكو وهي ثالث أهم مراكز التكرير في الاتحاد السوفيتي السابق. وهكذا فإن تحطيم خط الأنابيب قد يؤدي أيضاً إلى نقص في إمدادات النفط لاسيما بالنسبة لجهات انتاج الصناعات الثقيلة في سيبيريا والمناطق الروسية في الشرقية الأدنى.

إن المشروع الذي قد يتعرض للخطر حينذاك هو مشروع شركة «برتس بتروليوم» التي وقعت في سبتمبر ١٩٩٤ عقداً قيمته ٥,٣ مليار جنيه استرليني لتنمية الاحتياطات النفطية للبئر البحري في أذربيجان، والذي تأمل روسيا أن تحصل منه على عائد ماديّ نتيجة لاستخدام شبكة خط الأنابيب الذي يخترق الشيشان.

كذلك فان الشيشان تشرف على طريق خط الأنابيب الجديد المقترح الذي من الممكن ـ في حالة بنائه ـ أن ينقل الثروات البترولية الكامنة حول قزوين. فقد ظهرت احتمالات لاحتياطات تغطية تزيد على أكثر من ٥٧ مليار برميل من النفط في باطن أراضي كازاخستان وأذربيجان. وهذا يضع آبار نفط بحر قزوين على قدم المساواة مع آبار فنزويلا والمكسيك، وربما فاقها في احتياطياتها البترولية. وقد حاولت موسكو أن تثير نزاعات حول ملكيتها لهذه الاحتياطيات البترولية، وذلك بمحاولة اعتبار بحر قزوين بحيرة وليس بحراً خاضعاً للقانون الدولي بشأن ملكية الموارد الطبيعية. فاذا نجحت تلك المحاولات فسوف تؤدي إلى مفاوضات مكثفة بين الدول الساحلية التي تسيطر عليها روسيا حول كيفية تقسيم الغنائم. إن نجاح آبار نفط بحر قزوين يعتمد إلى حد كبير على تيسير طريق تصديره، مما يساعد على وصوله آمناً للأسواق العالمية.

وللنظرة الأولى تبدو المنطقة صالحة لنشر خطوط الأنابيب الضخمة فيها إلى كل من البحر الأسود والبحر الأبيض والخليج لكن أياً من تلك الخيارات تحمل في طياتها عقبات خطيرة. فخط الأنابيب الذي يربط بحر قزوين بالخليج يمكن أن يتعرض لمشكلة عدم الاستقرار في إيران. أما الخط المقترح لربط كازاخستان بآبار أذربيجان قبل أن يصل إلى ميناء سيهان التركي قد يتعرض للصراع بين أرمينيا وأذربيجان والأكراد الانفصاليين.

تفضل روسيا تصدير النفط مروراً بأراضيها إلى ميناء نوفو روسيك على البحر الأسود، مما يمكنها من السيطرة على انسيابه من خلال جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق. وفي الواقع تفضل روسيا أن يستمر تصدير النفط من خلال طريقه الحالي مروراً بجمهورية الشيشان التي تمتاز بالهدوء.

خاتمة:

إن الغزو الروسي للشيشان يعني بوضوح نقضاً وانقلاباً كبيرا في سياستها. فآخر ما تفكر فيه روسيا أن تشتبك في حرب لمدة طويلة. أما الشيشان فتمتلك كل العوامل التي تسمح للشعب أن يدخل في حرب عصابات طويلة الأمد. فتضاريس الجمهورية وتكوين شعبها يشبهان إلى حد كبير ظروف أفغانستان التي استطاعت هزيمة الغزو السوفياتي لها بعد حرب عصابات فدائية دامت تسع سنوات،، مما ساهم في انهيار الاتحاد السوفياتي.

والشيشانيون مثل الأفغان، يعيشون في منطقة جبلية تناسب إلى حد بعيد حرب العصابات. علاوة على ذلك فهم يفخرون بتراث عريق لقرون مضت من مقاومة الغزاة، الذين كانت أهمهم خلال القرنين الماضيين هي القوات الروسية. هذا التراث تعززه البنية الاجتماعية للمجتمع الشيشاني. فالقرى الشيشانية تعتبر فقيرة بالمستويات الغربية، مع ذلك فهي تتمتع باكتفاء ذاتي اقتصادي.

كذلك فهم يتسلحون تسليحاً كبيرا بالبنادق الأتوماتيكية والأسلحة الخفيفة التي تعتبر دعامة أساسية لحرب الجبال. والشيشانيون يحاربون لأنهم يعتقدون أنهم يحاربون من أجل هدف يعطي حياتهم معنى وقيمة، دفاعاً عن بيوتهم ومقابر أجدادهم وأسلافهم، وهي المبادىء التي كان الروس أنفسهم على استعداد للموت في سبيلها أثناء الحرب العالمية الثانية. ■

الشيشانيون مثل الافغان قادرون على هزيمة الروس بحرب العصابات

اليقظة الدائمة التي يجب التزامها (٢-٢)

الجزء الثاني من «اليقظة الدائمة التي يجب التزامها» يتناول العلوم والمعارف والمهارات والبعثات المتنوعة والعمل والتخطيط ولمواصلة اليقظة في العلوم والمعارف والفنون والمهارات، التي تمكنهم من الاطلاع على الاسرار الجوهرية التي تجعلهم قادرين على التحكم فيما عندهم من طاقة ومن ثروات، وتجعلهم قادرين على بناء قوتهم في مختلف الميادين، وعلى تشييد مناعتهم وحصانتهم في مجال ما يمكنهم من الدفاع الاكيد والضروري عن وجودهم وحياتهم، وفي مجال مايمكنهم من الهجوم على من يريد الاعتداء عليهم وقهرهم، وعلى سلب خيراتهم منهم.

بقلم: د. ابراهيم بن حسن بن سالم

المهارات والتقنيات المنوعة

فهذه العلوم، وهذه المهارات والتقنيات، منعوهم منها، وجحدوها عليهم، بل منعوهم حتى من الاقتراب منها، أو من محاولات شراء بعض اسرارها، واذا ماتمكنوا -من أي طريق أو من أي منفذ- من اكتساب شيء منها، تألبوا عليهم ولاحقوهم بكل ماعندهم من حقد وصلف ومن اسلحة فتاكة تدمر كل مااكتسبوه من ذلك، وتدمر شعوبهم وتفتك منها حريتها وحقوقها الانسانية، ومكاسبها الحياتية المادية بل حتى المعيشية الضرورية منها، بدعوى المحافظة على السلم. وعلى حقوق الانسان، وحقوق الشعوب المتمدنة حسب تصورهم. وهي كلمة حق ارادوا بها باطلا، أرادوا بها قلب الموازين والمكاييل لفائدتهم وفائدة من يجري في فلكهم من اعداء الاسلام والمسلمين ولتبرير ظلمهم واعتدائهم الذي داسوا به كل القيم والمثل الانسانية، وكل الشرائع الالهية منها، والبشرية العادلة المنصفة.

ولكن- اعترافا بالحق واحقاقا له- فإن بعضاً ممن هداهم الله وارجعه الى الحق، والى الطريق المستقيم، اعانهم على انجاح مقولة نفاقهم هذه، وعلى تسليط حقدهم واعتدائهم عليه، وعلى اخوانه وعلى هدم مابناه من قوة على نفسه وعلى شعبه.

والذي دفعه الى فعل مافعل هما، غروره وصلفه اللذان تمكنا من مشاعره وأحاسيسه بوسوسة مااكتسبه ووصل اليه من قوة مادية محدودة، فساقاه من غير أن يقرأ حسابا للمآل السيء الذي وقع فيه، وأوقع فيه اخوانه- الى ان يتسلط على بعض اخوانه في العروبة والاسلام-، فيهاجمهم ظلما وعدوانا ويطمع في ازالة سلطانهم، وحريتهم ومكاسبهم التي كانت لبنة من لبنات قوة الاسلام والمسلمين، لو أحسن الجميع بناءها والمحافظة عليها، من غير هزات مبيتة، ومن غير غدر وخيانة.

ولتبرير ماخططه ويخططه اعداء الاسلام والمسلمين سواء بأنفسهم أو بواسطة تلاميذهم الذين اعدوهم للتخريب من الداخل، احاطوا توجههم الماكر العدائي بالكلمات المعسولة المؤثرة في المشاعر والاحاسيس من ديمقراطية وحرية ومن عدالة ومساواة ومن توجه علمي حضاري ومن حداثة ومعاصرة.

وقد افتتن بعض ابنائنا المخدرين المهيئين لضرب اصالتهم ولهدم حضارتهم من داخلهم، وفي عمق حصنهم الاسلامي العربي، بسحر هاتين الكلمتين، الحداثة والمعاصرة.

وقد اشاعها فيهم وغررهم بها اساتذتهم الماكرون الذين نصّبوا انفسهم بدوافعهم الذاتية المعادية للاسلام ولحضارته، على انهم العلماء المختصون، المنظرون في مجال العلوم الانسانية بما فيها الدينية والحضارية والتاريخية والاجتماعية.

وبخداع مالقبوا به انفسهم، أو لقبوا به من طرف المتآمرين الاعداء، حرصوا على نشر وترويج مفاهيمهم الضبابية الضالة في نفوس وعقول الاحداث المغرر بهم وفي نفوس وعقول من كانوا على شاكلتهم وهم كثر في مجتمعاتنا اليوم، من كل من يتقبل الاوهام والضلالات بسهولة.

وبعنوان الحداثة المستعملة بكثافة في هذه الظروف المعاصرة، تابعت حصة متلفزة حول مفهوم الحداثة، والبعد الحضاري المراد منها، وقد جمعوا لها عددا من اهل الاختصاص- حسب زعمهم- فوجدتهم يقولون بعنوان البحث والتحليل، وبأسلوب مايسمونه تنظيرا وتفلسفا، مايصدق عليه المثل العربي الشائع (تسمع جعجعة ولاترى طحنا) فهم يتحدثون بدون فهم، ويحللون بدون قواعد ولاضوابط وينظرون بدون مرجعية علمية أو معرفية، وأقصى مافعلوا في ندوتهم، انهم لاكوا كلاما يصفع بعضه بعضا ويتناقض مبنى ومعنى، مما يدل على انهم دخلوا ندوتهم بدون فهم وخرجوا منها بلا فهم، وسموا ذلك - ادعاء وغرورا- فلسفة لمعنى

أعداء الإسلام حرصوا على نشر وترويج مفاهيم الضبابية الضالة في نفوس وعقول الاحداث المغرر بهم ومن على شاكلتهم

الحداثة وتحليلا وبيانا لأبعادها.

تهجمهم على الإسلام

وبهذه الضحالة، وهذا الادعاء والغرور، وبهذا التوجه التقليدي المزري ارادوا ان يتهجموا على الاسلام، وان يعطوا رأيهم فيه، وان يتناولوه بجهلهم وسخافاتهم وعنونوا ذلك بـ (القراءة الجديدة في النص الاسلامي) اي في القرآن الكريم،والسنة النبوية الشريفة المبينة له، وفي الاجتهادات العلمية المعرفية التي قام بها بإخلاص وبرسوخ معرفة، العلماء الراسخون في العلم، الذين لم يغلقوا باب الاجتهاد وأبواب الاستنباط والاستنتاج من القرآن والسنة النبوية، ولن يغلقوا ذلك في يوم من الايام على اهل الاجتهاد من العلماء المؤمنين الراسخين في العلم الذين- حتى وان لم يصلوا باجتهادهم في بعض المواطن الى اليقين -﴿يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾(١٦). وبهذه الحداثة والمعاصرة المعتمة والملوثة بمفاهيمهم الضحلة وبأهوائهم الهابطة وشهواتهم الاثمة اعطوا رأيهم المتعفن المأفون الذي خلاصته: ان الاسلام ماهو الا تراث موقوف على بيئته القديمة، وعلى زمن محدود، قصير في مدته، وان كتابه: القرآن الكريم، وماجاء به من شريعة وحضارة، لايتماشى ومانحن فيه من حداثة ومعاصرة، بل وصلت الجرأة والتهجم الرخيص المرذول ببعضهم الى ان يقول ويحلو له ان يردد مايقول من انه ليس بكتاب منزل من عند الله، بل هو من وضع محمد، ومن نسجه وخياله يصور به مطامحه الذاتية، ليقود البيئة المتواضعة معرفة وعلما، والمتخلفة حضارة، ويحقق فيهم ميوله السلطوية وابعاده القيادية، واستعان على ذلك بمسحة القداسة التي تصيدها وأخذها من قداسة الاديان الموروثة من الاديان السابقة الغارقة في الاساطير والاوهام.

المسلمون قاده ومقودون ساسة ومسوسون ينبغي عليهم ان يواجهوا هذا العداء السافر والظلم المسلط عليهم وعلى دينهم وأصالتهم ولغة قرآنهم

وهذا بعينه ماردده زمن البعثة المحمدية، المشركون الأميون الجهلة فاقدو العلم والمعرفة، الذين ليس لهم في محاربة الاسلام وقتئذ الا الجلافة والحقد والعناد، التبعية لما يدفعهم اليه اعداء الدين السلامي من اهل الكتاب الذين حرفوا وغيروا ماأنزل على رسلهم، وكفروا بدين الله، وباعوا عقيدتهم الى الهوى والشيطان.

وبقي يردده الملاحدة بنفس الاسلوب القذر، تحاملا على الاسلام وحقدا على اهله وأتباعه، جيلا بعد جيل، بعنوان مايسمونه علما ومعرفة وبعد نظر وبسحر وتأثير كلمات: التجديد والتنظير تارة، والحداثة والمعاصرة تارة اخرى، غير معترفين ولا مدركين ان ماجاء به الاسلام لاتتحداه كلماتهم ولامصطلحاتهم ولايقف امام ابعاده الزمانية والمكانية اي تطور بشري، وأي دليل ادعائي منهم، تصوري أو تصديقي، وأي اكتشاف آت من ابعاد الزمن في بدايته أو نهايته، لان جميع ذلك آت من مدارك الانسان ومواهبه، وهي محددة وماجاء به الاسلام آت من عند الله الذي ﴿لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين﴾(١٧).

وهم بتجديدهم وتنظيرهم، وبادعائهم الحداثة والمعاصرة، في مجال فهمهم للدين الاسلامي وفي تعاملهم معه لم يتجاوزوا- لماديتهم العمياء ولعدواتهم المتأصلة في اعماقهم -مستوى الجاهلية المتردية في الاوحال ومستوى الامية الغارقة في الجهل.

بيان القرآن فيهم

وقد ابان لنا القرآن الكريم ان كل من تمسك بماديته العمياء وعادى منهج الحق والخير- هو- حتى وإن ادعى العلم والمعرفة. لافرق بينه وبين فاقد العلم والمعرفة، الضال عن منهج الاستقامة والاعتدال، المعادي للحق والخير، فقال سبحانه وتعالى مبينا هذا المستوى المتردي: ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم﴾(١٨). وقال سبحانه مبينا لهم سطحية وسذاجة مايدعون من علم ومعرفة امام مايحيط به علم الله، الذي اودع مفاتيح اسراره في كتابه الكريم :﴿ ولو ان مافي الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله﴾(١٩).

وقوله:﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق﴾(٢٠). فمعارفهم وعلومهم حسب الرؤية الاسلامية التي هي ابعد من الزمان والمكان الارضيين لاتتجاوز الظواهر المحسوسة التي سجنوا عقولهم ومواهبهم فيها﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون. يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون﴾(٢١).

وبمعرفتهم المحدودة هذه، المسجونة في دروب المحسوسات المادية وفي ظلمات الهوى، ومغريات الشهوات الاثمة، وفي كهوف المواهب المحنطة، عادوا الاديان بصفة عامة وصبوا جام غضبهم وحقدهم واضرموها حربا مستمرة على الاسلام والمسلمين، لاتهدأ ولاتلين، ولايوقفهم عنها زمان ولامكان، مادام يحز في نفوسهم الخبيثة ويؤذي مشاعرهم المريضة، ويصدم عقولهم الضالة، ان كتاب الله العزيز، القرآن المجيد، يخاطب البشر ويسمعهم ماجاء به من هداية ومن عقيدة وشريعة ومادام اهله ومعتنقوه يبلغون ذلك الى الناس.

وهنا امام هذا العداء السافر، ماذا ينبغي على المسلمين قادة ومقودين ساسة ومسوسين، حكاما ومحكومين، دعاة ومصلحين، وماذا يجب عليهم جميعا ليواجهوا هذا العداء وهذا الظلم والاعتداء المسلط عليهم وعلى دينهم واصالتهم، وعلى لغة قرآنهم وابعاد حضارتهم.

ينبغي لهم ويجب عليهم أولا وآخرا شديد الحزم، وعظيم اليقظة وتعميم

ذلك فيما بينهم كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، لان خطـرمـا يبيت لهم اعداؤهم موجه لجميعهم، لافرق بين من هوفي مركز القيادة أو من هو في مواطن القاعدة.

وانطلاقا من هـذه اليقظة الحازمة العامـة المستمرة، يجب على جميعهم في مشـارق الارض ومغـاربها، ان يعملـوا على جمع شملهم وتـوحيد صفهم في مختلف الميادين الحيـاتية وذلك ليخـرجـوا على ضعفهم الحالي الذي طال امـده، فأغرى بهم الاعداء وجرأهم على الاستخـاف بشأنهم في المجموعة الدولية، وفي محافل اسماع صـوتهم لاسترداد مـااغتصب منهم ظلما وعدوانا.

العمل والتخطيط

كما يجب عليهم بفضل حـزمهم ويقظتهم – ليأخذوا حقهم في الوجود ويفتكـوا نصيبهم من الحياة اخـذا وعطاء كأمة رائدة بحق وعن جدارة، حيث هي اهل لذلك بفضل رسـالتها الكونية وحضارتها الانسانية، وذلك مايشهد لها بـه التاريخ – ان يعملوا ويخططـوا بكـامل الجد والايمان، كأصحـاب دين عـالمي وحضـارة انسانية رائدة لتحقيق مايلي:

١– جمع شملهم وتوحيد صفهم، وبناء اتحادهم في جميع الميادين وفي مختلف المجـالات، جمعـا وتـوحيدا وبنـاء، يتـم في مـراحل مـدروسـة وبمخططـات علميـة محكمـة، وبتصميم مقـام على ايمان ثـابت واخوة صادقة.

ولعل من هذه المراحل الـدافعة الى الاتحاد من غير تعثـر ولا انتكـاس، اتمام مـاوقع الشروع فيـه منذ مـدة طويلة في بعضـه، وقصيرة في بعضه الآخر، من اتحادات قومية واتحادات وجهوية.

اتمام ذلك بجـد وصدق وبسرعـة متأنية ومـدروسة وايجاد فعالياته وتطبيقهـا في واقعنـا المعـاش، وفي سلـوكنا وتعـاملنا مع انفسنـا ومع غيرنا.

مثل الاتحاد الذي اسـس منذ زمن ليس بـالقصير وسميـنـاه الجامعـة العـربيـة، فهي وان عملت على نشر معـالم الاتحاد بين اعضـاء الاسرة العـربيـة، مـازالت تعطلهـا في مجال الانجـــاز الفعلي بعـض العلـل والنقـائص التي تمنعهـا من تحقيق مـااحدثت من اجلـه، من جمع شمل الـدول العربيـة، ومن بناء مـاتطمح اليه شعـوبها من قوة ومنـاعة، ومن عزة وكرامة.

ومثــل اتحاد دول الخليـــج، والاتحاد المغـاربي، واتحاد مـاأطلق عليـه (منظمـة المؤتمر الإسـلامي) وغيرهـا من المحـاولات التي سبقت مثل هذا التوجـه، او زامنته أو تأثرت بـه في ارادة بنـاء اتحاد يجمع شمل المسلمين، فكلها اذا مـا أتمناهـا بجد واخلاص تكون فاتحة خير للوصول الى بنـــاء الاتحاد الاكبر لـلامـــة الاسلامية، الذي بـه تعود الى القيادة من جديد، قيادة الحق والخير، ونشر الرحمة والاخاء بين الناس.

وان كـان هـذا حسب معطيـاتنـا التأسيسية اليوم، وحسب الملابسات العـالميـة، والمجـالس الـدولية التي تتحكم دولها الكبيرة في قــراراتها لتحقيق مصـالحهـم على حسـاب مصالح غيرهم من الدول الضعيفة– مـــازال اتحادنـا الاكبر حلما بعيـد التحقيق صعب التنفيـذ، زمـانـا ومكـانا، وربما مستحيـلا من حيث تقبله من القادة والسياسيين.

اللهم الا بـاجماع يقضي على هـذه الاستحـالـــة في مستقبل الايـام، وبتـدرج محكم بناء، عنـدمـا يتغلب القادة والسياسيون على مابأنفسهم من انانية ضيقة النظرة، ومن احتكار للسلطـة وتفرد بـالحكم، من غير ان يتنازلـوا ويخضعوا لـرشد التـداول على ذلك لخيرهم وخير مـــواطنيهم ولأمن وسعادة الجميع.

وعندمـا يتغلبون على مـابأنفسهم من ذلك يجدون الاعـانـة والتـوجـه المؤيد من شعوبهم،– اذا ما خلصت النوايا، ورسخ الايمان بجدوى وحدة الصف– بما في شعوبهم من جماهير معطــــاءة للخير، وبما فيهم مـن مفكـــرين وعلماء ومهنيين، ومـن مصلحين ورواد مقتـدى بهم، لأنهم كلهم يحبون الخير والنجاح والتوفيق لقـادتهم وحكـامهم ولشعـوبهم، ويتشـوفـون لـربط عـرى التعـاون والتضامن والتقارب فيما بينهم والى الاتحاد الـذي يخرجهم من الضعف المهين، الى القـوة المتينـة المعزة لهم ولاجيالهم الصاعدة.

وهـذا واجب على جميعهـم وأكيـد –حسب سنن الكـون وسير الحيـاة الآمنة– اذا مـاتداولوا على المسـؤولية العـامـة السـائرة في طـرق التقـدم والـرقي، واخـذ بعضهم عن بعض، بايمان واخـلاص، عـوامل القـوة والمناعة، وأسس بناء وحدة الصف.

وحتى لايوقف سيرنا هذا الهاجس من الاستحالـة التي تواجهنـا في بناء اتحادنـا الـذي بـه نعـود الى التأثير الايجابي والمشاركة الفعـالة في بنـاء العالم الانسـاني العام، اخـذا وعطاء، علينا الاسراع في اتمام مـاشرعنا فيـه من اتحادات قـومية وجهـويـة، ومن اتحاد شـامل في مستـــوى الامـة الاسلامية، الـذي سيؤدي بالجميع– اذا مـانجحنا في انجازه –الى تحقيق الاتحاد الاكبر المنشود.

٢– تحرير اقتصـادهم من التبعية المجحفة التي تربطه بالاقتصاد المقام على الاحتكار الخانق للتعامل النزيه بين الناس، وعلى الربـا الذي يقود الى الـدمار والهلاك، وبنـاؤه فيما بينهم على أسس اسـلاميـة، صـافيـة في بدايتهـا ونهايتها بنـاء محكما يحقق لهم المكاسب المربحة التي تعينهم على بناء قوتهم في مجال الانشاء والتعمير وفي ميـادين بناء المعـامل والمصـانع، وتعميم مـواطن الشغل للقضـاء على البطالـة وفي احكام البنية الاسـاسية داخل التجمعـات السكنيـة وداخل ميـادين الانشطـــة والعمل في نشر وتحقيق حياة الامن، وتعميم مظـاهر الـرخـاء بين مـواطنيهم، دون ان يحتاجوا في تأسيـس ودعم هذا البناء العــام، الى مـــد ايـــديهم – وهم صـاغـرون– الى اعـدائهم المتربصين بهم، ليعينـوهم بقروضهم الـربويـة

حتى لايوقف سيرنا هذا الهاجس من الاستجابة التي تواجهنا علينا الاسراع باتمام ماشرعنا فيه من إتحاد إسلامي شامل للرأي

المجحفة التي اذا ماتورطوا فيها تفقدهم حرية التصرف، فتقودهم الى الهلاك.

٣- العمل على توحيد مناهج التعليم في مختلف شعوبنا، وذلك بإنشاء وتخطيط برنامج تربوي تعليمي يحقق الاهداف التالية:

أ- تخليص محاور تربيتنا وتعليمنا من الغزو الفكري الاجنبي ومن مصايد وفخاخ التيارات الضالة الهدامة التي تحاول دائما ان تسرب دسائسها وشبهاتها الخبيثة في عقول ابنائنا، وفي مختلف مداركهم واحاسيسهم.

ب- جعل اسلوب التربية والتعليم في جميع المحاور مقاما على اصالتنا الاسلامية وذلك بأسلمة جميع المواد التي تتضمنها برامج تعليمنا في سائر شعوبنا بما في اسلمتها من استيعاب لجميع انواع العلوم، واصناف المعارف التي اهتدى لها العقل الانساني الرشيد باستنتاجه واستنباطه والتي هدانا اليها- نحن المسلمين -القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة متنا وسندا بأسلوب اعم واشمل مما عند الناس، وذلك بواسطة ماجاء فيهما من نصوص علمية يقينية، ومن معارف كونية تؤيدها المعاينة والمشاهدة ومن نصوص ايقاظية تشير الى علوم ومعارف من عالمنا المحسوس، ومن العالم الماورائي الغيبي، ومن اشارات حمالة لكثير من المعاني التي تعلم العقل الانساني وتهديه الى ماهو اوسع واشمل واحوط مما يهتدي اليه بقوته الذاتية.

ج- جعل اللغة العربية - لغة القرآن الكريم - هي الاساس في تلقين التربية، وتعليم العلوم وترسيخ المهارات والفنون، لانها اللغة التي اختارها الله -جل جلاله- لتبليغ الرسالة الخاتمة لكافة الناس، وبذلك فهي- من غير جدل عقيم- تكون قادرة على ان تؤدي لكافة الناس- مهما كان تقدمهم وتطورهم، وفي مختلف ظروفهم الزمانية والمكانية اذا ماستجابوا للحق، ولازموا المنهج الرشيد- جميع مايحتاجون اليه من علوم ومعارف، ومهارات، وبخاصة المسلمين منهم، الذين آمنوا برسالة محمد ﷺ وبالقرآن الكريم الذي تخنس امام اسلوبه جميع الاساليب، وتتوارى امام روعة لغته كل اللغات، والذي وصفه الله بقوله:﴿انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾(٢٢) وبقوله:﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾(٢٣).

ومع اللغة العربية- الأساس- في التلقين والتعليم- تعليم اللغات ذات الاشعاع العلمي العالمي، تعليمها الى مستوى الحذق والمهارة التي تمكن ابناءنا من الاطلاع بعمق على ماعند غيرهم من علوم ومعارف ومن تقنيات متطورة ومهارات، والاستفادة والافادة بما فيها من حق وخير.

د- الوقوف بارادة وحزم وبايمان راسخ لايضعفه الوهن، وبتوجه علمي يقيني، وبمعرفة تؤمن بالحق الذي لاريب فيه وبأسلوب يتخذ الحق سندا والوضوح منهجا وباللين في الجدال اذا ماتعين وبالشدة فيه، اذا ماتأكدت ووجبت، عملا واعتمادا على مايوجهنا إليه قوله تعالى:﴿ ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم﴾(٢٤) اي الا الظالمين منهم فجادلوهم بالشدة وبالاسلوب الرادع لهم الذي هم أهل له.

الوقوف بجميع ذلك، وبالاسلوب الذي يتعين حسب الظروف والملابسات في اوجه الاعداء وفي وجه من رضي من ابنائنا ان يخدم ركابهم ويدعو الى ضلالاتهم وينشر افكهم وشبهاتهم، إما غفلة منه وغباء و طمعا وخذلانا، وإما خبثا في النفس وفرارا من التدين، ومن تحمل مسؤولياته، واقبالا على الاباحية والرذيلة، وارتماء في احضان اللهو والمتع الهابطة الرخيصة.

وهذا منهم عن قصد وارادة لتخريب الاسلام من داخل حصنه، ولغزو المسلمين واضعاف وتقويض ماعندهم من حصانة ومناعة.

ومن اجل ألا ينجح الاعداء في تحقيق واتمام ماارادوا لنا من قهر واذلال، ومن ازالة لوجودنا كمسلمين، لنا دين هو الحق والخير، ولنا تاريخ هو المجد والعزة، ولنا رسالة خاتمة هدفها وابعادها اخراج الناس من الظلمات الى النور.

مواصلة اليقظة

يجب علينا - من اجل الا يتم لاعدائنا ماأرادوه لنا- مواصلة اليقظة ، ومواصلة المواجهة لمقاومتهم، وافساد مخططاتهم العدائية في الداخل والخارج وفي جميع الميادين والمجالات:

أ في ميدان الاقتصاد: علينا ان نحرر اقتصادنا من التبعية المذلة فنحسن التصرف بارادتنا في ثرواتنا الطبيعية: رأس مال وعائدات، وفي منتجاتنا الفلاحية والصناعية والتجارية، وفي مختلف مواردنا المالية، وفي تعاملنا مع غيرنا -في جميع ذلك -تعامل الند للند.

في ميدان الارتباطات السياسية: علينا ان نكون حذرين الى أبعد حدود الحذر فلا نرتبط مع غيرنا الا بكامل الوضوح والشفافية وبما يضمن حريتنا وكرامتنا، وبما يحقق مصلحة شعوبنا، التي ينبغي ان يتم جميع ذلك بموافقتها، وبمحض ارادتها الواعية في الارتباط.

أ في ميدان الصراع الدولي من اجل احتكار القوة والنفوذ للتفرد بالقيادة في العالم وبالسلطة القاهرة للشعوب الضعيفة: علينا ان نوحد صفنا ونتعاون جميعا بإخلاص وايمان راسخ، وبحب صادق من القادة الى شعوبهم، ومن الشعوب الى القادة حتى نحمي بعضنا بعضا، ونصون حمانا، ونبني قوتنا ومناعتنا، وبذلك نتمكن من اخذ نصيبنا في قيادة العالم، فلا يتطاول علينا أحد من الاعداء، اعداء الحق والعدالة والحرية والمساواة.

أ في الميدان الاعلامي، الذي هو اخطر الميادين في هذا العصر، من حيث التأثير على العقول وعلى

مواصلة اليقظة والجهد مطلوب بأن لمقاومتهم وافساد مخططاتهم العدائية داخلياً وخارجياً

الاعلام الصهيوني الصليبي الالحادي المعادي لنا يعمل بجميع وسائله لمحاربتها ومحاربة ديننا وحضارتنا

المشاعر والاحاسيس، ايجابا وسلبا: علينا ان نرشد اعلامنا، ونحميه من قبضة الاعلام المعادي لنا، فنجعله اعلاما آتيا من قنواتنا الصافية من دسائس العنصريين الذين يحاربوننا، ولايريدون لنا الخير، بل لايريدون للناس جميعا الا نشر الكذب والافتراء بينهم، ونشر الاخبار التي تحارب الحق، وتضلل الناس حتى ابناء جنسهم ووطنهم ليعيش الجميع تحت استعمارهم الاعلامي.

علينا ان نواجه هذا الاعلام الفاجر الذي يحجب النور وينشر الظلام بجميع اوجهه، اعلامنا الذي نملك والذي ينبغي ان نملك من الوسائل العلمية والفنية المعاصرة المحررة والمستقلة عن ابواق الاعلام الفاجر، فنكشف لهم ولمن عسى ان يتأثر بهم وبما في اعلامهم من كذب وافتراء، ومن عنصرية خبيثة وتعصب اعمى ومن تشويه للحق، ومن تزيين للباطل، ومن تحامل وحقد على الاسلام ومن كره وبغض للمسلمين، ومن اعتداء صارخ على العلم والمعرفة، وعلى التاريخ الصادق، وعلى العقل البشري الرشيد.

وبترشيد اعلامنا وحمايته وبتوفير جميع الوسائل المؤثرة نكون قادرين في مجال الاعلام على ان نواجه الإعلام الصهيوني الصليبي الالحادي المعادي لنا الذي يعمل بجميع وسائل الاعلام إذاعيا وتلفازيا، ومسرحيا، وسينمائيا، وصحافيا، وبجميع انواع النشر القديم منها والحديث، لمحاربتنا ولمحاربة ديننا وحضارتنا.

وبقدرتنا هذه نحمي انفسنا واجيالنا الصاعدة، ونحصنهم ونحيطهم بالمناعة التي تحفظهم من جراثيم الاعلام المعادي للحق والخير.

في مجال الحضارة: علينا ان نحمي حضارتنا من انحرافات وضلال الحضارات الواردة علينا او المصدرة لنا عن قصد، وهي النابعة من الحضارات الوثنية التي اعتنقها وتمسك بها الصهيونيون العنصريون، والصليبيون الضالون، والملاحدة اللادينيون فهؤلاء جميعاً آل بهم أمرهم وسلوكهم الحياتي الى ان يقدسوا الوثنية التي لاتؤمن الا بالمادة العمياء وتكفر بكل ماهو روحي، وكل ماهو غيبي مقدس.

وبحمايتنا لحضارتنا من ان تتسرب العقلية الوثنية اليها، ومن ان يطغى عليها التوجه المادي الذي يحارب الجانب الروحي في الانسان والذي بدونه لايكون الانسان انسانا.

نكون قد جنبنا انفسنا واجيالنا الصاعدة من المصير الاظلم، الذي يطوي المجتمعات الحائدة عن طريق الحق، ويقدمها فريسة للمتربصين بها،والذين بدورهم سيفترسون انفسهم بأنفسهم، سنة الله في كونه، وكتابا موقوتا، وعقابا من رب العالمين.

في مجال مايسمى تقدما وتطورا علينا:

– ان نبني تقدمنا بروح اسلامية، بناء ثابتا راسخا لا تأتي عليه عوامل الهدم والتخريب . ونوع هذا البناء هو مايدفعنا اليه الإسلام، منذ بدايته ،وفي مراحل البناء الى النهاية.

– وان نتحكم في تطورنا تحكما لايأتي عليه الهوى الضال، فيفسده، ولا الشهوات الآثمة فتشوهه.

ونوع هذا التطور، هو مايدعو اليه الاسلام ويباركه، ويزكيه العقل الرشيد ويؤيده.

واما السلوك بعنوان التقدم والتطور، الذي ينادي به– ويحاول ان يفرضه على الافراد والمجتمعات الصغيرة والكبيرة– اصحاب المذاهب الضالة، والتيارات الهدامة ليس من التقدم والتطور في شيء بل ماينادون به ويحاولون ان يفرضوه، هو انتكاس ورجوع الى الوراء، ذلك الوراء الذي يمثل الجهل والتخلف والحيوانية الهابطة.

وهذا مايجب علينا كمسلمين متمسكين بأصالتنا، ان نطهر من سلوكنا في الحياة، وان نجنب تقدمنا وتطورنا من غوائل وانحراف سلوكهم حتى وان وقع – مغالطة منهم لغيرهم– تغطية سلوكهم واتجاههم، بثوب الحداثة والمعاصرة، حسب مفاهيمهم وادعاءاتهم الفاقدة للرشد والغارقة في امواج التضليل والتردي والانحطاط.

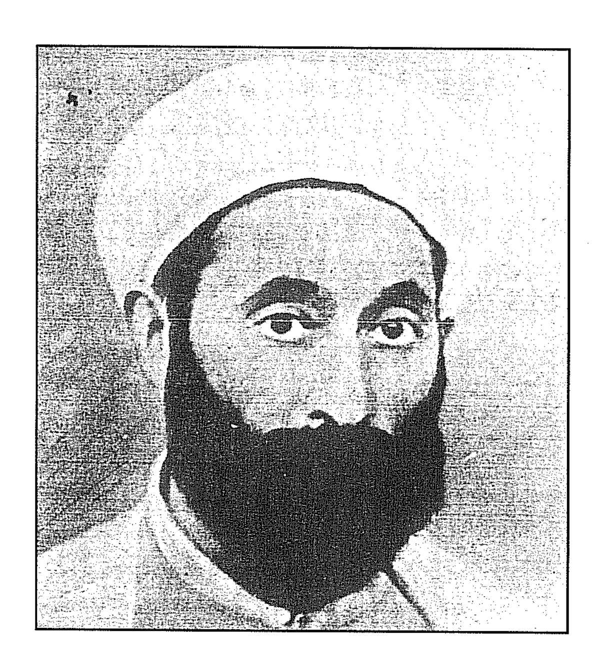
وبمواصلة اليقظة الواعية، والمواجهة الحازمة للأعداء – ماداموا أعداء– وبالمحافظة على اصالتنا الاسلامية في كل الميادين، وفي جميع المجالات وببناء قوتنا ومناعتنا بناء محكما متينا لا يعتوره الضعف المهين، ولاينال منه الوهن المزري.

نكون بجميع ذلك مسلمين صدقا لا ادعاء، ومؤمنين حقا لاتظاهرا معاصرين اصالة لاتقليدا.

نتحكم في معطيات الحياة الجادة، ونتسامى ونتعالى عن مظاهرها الزائفة، اقوياء يرهب جانبنا الاعداء، ويطمئن لنا الاصدقاء، ويعتز بنا الإخوة الاشقاء.

الهوامش

١– التوبة: ٣٢
٢– التوبة :٣٣
٣– المائدة :٦٤
٤– سبأ: ٢٤
٥– المائدة: ١٥و١٦
٦– آل عمران: ٦٤
٧– الانبياء: ١٦–١٨
٨– المؤمنون: ٧١
٩– الانفال: ٣٦
١٠– المجادلة: ٢٠و٢١
١١– البقرة :١٢٠
١٢– البقرة :٢١٧
١٣– طه :١١٤
١٤– جامع بيان العلم وفضله ج١ص٧
١٥– رواه العقيلي وابن عدي والبيهقي
١٦– آل عمران:٧
١٧– سبأ :٣
١٨– البقرة :١١٣
١٩– لقمان: ٢٧
٢٠– فصلت: ٥٣
٢١–الروم :٦و٧
٢٢– يوسف ٢
٢٣– الاسراء: ١٠٥
٢٤– العنكبوت: ٤٦



كلنـا يعلم أن الإسـلام كـان المستهدف الأول من استعمار فرنسا للجزائر ـ ومثلها كل البلاد الإسلامية التي استعمرت ــ فقد كـان هم فـرنسـا إلحاق الجزائر بالتراب الفرنسي إلى الأبد، بعد أن يتم القضاء نهائيا على الإسلام وإبداله بالمسيحية.. وهذا القول ليس افتراء على الاستعمار، بـل مـوثق في كتبهم وفي تقاريرهم. ولو أردنا التدليل على ذلك لضاق المجال في هـذا المقال، لكن نكتفي بما يلي:

ابن بـاديس.. رجل لن تنساه ذاكرة الجزائر!!

فرنسا حاولت إلحاق الجزائر بالتراب الفرنسي والقضاء على الإسلام وإبداله بالمسيحية

بقلم ـ محمد الصالح عزيز

الاستيلاء على الجزائر

في دفاعه عن قرار احتلال الجزائر في مجلس الوزراء الفرنسي سنة ١٨١٢ (فكرت فرنسا في احتلال الجزائر منذ القرن السادس عشر، وحاولت ذلك مرارا، لكن محاولاتها منيت في كل مرة بالفشل)، قال: «كليرمون دي تونير» في تقريره:

(لقد أرادت العناية الإلهية أن تثار حمية جلالتكم (يخاطب الملك) بشدة في شخص قنصلكم على يد أعداء المسيحية. ولعله لم يكن من باب المصادفة أن يدعى ابن لويس التقي لكي ينتقم للدين وللإنسانية. وربما يسعدنا الحظ في هذه المناسبة لنشر المدنية بين السكان الأصليين وندخلهم في النصرانية) وعندما أقام قائد الحملة على الجزائر (بورمون) صلاة الشكر في فناء القصبة بمناسبة الانتصار، بعث بوصف لهذا الاحتلال، قال في نهايته: (مولاي، لقد فتحت بهذا العمل بابا للمسيحية على شاطىء إفريقيا.. ورجاؤنا أن يكون هذا العمل بداية لازدهار الحضارة التي اندثرت في تلك البلاد). ووصف (إدوارد ريو) المؤرخ الفرنسي حادث الاستيلاء على الجزائر (بأنه كان أول إسفين يدق في ظهر الإسلام)(١).

وكان أول عمل قام به المستعمر في الجزائر هدم المساجد الأثرية الرائعة وتحويلها إلى كنائس مثل جامع (القشاوة) أجمل مساجد البلاد وأروعها، حيث ذبح فيه ٤٠٠٠ مسلم كانوا معتصمين به، ومسجد (القصبة) الذي ترتبط به ذكريات إسلامية مجيدة، وغيره من المساجد.. ويقف سكرتير الحاكم العام (بوجو) في جامع (القشاوة) ليقول: (إن آخر أيام الإسلام في الجزائر قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إلهٌ غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا.. يمكننا أن نشك في أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد. أما العرب فلن يكونوا ملكاً لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحين جميعا)(٢).

هكذا كان حلم فرنسا، ولكن شجاعة الشعب الجزائري وتسمكه بهويته العربية الإسلامية وحبه لوطنه، سفه أحلامهم وطردهم من التراب الجزائري شر طردة بعد احتلال دام أكثر من مائة وثلاثين عاما.. ولا يختلف عاقلان في أن الإسلام هو الذي قاد حركة التحرير في الجزائر (وكذلك في كل الأوطان الإسلامية).. لقد وُوجه الاستعمار الفرنسي بمقاومة عنيفة قادها البطل الأمير عبدالقادر الذي أقام دولة إسلامية فتية، واستطاعت جيوشه في أكثر من موقعة أن تحقق انتصارات عديدة قبل أن تهزمها

القـوات الاستعمارية بأسلحتهـا وتفوقها العددي وأساليبها الوحشية التي ستبقى وصمـة عـار في تـاريخ فـرنسا العصرية، تسفه ادعـاءاتها بأنها إنما جـاءت إلى الجزائر لترفع عن شعبها الجهل والفقر..

الجهاد ضد الاستعمار

وظلت بعد ذلـك أصوات العلماء وخطباء المسـاجد تـدعو الشعب إلى وجـوب محاربـة المستعمـر لإبقـاء الجزائر حـرة مسلمـة.. وفي سنـة ١٩٣٠، حينما التقت فلول الصليبية العالميـة بالجزائرلـلاحتفال بمـرور مـائة عـام على احتـلالها وراحـوا يهنئون بعضهم بعضا، وقع الإعلان عن تأسيس جمعيـة إسـلاميـة ـ بـاشرت عملها المنظم سنـة١٩٣١ ـ هي «جمعيـة علماء المسلمين» تـرفع الشعارات التالية:

ـ الإسلام ديـن البشرية الذي لا تسعد إلا به.

ـ الإسلام دين اللـه الذي وضعه لهدايـة عبـاده. وأرسل بـه جميع رسله، وأكمله على يد نبيه محمد ﷺ الذي لا نبي بعده.

ـ القرآن كتـاب الإسلام، والسنة الصحيحـة تفسير وبيـان للقـرآن، وسلـوك السلف الصـالـح تطبيق صحيح لهدي الإسلام.

ـ ندعو إلى مـا دعا إليه الإسلام، وما بيناه من العمل بالكتاب والسنة وهـدي السلـف الصـالـح من الأئمة.(٣)

وكان ابن باديـس ـ رحمه الله ـ أحـد رجـالات هـذه الجمعيـة التي حافظـت على عقيدة الأمة، ونـاضلت بكل الـوسـائل المتـاحـة من أجل أن تبقى الجزائر عربية مسلمة حرة..

إن المتأمل في كتابات ابن باديس على مـدى خمسة عشر عـامـا ـــ من عام١٩٢٥ الذي أسـس فيه صحيفة (المنتقد) إلى عام١٩٤٠ ـ عـام وفاته ـــ يلمح بـوضـوح الخط الفكري والاستـراتيجي الـذي رسمه والـذي يقوم على:

١ـ الإيمان بـوجود الشخصيـة الجزائرية المتميزة ما انفك يعبر عنها في الأمـة الجزائريـة يقـول في مقـال بعنوان (الجنسية القومية والجنسية السياسية) في فبراير١٩٣٧: (وبعد، فنحن الأمـة الجزائريـة لنـا جميع المقـومـات والميـزات لجنسيتنـا القـومية. وقـد دلت تجارب الزمـان والأحـوال على أننا مـن أشد النـاس محافظة على هذه الجنسيـة القومية وأننا مازدنا على الـزمان إلا قوة فيها وتشبثا بأهدافها، وأنه من المستحيل إضعافنا فيها فضـلا عن إدماجنا أو محونا) وقـال في مقال آخـر بعنوان (كلمة صريحة) في أبريل١٩٣٦: (ثم إن الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فـرنسـا، ولا يمكن أن تكـون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فـرنسـا ولـو أرادت، بل هي أمة بعيـدة عن فرنسا كل البعد في لغتهـا، وفي أخلاقها، وفي عنصرهـا، وفي دينهـا، لا تـريـد أن تندمج، ولها وطـن محدود معين هو الوطن الجزائري وبحـدوده الحالية المعروفـة، والذي يشرف على إدارتـه العليا السيـد الوالي العـام المعين من قبل الدولة الفرنسية).

٢ـ اعتبـار الـوجـود المتميـز للشخصيـة سـابقـا تـاريخيـا على الاستعمار، ممـا يحول دون تحقيق الانـدمـاج. يقول ابن بـاديس (إننـا ندعي أننا نتكلم بـاسـم أغلبية الأمة، فنقول لكم ولكل من يريد أن يسمعنا ولكل من يجب أن يسمعنـا، إن أراد أن يعرف الحقـائق ولا يختفي وراء آلام الخيال.. نقول لكم إنكم من هذه النـاحيـة لا تمثلوننـا ولا تتكلمـون بـاسمنا، ولا تعبرون عـن شعورنـا وإحساسنـا، إننا فتشنـا في صحف التاريخ وفتشنـا في الحالة الحاضرة، فـوجدنـا الأمـة الجزائرية المسلمـة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمـة تاريخها الحافل بجـلائل الأعمال، ولها وحـدتها الـدينيـة واللغـويـة، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها، بما فيهـا من حسن وقبيح، شأن كل أمة في الدنيا).

٣ـ إبـراز المقومـات الأساسيـة للشخصيـة الجزائريـة، والمتمثلـة في الشعـار المعـروف: الإسـلام ديننـا، العربيـة لغتنا، الجزائر وطننـا.. وقد عمل ابن بـاديس كل وسعـه لتثبيت هـذه الحقيقـة وتـرسيخهـا في وعي الجماهير الجزائريـة، بـاعتبـار أن نهضة الأمـة الإسلاميـة ـ والجزائر جـزء منها ـــ مرهـونـة بالعـودة إلى الإسـلام، بـه تشكلت شخصيتهـا وتاريخها وثقافتهـا، وباعتبار أن أي مشروع تحرري للبلاد لا يراعي هذه المعطيات التاريخية، مآله الفشل، لأن أول البناء هو الإيمان بـذاتية متميزة لها قيمها وكيانها وتاريخها.. يقول ـ ابن بـاديس ـــ في مقـال بعنـوان (مبادئنا وغايتنا وشعـارنا) صدر به أول عدد من أول صحيفـة أنشأهـا ـ المنتقـد ـــ (نحـن قـوم مسلمـون جـزائريون، وفي نطـاق مستعمـرات الجمهـوريـة الفـرنسيـة، فـلأننـا مسلمـون نعمل على المحـافظـة على تقاليد ديننـا التي تدعو إلى كل كمال إنسـانـي، ونحـرص على الأخـوة والسـلام بين شعـوب البشر، وفي المحافظة على هذه التقـاليد، المحافظة على أهم مقـومـاتنـا وأعظم أسبـاب سعادتنـا وهنائنـا، لأننا نعلم أنه لا يقدر الناس أن يعيشوا بلا دين، وأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها، وأن الحكـومة التي تتجـاهل دين الشعب تسيء في سياسته وتجلب عليه وعليها الأضرار والأتعـاب، بل ربما حصلت لها هزات وفتن).

مساهمات ابن باديس

لم يكتف ابن باديس بـالقول، بل سـاهـم بـالفعـل فيما يـدعـو إليـه، مستغـلا مـا تسمـح بـه ظـروف مجتمعه الرازح تحت نير الاستعمار، متبعا أسـاليب البناء التي أسس بها المسلمـون الأوائل دعـوتهم. وانطلق

الاستعمار الفرنسي في الجزائر اهتم بهدم المساجد الاثرية وتحويلها إلى كنائس

واجه الاستعمار الفرنسي للجزائر مقاومات عنيفة قادها الأمير عبدالقادر الذي أقام دولة اسلامية فتية

ابن باديس في عمله لإعادة بناء الشخصية الإسلامية، من المسجد، باعتبار أن المسجد ظل طوال تاريخه الطويل الحصن الوحيد الذي حمي المسلمين من خطر الذوبان في حضارة الآخرين، والمعقل الذي أوى إليه المسلمون كلما اشتدت عواصف الخطر من كل جانب، وشغل — أي المسجد ـ طوال تاريخه مركزا لنشر الدعوة إلى الإسلام، ولشحذ الهمم وتعبئة الطاقات، وإشعال روح الجهاد في قلوب المؤمنين، إما لفتح بلد جديد، أو لرد عدوان غادر. كما انطلق ابن باديس في عمله بإلقاء الدروس في الجامع الأخضر بقسنطينة، صباحا مع الصغار، ومساء مع الكبار، وخص النساء بوقت يفقههن في أثنائه في الدين، ويعدهن لشؤون خطيرة في تربية النشء وبناء البلاد والمشاركة في إدارتها.. من المسجد انطلقت دعوة ابن باديس إلى محاربة الاستعمار واستعادة الجزائر لهويتها العربية المسلمة، مفندا أراجيف الأعداء الاستعماريين وعملائهم في الداخل، التي تمنع اشتغال علماء الدين بالسياسة، فقال: (ما العيب الذي يعاب به علماء المسلمين إذا شاركوا في السياسة، فهل خلت المجالس النيابية الكبرى من آثار القسيس (رشاليو Richelieu) ويحدد في مكان آخر مهمة الدين بأكثر وضوحا، فيقول: (لا نعني بهذا أننا نخلط بين الدين والسياسة، وإنما نعني اعتبار الدين قواما لنا، ومهيعا شرعيا لسلوكنا، ونظاماً محكما نعمل عليه في حياتنا، وقوة معنوية نلتجيء إليها في تهذيب أخلاقنا وقتل روح الإغارة والفساد منا وإماتة الجرائم بيننا، فلهذا لا نألوا جهداً في خدمته بنشر مبادئه الحقة العالية وتطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون والدفاع عنه من أن يمس بسوء من أهله أو من غير أهله..) كما اعتمد ـ أي ابن باديس ـ في دروسه المسجدية على تفسير القرآن والسنة النبوية تفسيرا عصريا، رابطا في شرحه بين الدين والدنيا، ومتخذاً من الدين أساسا لبناء المجتمع والنهوض به.. ولا أحد يستطيع أن ينكر دور هذه الدروس في تعبئة الشعب الجزائري وشحذ همته وتنظيم صفوفه لمحاربة الاستعمار، فكان أن انطلقت حركة الجهاد، وقدم الجزائر مليون شهيد، ما حملوا السلاح إلا باسم الإسلام ودفاعاً عنه، وهي الحقيقة التي تحاول أن تهمشها اليوم قيادات الطابور الخامس الذي استبقاه الاستعمار هناك.. كما استفاد ابن باديس مما توفره الصحافة من خدمة كبيرة لتشكيل الرأي العام، إيمانا منه بأن الكلمة من روح القدس، وأن كل الحركات التغييرية الكبرى التي عرفها التاريخ كانت مما فجرته اللفظة الصريحة والكلمة الحرة في نفوس الناس من وعي برسالتها الحضارية)، وإيمانا منه بأن الكلمة تحدث من الدوي في قلوب الطغاة ما لا تحدثه أصوات الرصاص والقنابل وإيمانا منه بكل ذلك، سارع ابن باديس إلى تأسيس مجموعة من الصحف تتالت الواحدة بعد الأخرى، كلما أوقف المستعمر واحدة أنشأ أخرى، فكانت (المنتقد) أولاها، ثم (السنة) ثم (الشريعة) ثم (الصراط)، ثم (البصائر) التي استمرت بعد وفاة ابن باديس، توقفت فترة قصيرة خلال الحرب الكونية الثانية، ثم عادت للصدور ولم تتوقف إلا عام ١٩٥٧ بعد اندلاع حرب التحرير.. ومثل بقية رواد الإصلاح ـ محمد عبده، رشيد رضا، الأفغاني، خير الدين التونسي... آمن ابن باديس بضرورة نشر التعليم أفقيا وعموديا في المجتمع باعتبار أن التربية ليست فقط رفعا للأمية ولا ترفاً فكرياً، وإنما هي هم وجودي وحركة إحياء تعد لمواجهة المستقبل (فالتربية هي الوسيلة القادرة على بعث وتنمية الشخصية القابلة للنهضة من خلال بعدها التعليمي الطبيعي والضروري، وأساسا؛ من خلال بعدها القيمي من حيث أنها تبني الوعي الرسالي الذي هو وعي من يأخذ بالحقائق ويجاهد لتغيير ما في أيدي الخلائق)(٤).

وباعتبار أننا إذا فسحنا المجال للمناهج التعليمية الغربية تؤطر أجيال الأمة الإسلامية فإننا نخاف أن يأتي اليوم الذي تضيع فيه هويتنا إلى الأبد، وذلك ما راهنت عليه فرنسا في قول أحد وزرائها للتربية في القرن الماضي: (كان الغزو الأول للجزائر بقوة السلاح وانتهى سنة ١٨٨١. ويتمثل الغزو في حمل الأهالي على قبول عدالتنا وآرائنا، وسوف يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة وتغيير العقلية الجزائرية).. إيمانا منه بضرورة نشر التعليم المبني على الأسس الإسلامية، أسس ابن باديس تعليما أطلق عليه التعليم الحر، يعتمد على الجهود الذاتية، ويهدف إلى تحقيق المبادىء التي تمثل عماد استراتيجيته: الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا... وبذلك استطاع أن يستل خنجر المستعمرين ويرميهم به، بعد أن تحصنوا في قلاع التنصير في بلاد القبائل التي سيتخذونها ـ وإلى اليوم — قلعة من قلاع ثقافتهم الاستعمارية، وفي جنوب الصحراء تحت ستار التعليم، واستطاع أن يسفه أحلامهم بفرنسة الجزائر وتحويلها نهائيا إلى النصرانية.. كما ألف ابن باديس أناشيد إسلامية اتخذها طريقا لتعبئة نفوس الشباب ووسيلة من وسائل النهوض بالأمة، فتغنى مع الشبيبة من طلائع الكشافة الإسلامية الجزائرية بعديد الأناشيد التي تؤصل هويته وهوية كل مواطن جزائري، ولعل أشهر هذه الأناشيد، والتي لا تزال تردد حتى اليوم بين شباب الصحوة الإسلامية في الجزائر تلك التي مطلعها:

شعب الجزائر مسلم ...
وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله ...
أو قال مات فقد كذب

محاولة تشويه صورته

ويحاول أعداء ابن باديس البحث عن هفوة في مواقف الرجل أو سيرته للتشهير والتشنيع به، وبحثوا، فلم يجدوا غير موقف واحد واعتبروه هفوة لن تغتفر لابن باديس.. إنه موقفه من مشروع (بلوم فيوليط) الداعي إلى إدماج الجزائر في فرنسا والذي تبناه ابن باديس في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد عام ١٩٣٦.. إن أعداء الرجل لم يستطيعوا أن يفرقوا بين خطين من أفكار الرجل مختلفين في التجريد، لكنهما متكاملان في الواقع، (خط المبادىء الأساسية والقواعد المذهبية الثابتة، والعمل على تجسيمها بإنشاء المدارس وتوعية الجماهير، وإقامة النوادي، الخ.. وخط المواقف التكتيكية التي تتمثل في بعض الكتابات أو المواقف التي تقوم على نوع من (التقية) التي تتلخص في الاعتراف بالدولة الفرنسية من أجل الاحتفاظ بحرية العمل على تعميق الأسس وترسيخ المبادىء التي يؤمن بها)(٥).

والقارىء لكتابات الرجل يدرك جيداً أنه كان من أشد الناس عداوة للاستعمار، فكيف يدعو إلى الإدماج؟ وقد رأينا فيما سبق شيئا من رفضه لهذا الإدماج.. اقرأ معي الذي قاله ابن باديس بخصوص مشروع الادماج في مقال نشر سنة١٩٣٧: (فنهضت الأمة نهضتها بمؤتمرها الفخم الجليل، وقررت فيه بالإجماع المحافظة التامة على المميزات الشخصية، والمطالبة بجميع الحقوق السياسية، وأدرك أقطاب الواجهة الشعبية أحقية هذا المطلب، وأدركوا أن لا بقاء للأمة الجزائرية مرتبطة بفرنسا إلا إذا أعطيت حقوق الجنسية الفرنسية السياسية مع بقائها على جنسيتها القومية بجميع مميزاتها ومقوماتها، فتقدموا لمجلس الأمة الفرنسي بالقانون المعروف اليوم بـ (بروجي(٦) بلوم فيوليط) وتلقاه الذين يقدمون مصالحهم الفردية والاستعمارية على مصالح فرنسا الحقيقية بما هو معروف من معارضة بذيئة ظالمة منكرة، وتلقته الأمة الجزائرية التي ترضى بالارتباط بفرنسا في حقوقها وواجباتها (وهي الجنسية السياسية) مادامت محترمة في جنسيتها القومية، وهي تلك المقومات والمميزات بشرط لابد منه، وهو أن يكون التساوي تاما في جميع تلك الحقوق دون تخصيص لحق دون حق ولا تمييز لطبقة على طبقة.. ولهذا اعتبرت (بروجي بلوم فيوليط) قليلا جداً بالنسبة لحقوقها، وإنما تقبله اليوم كخطوة أولى فقط يجب بعد تنفيذها أن يقع الإسراع في بقية الخطوات إلى تحقيق التساوي التام العام الذي هو الشرط الطبيعي في سنن الاجتماع في بقاء الارتباط بصفاء وإخلاص) ثم اقرأ معي هذه الفقرة من الكلمة التي ألقاها ابن باديس بمناسبة اجتماع الوفد الجزائري بالشعب في سبتمبر ١٩٣٦، لتعرف موقف الرجل من الاستعمار، وتستطيع أن تفرق بين موقفه المبدئي وموقفه التكتيكي: (أيها الشعب، إنك بعملك العظيم الشريف، برهنت على أنك شعب متعشق للحرية وهائم بها، تلك الحرية التي مافارقت قلوبنا منذ كنا نحن الحاملين للوائها، وسنعرف في المستقبل كيف نعمل وكيف نحيا ونموت لأجلها. إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا، وفتحنا قلوبنا، فإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد، وإن ضيعت فرنسا فرصتها هذه فإننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد).. فهل يحق لأخي القارىء بعد الذي قرأت أن تصدق الذين يشككون في وطنية ابن باديس؟

ولئن قضى الرجل نحبه - مغفورا له من ربه - فإن ذكراه مازالت حية في قلوب الجماهير المسلمة، لا في الجزائر وحدها، بل في كامل أقطار المغرب العربي، ومازالت مؤلفاته مصدرا يستقي منه رجال الصحوة الفهم الصحيح للعمل الإسلامي، وينير لهم الطريق في هذه الظروف الحالكة التي يمر بها الإسلام في الجزائر وباقي البلاد الإسلامية.. وليت أعداء الإسلام وزعماء الحركة العلمانية التي انتعشت اليوم يستعيدون مقولة ابن باديس السالفة: (بل هي - الجزائر - أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري وبحدوده الحالية).. وليت حكام المسلمين الذين آلوا على أنفسهم محاربة الصحوة الإسلامية يدركون مقولة ابن باديس: (إن الحكومة التي تتجاهل دين الشعب تسيء في سياسته وتجلب عليه وعليها الأضرار والأتعاب، بل ربما حصلت لها هزات وفتن)... ستبقى الجزائر مسلمة رغم كيد الأعداء ورغم نشاط الطابور الخامس هناك، لأن:

شعب الجزائر مسلم ...
وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله ...
أو قال مات فقد كذب

هوامش

١- بمزيد التفصيل: الاسلام وحركات التحرر العربية: شوقي أبوخليل.

٢- الجزائر أرض المعارك: د.بهي الدين زيان.

٣- مجلة الأمة العدد ٥٣: المنهج العصري في سلفية ابن باديس.

٤- التربية والتحديث في تونس: نورالدين العرباوي

٥- مجلة الثقافة — الجزائرية - العدد١٤. أبريل/مايو١٩٧٣.

٦- بروجي: نقل حرفي للكلمة الفرنسية Projet ومعناه: مشروع، أي: مشروع بلوم فيوليط.

من أبرز الشعارات المعروفة للمقاومة، الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا بفضل ابن باديس

قراءة في كتاب المستقبل للإسلام

الإسلام دين المنطق والعقل والواقع العملي المؤثر في تغيير مجريات الحياة وفق منهجية ربانية.

مع بريق التوهج العاطر للصحوة الإسلامية التي أصبحت بأطيافها النورانية تغطي مساحات قارات العالم الخمس، تظهر الكثير من مقولات انطلاق الصحوة الكبرى، كما في مقولة (المستقبل للإسلام)، والكثير من المقولات المشرقة الشبيهة بذلك.

ولما كان الإسلام هو دين العقل والمنطق والواقع العملي المؤثر في تغيير مجريات الحياة، وفق منهاجية ربانية متسامية، ومتجددة بفضل الله، وحتى لا تبقى أمثال تلك المقولات المنسوبة إلى رسالة الإسلام السامية مجرد شعارات منفصلة عن منهاجيتها وبرامجها العملية المؤثرة في الواقع الحياتي المعاش، فإن الله العلي القدير سبحانه يبعث من عباده المهتدين بهديه جل شأنه من يلهمون نفاذ البصر والبصيرة، فيتناولون بالدراسة والبحث دلالات المعاني التطبيقية في أمثال تلك المقولات الموحية، ويصوغون منها روح المناهج المرشدة للمسيرة الإسلامية المتجددة على مر العصور، بما يتوافق مع الأصل الإرشادي الأعظم المتمثل في الوحيين الإلهيين الخالدين (الكتاب والسنة). هذا التناول للصياغة العملية لمقولة (المستقبل للإسلام) في شكل برنامج تطبيقي متوائم مع كتاب الله العظيم وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المطهرة، هو ما يتضمنه الكتاب المهم الذي بين أيدينا (المستقبل للإسلام) لمؤلفه الأستاذ الدكتور / أحمد علي الإمام.

والكتاب من إصدارات سلسلة (كتاب الأمة) الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر. العدد ٤٦ ربيع الآخر ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م. وينقسم إلى مقدمة وخمسة فصول أساسية، يستعرض الباحث من خلالها دعائم خمس أساسية من الممكن أن ينهض عليها مستقبل أمة الإسلام بحضارته المتميزة الزاهرة، ويعالج كل دعامة منها في فصل كامل من فصول الكتاب.

تأليف: د. أحمد علي الإمام
عرض وتقديم : محمد علي وهبه

مستقبل معصوم

ويبدأ الكتاب بتقديم مهم للأستاذ: عمر عبيد حسنة يلقي من خلاله ضوءاً مكثفاً لإظهار فريضة إسلامية مهمة، هي فريضة استشراف المستقبل، المرتبطة في الوقت عينه بفريضة الوعي بالواقع واستشراف التاريخ، بما يتوافق ولا يتنافى مع سنن الله في الخلق، ولا يتنافى كذلك مع مقتضيات كتاب الله العزيز وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المطهرة، فيقول في ذلك: «ليس الرجل الذي يستسلم للقدر، بل الذي يحارب القدر بقدر أحب إلى الله ـ كما يقول ابن القيم في مدارج السالكين ـ وهذا لا يتأتى ما لم يمتلك ـ إلى جانب فقه السنن ـ القدرة على استشراف التاريخ، واستيعاب الواقع وابصار المستقبل، في ضوء هدايات الوحي، ومدارك العقل، وإعداد العدة المطلوبة، بإحياء فروض الكفاية، وتحقيق التخصصات المتعددة، في فروع المعرفة جميعها، والإحاطة بالعلم، وانضاج الخبرات، والتزود بالطاقات الروحية المحركة، ليتخلص المسلم من العطالة، (ويستأنف دوره من جديد على هدى وبصيرة). ولعل من أهم مقومات الإمكان الحضاري (المستقبلي) للإسلام، كما يرى صاحب التقديم، هو وجود أنموذج الاقتداء التطبيقي المعصوم، الذي تم تطبيقه، وبناؤه على عين الله (سبحانه)، وفعل المعصوم صلى الله عليه وسلم لتنزيل القيم، والنص السماوي المطلق على الواقع النسبي، مستهدفا الارتقاء بالسلوك الإنساني عبر الزمن المديد، وحتى قيام الساعة.

ويشير الباحث في مقدمة الكتاب إلى أن الاستشراف المستقبلي في المنهاج الإسلامي القويم يختلف تماما عما هو معروف في الحضارة الغربية، حيث يعتمد الغربيون على ثنائية الفصل بين الوحي والعقل، والدين والعلم، والدين والدنيا والآخرة، مما أوقع بهم فيما يمكن وصفه بالمأزق الانفصامي للشخصية الإنسانية التائهة، الشائهة غير المتوازنة روحيا وماديا. فهم يعتمدون في استشرافهم للمستقبل على تأليه العقل، وعالم المادة المحسوس، والاكتفاء بعلم ظاهر الحياة الدنيا، كما قال جل شأنه في أمثالهم:

﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾. [الروم: ٧].

بينما الاستشراف للمستقبل في الإسلام يتميز بالشمولية والسمو، فلا فصل فيه بين الدين والعلم، أو المادة والروح، أو العقل والوحي، أو الدنيا والآخرة، حيث الإسلام هو الدين الكامل الشامل، وهو دين الأزل والخلود بفضل ومشيئة الله عز وجل.

بشائر المستقبل

يستعرض الباحث في الفصل الأول الكثير من البشائر القرآنية والنبوية التي ينهض عليها المستقبل الارتقائي المتميز للعالم الإسلامي، بالإضافة إلى الكثير من الثروات البشرية والطبيعية والكونية التي حبا بها الله عز وجل أمة الإسلام، والتي إذا ما أحسن توظيفها وفق السنن الإلهية الراشدة، فإنها من الممكن أن تخلق من المسلمين أمة الشهود الحضاري المستقبلي،

أي أمة القيادة الحضارية للإنسانية من المسلمين أمة الشهود الحضاري المستقبلي، أي أمة القيادة الحضارية للإنسان على نحو ارتقائي رحيم، بلا مثيل.

ويبرز الباحث هنا ما تتميز به حضارة الإسلام من الجمع فيما بين العبقرية الحضارية والعبقرية الإيمانية، وهو ما تفتقر إليه حضارة العالم الغربي المعاصرة.

بشائر قرآنية:

والمستقبل للإسلام كما يقول الباحث: «ليس مجرد شعار نتبناه، محوطا بالأمل والرجاء، إنما هو دين، وعقيدة.. نؤمن يقينا، ونوقن بجزم، أن المستقبل للإسلام». وهو يشير إلى الكثير من الآيات القرآنية المباركة الحاملة لنبوءات النصر وبشائر المستقبل للإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فوراثة الأرض، مستقبل ينتظر الصالحين من عباد الله، الذين التزموا دينه، وأقاموا شرعته. وكما في قوله سبحانه:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [التوبة: ٣٣]، فيتأكد بذلك ظهور الإسلام، وسيادته، وهيمنته على الأديان كلها، وبما يقطع بأن المستقبل لهذا الدين الخاتم القويم.

بشائر نبوية:

وقد جاء في السنة النبوية المطهرة الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تقطع بأن المستقبل للإسلام، لتقرر هذه الحقيقة، وتؤكدها، كما في قوله صلى الله عليه وسلم:

«إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها». (رواه مسلم وأبو داود وغيرهما).

وكما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم:

«لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا». (رواه مسلم والإمام أحمد وغيرهما). دور الذكر والجهاد للمستقبل.

وفي الفصل الثاني ينتقل بنا الباحث إلى الدعامة الثانية للنهوض المستقبلي الإسلامي، وهي ضرورة الأخذ بالذكر والجهاد كما يحثنا على ذلك كتاب الله العظيم وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم المطهرة. ويرى وجوب أن تعمد الحركات الإسلامية المعاصرة إلى الجمع بين الذكر والجهاد، وهي بسبيل نهوضها المستقبلي المنشود.

ويستعرض المعاني الكثيرة للذكر في لغة القرآن الكريم، فهو يؤخذ بمعنى الوحي: ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا﴾ [القمر: ٢٥]. وبمعنى طاعة الله: ﴿فاذكروني أذكركم﴾. [البقرة: ١٥٢]. وبمعنى التفكر: ﴿إن هو ألا ذكر للعالمين﴾. [يوسف: ١٠٤]. وبمعنى الصلوات الخمس: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾. [النور: ٣٧]. وبمعنى الدراسة والعلم: ﴿اذكروا ما فيه﴾. [الأعراف: ١٧١].

كما يوضح في الوقت عينه المكانة الرفيعة المتسامية للذكر، من حيث مرتبته العبادية العالية، كما في قوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾. [العنكبوت: ٤٥].

ويشير الباحث إلى ما ذهب إليه الحكيم الترمذي من أن من معاني الذكر: الجهاد، فهما متلازمان، ويلزم دائما الجمع بينهما، إذ يجب على أهل الذكر أن يكونوا أهل جهاد، كما يجب على أهل الجهاد أن يكونوا أهل ذكر.

وكما أن معاني الذكر من الكثرة، بحيث يصعب حصرها لكثرتها، فكذلك معاني الجهاد في سبيل الله، حيث منها جهاد النفس، وهو أعلى مراتب الجهاد، ومنها جهاد العلم، وهو من معاني ومراتب الجهاد الأكثر علوا، ومنها كذلك جهاد القول باللسان، والجهاد بالمال، والبذل والانفاق، وجهاد العدو بالقتال عند الاقتضاء.

ويشير الباحث في ختام هذا الفصل إلى ضرورة أن تعمل أمة الإسلام، وهي بسبيل نهوضها بمستقبل الإسلام من خلال الذكر والجهاد على الإقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة الذاكرين والمجاهدين، وبمجاهدي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومجاهدي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

حاجة صناع المستقبل

وفي الفصل الثالث يبرز الباحث دعامة مهمة من دعامات النهوض المستقبلي للإسلام، وهي القنوت. يقول في ذلك: «إن مستقبل الإسلام يصنعه أهل الذكر والجهاد.. ومن حيث هم أهل ذكر، فإنهم أهل قنوت، وطاعة، واتصال بالله، ولجوء إليه.. فالقنوت دينهم والوقوف على معالم القنوت، والأحكام المتعلقة به، أمر يحتاج إليه صناع مستقبل الإسلام، في مواجهة التحديات، التي لا يغنيهم فيها إعداد العدة الحربية، بل لابد من العدة الإيمانية، والقوة الروحية، والطاقات المعنوية، ولهذا فإنهم يلتزمون القنوت، وخاصة قنوت النوازل، في مواجهة الحرب، والحصار، والمقاطعة، واستبداد قوى الطغيان والاستكبار».

ويشير بهذه المناسبة إلى أن هناك دواعي كثيرة للدعوة إلى القنوت، وبخاصة قنوت النوازل، منها دواع علمية: لبسط العلم، ونشر سننه وآدابه، خصوصا لإجلاء فقه القنوت، لتبقى الأمة الإسلامية واعية به، غير غافلة عنه، كفريضة عبادية ذات أهمية بالغة. كما أن هناك الكثير من الدواعي العملية للقنوت، لعل من أهمها، الهجمة الشرسة على العالم الإسلامي من أعداء الإسلام والمسلمين، وكذلك حالة التمزق والتفرق بين المسلمين. كما أن للقنوت أهمية خاصة في تزكية النفوس، وإعلاء القيم الروحية، وتوثيق صلة العباد بربهم جل وعلا. ويستعرض الباحث المعاني الكثيرة للقنوت في اللغة وفي القرآن الكريم والمصطلح، وهي جميعها ذات دلالات متقاربة متكاملة، يجمعها معنى الدعاء في الصلاة، والقيام، وإطالة القيام، والقيام بالطاعة، التي ليس معها معصية، والخشوع والإقرار بالعبودية لله عز وجل.

كما يشير إلى المكانة المتسامية للقنوت في القرآن، حيث الكون بكامله قانت لله عز وجل: ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون﴾. [البقرة: ١١٦].

وقت القنوت:

ويستشهد الباحث على ضرورة الأخذ بالقنوت عند النوازل بما جاء عن ابن عباس أنه قال: «قنت الرسول صلى الله عليه وسلم، شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، في دبر كل الصلاة، إذا قال: سمع الله لمن حمده،

الجمع بين الأدعية الواردة في القنوت يجوز مع مراعاة اختيار جوامع الدعاء والإخلاص والاعتدال فيه

من الركعة الأخيرة، يدعو عليهم، على حي من بني سُليم، وعلى رعل، وذكوان، وعصية، ويؤمن من خلفه». (رواه أبو داود).

أدعية القنوت

ويسوق الباحث الكثير من الأدعية المتعددة لصيغ القنوت في السنة النبوية، ومنها:

١- «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت». (رواه الترمذي).

٢- «اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك، ولا نكفرك، ونؤمن بك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي، ونسجد، وإليك نسعى، ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق». (نص الرواية عن عمر رضي الله عنه).

ومن أهم آداب وأحكام القنوت - كما يشير الباحث - أنه يستحب أن يدعو الإمام بصيغة الجمع، كما يستحب للمأموم أن يؤمن على الدعاء. وإذا كان المصلي منفردا، أسر به، وإن كان مأموما، ولم يجهر الإمام به، قنت المأموم سرا، كسائر الدعوات، حيث يوافق فيها الإمام سرا. كما يجوز الجمع بين الأدعية الواردة في القنوت، وغيرها، مع مراعاة اختيار جوامع الدعاء والإخلاص، ومراعاة الاعتدال في الدعاء، ومناسبته للمقام، وحال المصلين. ويختتم الباحث هذا الفصل المهم بالدعاء إلى الله عز وجل ليجعل أمة الإسلام، أمة العبادة والقنوت والخشوع والطاعة الدائمة لله عز وجل، بما يعينها لتكون أمة الدعوة للعبودية الخالصة لله عز وجل إلى يوم الدين.

تطبيق الشريعة

وفي الفصل الرابع يتناول الباحث قضية تطبيق الشريعة الإسلامية بوصفها دعامة أساسية من دعائم البناء المستقبلي للإسلام، موضحا الصلة الوطيدة بين الشريعة والدين، حيث يقول في ذلك: «إن الشريعة تشمل كل ما جاء به الدين، من مباحث الإيمان، وفقه أركان الإيمان، والإسلام، والأسرة، ووجوب الحكم بشرع الله، حتى يهتدي الناس بذلك في شؤون حياتهم كلها، في الاعتقاد والشعائر التعبدية، والشرائع، التي تنظم حياة المجتمع، في قوانين الأخلاق، والآداب، والمعاملات المدنية، والجنائية، التي تشمل الأحكام الحدية والتعزيرية، ثم إن الله قد أغنى المسلمين، بما شرعه في دين الإسلام عن متابعة ما لدى الملل الأخرى، أو النظم الغربية، أو الشرقية». ولإقامة الحدود التي أنزلها الله عز وجل في الشريعة الإسلامية أثر بالغ في إصلاح المجتمع - كما يشير الباحث إلى ذلك - فمثلا الأخذ بحد الزنا يقي المجتمع من السقوط الخلقي والتفسخ الاجتماعي، كما يقي من الأمراض الكثيرة الفاتكة بالإنسان والتي من أخطرها مرض الزهري ومرض الإيدز وغيرهما. كما أن حد الخمر يقي المجتمع من فساد العقول ويحفظ الكيان الأسري، والأموال، ويساعد على توجيه الطاقات والأموال للعمل والإنتاج. كما أن حد السرقة يحفظ الملكيات الخاصة، ويردع اللصوص، ويدفع بهم للكسب الحلال، ويحقق الأمن للفرد والمجتمع. وكذلك سائر الحدود الشرعية تتغيا صالح الأفراد والجماعات، بما يعين على بناء المجتمع المستقبلي الصالح الذي تأمل البشرية كلها أن تصل إليه.

القيادة المتفردة

وفي الفصل الخامس والأخير يشير الباحث إلى دعامة مهمة من دعامات النهوض المستقبلي للإسلام، تتمثل في العبقرية القيادية المتفردة للإسلام، وهو ما يجب أن يعيه جيدا صناع المستقبل الحضاري المتميز للإسلام، إذ يجب أن يبقى لديهم قناعة واعية كاملة بأنهم يملكون أعظم رسالة قيادية عرفتها الإنسانية في التاريخ، وهي رسالة قيادية ذات أهداف إنسانية كونية ربانية توحيدية. كما يجب عليهم أن يعووا بأن نجاح هذه القيادة الإسلامية الفذة في تحقيق أهدافها العالمية والكونية، هو أمر يرتبط وثيقا بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وهي شريعة إلهية متوحدة، لذلك فهي تعتبر أصدق تعبير عن وحدة البشرية، ووحدة الدين، وتصلح لكل زمان ومكان، كما تصلح للتطبيق في أي مجتمع مهما اختلفت فيه الملل وتعددت فيه الثقافات. ويتناول الباحث موضوع هذا الفصل تحت عنوان: (تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مجتمع تتعدد فيه الملل والثقافات). ويشير بالمناسبة إلى ما يزخر به تراثنا الإسلامي من تطبيقات فذة للشريعة الإسلامية على المسلمين وغير المسلمين، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الراشدين، ويحتوي هذا الفصل المهم على أمثلة كثيرة تثبت وتؤكد قدرة الشريعة الإسلامية على القيادة المتفردة للعوالم المتعددة. ومن أمثلة ذلك، «وثيقة المدينة» وهي أول دستور عرفته الإنسانية في التاريخ، ينظم الحقوق والواجبات والمعاملات والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين في المجتمع الواحد. وقد صاغها الرسول الكريم صلى الله ليه وسلم لضمان تحقيق العدالة والمساواة الكاملتين، ولضمان تحقيق حرية الرأي وحرية العقيدة، وحرية الفكر، وحقوق المواطنة الكاملة.

كما سار الخليفة أبو بكر رضي الله عنه على النهج نفسه، في العهد التاريخي الفذ الذي صدر منه لنصارى أهل نجران، وعلى النهج ذاته سار عمر رضي الله عنه، فأعطى لأهل إيلياء عهدا وأمانا لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمهم، وبريئهم وسائر ملتهم، ألا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينقص منها، ولا من حيزها، ولا من شيء من أموالهم، ولا يضار أحد، ولا يكره على الدين.

ويشير الباحث بهذه المناسبة إلى صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق على المسلمين وغير المسلمين إلى يوم الناس هذا وإلى يوم يرث الله سبحانه السماوات والأرض ومن فيهن.

ويتضمن هذا الفصل في خاتمته الدعوة إلى الله عز وجل ليهدي شباب المسلمين، صناع المستقبل، وقادة المسلمين، ليكونوا حملة لواء الشريعة الإسلامية السمحة، لإقامة الدين كله لله، مراعين واقع مجتمعاتهم، وآداب التدرج، مقتدين بإمامهم ونبيهم صلى الله الله عليه وسلم في رأفته ورحمته بالمسلمين، ومن يعيش في كنفهم، ليعيشوا السعادة الحقيقية مع المسلمين في ظل التزامهم شريعة الإسلام، التي أنزلها جل شأنه هدى ورحمة للعالمين، كما قال عز من قائل:

﴿فقد جاءكم بيّنة من ربكم وهدى ورحمة﴾. [الأنعام: ١٥٧]. ■

الحركات الإسلامية المعاصرة تعمد إلى الجمع بين الذكر والجهاد في سبيل نهوضها المستقبلي المنشود والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم

الكتابة

بقلم ـ د. أحمد الحسن
أستاذ مادة التاريخ بجامعة الكويت

تشعبت مسئوليات الخليفة في الدولة الإسلامية، واحتاج إلى مساعدين له لتنفيذ المهام المختلفة، ولذا ظهرت وظيفة الوزارة، ولكن مع تعقد الحياة وزيادة المسئوليات لم يعد بإمكان الوزير الإشراف على جميع المهام الموكلة إليه بصورة دقيقة، فظهرت وظيفة (الكتابة) التي تناط بها مسئولية الإشراف على الأمور الكتابية في الدواوين المختلفة، خاصة تلك التي تحتاج إلى التدوين وحفظ المعلومات وتنظيمها وتبويبها في سجلات خاصة.

ويشترط في (الكاتب) شرطان رئيسان هما: العدالة، أي اتصافه بالأمانة والنزاهة والأخلاق الفاضلة.. والشرط الثاني: الكفاية، أي الأهلية والقدرة والإتقان للمسئولية المكلف بها، ولأنه يقوم – في العادة – بتحرير رسائل الدولة وصياغة القرارات الرسمية، ودقة الحساب والضبط.[الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٨٥و١٨٦].

ومن المعلوم أن الحاجة إلى الكتابة بدأت في عهد الرسول ﷺ وذلك تلبية للحاجات المختلفة، ككتابة القرآن الكريم، والمراسلات والعهود.. ومن كتّاب الرسول ﷺ: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد.. ولما تولى أبوبكر الخلافة، صار عثمان بن عفان كاتباً له.

وظهرت مهنة الكتابة وكبرت أهميتها، وبرزت الحاجة إليها بشكل أوسع في عهد عمر ابن الخطاب وذلك عندما دونت الدواوين، فعين عمر لكل ولاية كاتباً، وظهرت وظيفة (كاتب الديوان) واتخذ عمر كتاباً خاصين منهم: زيد بن ثابت، وعبدالله بن أرقم.. وبقي حال الكتابة ومهامها في عهدي عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب على ماكان عليه في عهد عمر بن الخطاب.

ويمكن أن نجمل القول بأن الكتابة في عهد الخلفاء الراشدين كانت مقتصرة على الشئون المالية المتمثلة في ديوان الخراج وديوان العطاء.. والشئون العسكرية المتمثلة في ديوان الجند.. بالإضافة إلى كتّاب الخليفة والولاة. [الطبري، تاريخ، ص٣/١٧٣. العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص١٣٢. اسماعيل، تاريخ الحضارة، ص٧٠. زيدان، المدخل لدراسة الشريعة، ص٢٤٣. حسن ابراهيم، النظم الاسلامية، ص١٥٦].

وتعددت أنواع ومهام الكتابة في العصر الأموي، وأشهرها (كاتب الرسائل) و(كاتب الجند) و(كاتب الشرطة) و(كاتب القضاء)، وممن اشتهر من كتّاب العهد الأموي: سالم؛ كاتب الخليفة هشام بن عبدالملك (ت١٢٥هـ/٧٤٢م)، وعبدالحميد؛ كاتب الخليفة مروان بن محمد (ت١٣٢هـ/٧٤٩م). [التوم، تاريخ الحضارة، ص٦٩. حسن إبراهيم، النظم الاسلامية، ص١٥٧].

وزادت مهام الكتّاب والكتابة في العصر العباسي بزيادة عدد الدواوين وتشعبها وتعقد نظمها، ومن الكتاب المشهورين في هذه الفترة: أحمد بن يوسف؛ في عهد الخليفة المأمون، ومحمد بن عبدالملك الزيات؛ في عهدي المعتصم (ت٢٢٧هـ/٨٤١م) والواثق (ت٢٣٢هـ/٨٤٦م).

وعرفت الدويلات المستقلة وظيفة الكتابة، في الدولة الفاطمية والطولونية والمملوكية في المشرق، والدولة الإدريسية والرستمية والأغالبة في المغرب، كما عرفت دويلات الأندلس (الكتابة) و(الدواوين) شأنها شأن أجزاء العالم الإسلامي الأخرى. [إسماعيل، تاريخ الحضارة، ص٧١].

الحاجة إلى الكتابة بدأت في عهد الرسول ﷺ وذلك تلبية للحاجات المختلفة، ككتابة القرآن الكريم، والمراسلات والعهود..

الحياة في الإسلام لاتقبل الانشطار أو التجزئة

بقلم: طه محمد كسبة

في طرح جريء ــ جديد ــ للقيم الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي فجر الداعية الإسلامي الدكتور يوسف القرضاوي العديد من القضايا المعاصرة التي تواجه المسلم اليوم في ظل عالم جديد يموج بالكثير من المبادىء والأفكار والقيم الوافدة، مثلما يموج بالمتغيرات الحادة والكثيرة للعديد من الثوابت والمسلمات في مجالات الحياة كافة.

جاء هذا في الندوة السنوية التي عقدتها (مجموعة دلة البركة) والتي رأسها الشيخ: صالح عبدالله كامل في إحدى الليالي الرمضانية في مدينة جدة في المملكة العربية السعودية، والتي حفلت بحضور مكثف زاد عن ألفين من الرواد الذين حرصوا على الحضور مبكرين للاستمتاع لهذا الطرح الجديد والجاد الذي يطرحه الدكتور يوسف القرضاوي في جميع محاضراته ومناظراته.

فماذا قال الشيخ القرضاوي: في ندوة الاقتصاد الاسلامي والتي اختار لها، موضوعا مهما وحيويا هو القيم الدينية والأخلاقية وعلاقتهما بالاقتصاد.

يقول الدكتور القرضاوي: إن فكرة الاقتصاد الإسلامي كانت أمرا مرفوضا في الحياة الجامعية، وأيضا في الحياة العملية. وكان لا يمكن القول بوجود اقتصاد إسلامي، وكان طلابنا في جامعاتنا العربية والإسلامية يدرسون الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي ولا يذكر شيء عن الاقتصاد الاسلامي. والآن أصبح للاقتصاد الإسلامي كيان ومكان، وأصبحت القائمة التي تضم المؤلفات والبحوث والدراسات الخاصة بموضوع الاقتصاد الإسلامي كثيرة وأكثر من أن تحصى أو تعد.

فكرة الاقتصاد الإسلامي كانت أمراً مرفوضاً في الحياة الجامعية والعملية بل كان اقتصادا رأسماليا اشتراكيا

علاقة الاقتصاد بالأخلاق

قال فضيلته: قد يظن بعض الناس أن لا علاقة مطلقا للأخلاق بالاقتصاد. وربما سائل يسأل وما علاقة الاقتصاد بالقيم الأخلاقية؟، وهو العلم المادي الذي هو ربح وخسارة وأرقام، والأخلاق ـ كما نعرف ــ مسألة تتعلق بالنشاط الإنساني الإيماني والفضائل. وأقول إن هذا صحيح إذا نظرنا إلى الاقتصاد بالمنظور المادي الغربي، أو بالنظرة إلى الاقتصاد الوضعي الذي عرفه الناس ومارسوه.

لكن بالنظر إلى الإسلام فلا يوجد شيء في الحياة منفصل عن القيم والأخلاق، فالحياة في نظر الإسلام وحدة لا تقبل الانشطار ولا تتجزأ، كما أن الإسلام لا يقبل قسمة الحياة ولا يقبل انشطار الإنسان وأيضاً لا يقبل أن يكون في الحياة جزء لله وجزء لقيصر.. ذلك أن قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار في نظر الإسلام الذي لا يعترف بهذه التجزئة وهذا التقسيم.

ويقول: إن هذا الأمر هو طبيعة الأشياء وطبيعة الحياة، حيث انني لا استطيع أن أقسم الإنسان وأقول: هذا جزء للروح، وهذا جزء للمادة في الإنسان.

فالإنسان والحياة وحدة كاملة متكاملة، ولا يمكن أن نفصل بعضها عن بعض. ولذا فإن الإسلام يربط بين الاقتصاد والأخلاق، كما أنه يربط بين العلم والأخلاق، وبين السياسة والأخلاق، وبين الحرب والأخلاق.. ذلك أن الأخلاق تحكم كل نشاط الإنسان وعلاقاته الفردية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية. وهذه القيم جميعا تحكمها الأخلاق. وكما نعلم جميعا بأن رسالة الإسلام الأساسية هي إتمام مكارم الأخلاق. مصداقا لقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[رواه البخاري] وهذه هي مهمة الإسلام ودوره في الحياة، ولذا فإننا نجد ارتباط العقيدة في الإسلام بالأخلاق، والإيمان بضع وسبعون شعبة ومعظم هذه الشعب أخلاقية سلوكية.. فالصلاة في الإسلام ﴿تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت ٥١] والزكاة ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ [التوبة ١٠٣]، والصيام: ﴿لعلكم تتقون﴾ [البقرة/١٨٣] والحج: أيضا كذلك: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها

ولكن يناله التقوى منكم﴾ [الحج/ ٣٧] من هنا أقول إنه لا انفصام بين الإسلام والأخلاق أو بين الاقتصاد والأخلاق.

وظيفة المال

وقال أيضا: هنا فكرة أساسية هي: أن الإنسان في ماله وعلاقته ليس حرا يتصرف كيف يشاء. فهناك بعض الناس يظن أنه حرٌّ يتصرف كيف يشاء في ماله وليس عليه رقيب، وحديثنا عن الجوانب الأخلاقية بمعنى أن هناك وازعاً من داخل الإنسان له أهميته حتى ولو غاب القانون الخارجي (قانون السلطان) فإن هذا الوازع يظل يراقبه ويحاسبه. ومهما غاب الوازع الخارجي والسلطان بقي هذا الوازع الداخلي يؤدي وظيفته. وهذا الوازع هو النفس أو الضمير الذي يحاسبه، والذي يجعل الإنسان يتصرف وفق أوامر الله تعالى، وفي الحقيقة فإن المال هو مال الله، والإنسان أمين عليه وحارس، جعله الله مستخلفا فيه.

التقسيم الاقتصادي

ويستطرد الدكتور القرضاوي مفندا دعاوى الاقتصاديين وتقسيماتهم فيقول: يقول الاقتصاديون: «إن الإنسان لا يستطيع تحويل المادة إلى ثروة» ونقول: إن الإنسان لم يخلق الأرض ولم يخلق البذور التي يزرعها ولم يخلق المطر الذي يروي الأرض، ويقول الله تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون﴾ [يس/ ٧١] ﴿أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ [الواقعة/ ٦٤] فأين عمل الإنسان؟ فالفكرة لدى الإنسان أنه مستخلف في هذا المال: مثل قصة قارون عندما نصحه قومه: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ [القصص/٧٧] فقال قارون ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ [القصص/٧٨] فهذه فكرة أساسية، تجعل الإنسان يزعم أنه ماله ولا حق لأحد في التصرف فيه. ولكن الفكرة الأساسية أنه مستخلف فيه، وعليه أن ينفق مما آتاه الله، فليس الاقتصاد سائبا وإنما مقيد بالقيم والأخلاق.

ولذلك كان التحريم من أهم عوامل الاقتصاد الأساسية في الإسلام. ومن هنا فإن الاقتصاديين يرون أن الاقتصاد تحكمه أربع قواعد هي: الإنتاج، والاستهلاك، والتناول، والتوزيع، وهناك بعض ممن كتبوا أن الإسلام ليس له في عملية الإنتاج والتوزيع، وهذا قول غير صحيح، لأن الإسلام له علاقة كبيرة بهذه القواعد الأربع. وأقول: انظروا إلى الإنتاج، فالقرآن الكريم ذكر البر والبحر، ولأن العالم بدأ يتجه إلى البحر لأنه متوقع منه أن يسد حاجة العالم إلى الطعام: ﴿سخر لكم الليل والنهار﴾ [النحل/١٢] والقرآن لفت أنظارنا إلى هذه الموارد لنستخدمها: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها﴾ [الملك/ ١٥] وهناك بعض الدول التي تتحكم في قوتها وهناك من تتحكم فيها بعض الدول. ولذا فإن الدولة التي تتحكم في قوتها هي الدولة القوية.

مسألة أخرى على جانب كبير من الأهمية. استغرب على أمة نزلت فيها سورة كاملة عن الحديد، ولا تتقن صناعته، وسورة الحديد تشتمل في نصوصها ومجمل آياتها على الصناعات المدنية والصناعات الحربية. وأتساءل لماذا لم تتقدم الدول الإسلامية في هذه الصناعة التي أرشدنا الله إليها.

والرسول صلى الله عليه وسلم حذرنا من إضاعة الموارد، فلا يجوز إهمال أو تعطيل أي ثروة والحفاظ عليها من واجب الجميع ولا يجب العبث بها. فالرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا: «من قطع سدرة من سدر الحرم صوب الله رأسه في النار» رواه الطبراني. فالإسلام يريد من الأمة أن تحافظ على كل شيء. والعمل مطلوب، فهناك العمل المطلوب من أجل الفرد ذاته، والعمل من أجل الأسرة، والعمل من أجل المجتمع، فالعمل مطلوب لذاته والمسلم مطلوب منه أن يعمل ويظل يعمل من أجل الحياة حتى يموت. والحديث، يقول: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها» رواه أحمد والبخاري في الأدب فأي تكريم أعظم للعمل من هذا. فالمسلم مطلوب منه أن يعمل وأن يحسن العمل ولا يكتفي فقط بأن يعمل، وهذا فريضة على الإنسان: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» رواه أحمد ومسلم والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا عمل أحدكم عملا فليتقنه» ذكره ابن سعد في طبقاته.

ومن القيم الأخلاقية الجميلة في الإسلام أن من المحرم — ولا يجوز للمسلم - أن يستنتج الضار من الأشياء والمحرم منها، فلا يجوز أن ينتج الخمر والمفسدات وحتى في مجال الإعلام فإن الإسلام يحرم إنتاج ما يفسد على الناس حياتهم ودينهم وعقيدتهم، كما أن إنتاج المحرمات والمفسدات محرم في الإسلام، كما يجب أن يكون الإنتاج في دائرة الحلال وأن يكون وفق حاجة الأمة.

واختم قولي بأن الإسلام كان سباقا إلى تقرير اقتصاد السوق، وأن الإسلام صاحب الفضل الأول في إنشاء اقتصاد السوق الحر الحقيقي، وليس الغرب أو الشرق، ولذا فأنا أقول لكم عودوا إلى إسلامكم الذي يرشدكم إلى الحياة الصحيحة الكاملة، ويرشدكم إلى طريق النجاة والفلاح في أي عمل تعملونه ■

الإسلام لا يقبل انشطار الإنسان أو قسمة الحياة وتجزئتها فلا يوجد شيء منفصل عن القيم أو الأخلاق

الانفعال هـذا الداء

نشرت جريدة الحياة اللندنية بتاريخ ٢٤/٥/١٩٩٦ مقالاً للدكتور غازي القصيبي تحت عنوان: الانفعال.. هذا الداء العربي جاء فيه :

لعلنا نستطيع، من دون تجن كبير على الحقائق ان نخلص الى ان المأساة السياسية العربية من صنع قرارات سياسية عربية انفعالية ولعلنا نستطيع ان نضيف ان القرار السياسي الانفعالي هو دائماً وابداً قرار فردي وان القرار الفردي مهما كان نصيب صانعه من الحكمة لايمكن ضمان سلامته من «فيروس» الانفعال ان المطالبة بديموقراطية على الخط الغربي «تنفجر» بغتة في الامة العربية فتمنع الانفراد بالقرار هو حلم لذيذ ولكنه حلم مستحيل الا ان المطالبة بتفعيل المجالس القائمة تفعيلاً حقيقياً ولدى كل رئيس عربي بحمد الله مجلس اواكثر، ليست مطالبة بمستحيل، وفوق ذلك فإن الاوان قد آن لانشاء «مراكز تفكير» في كل دولة عربية حتى في أرقى الدول تنظيماً تطبخ السياسات طبخاً في هذه المراكز وتمر بعدة قنوات للنقاش قبل ان تصبح موقفاً تتبناه الدولة والقضايا التي تواجه العالم العربي في القرن المقبل غاية في الخطورة، والاجندة متخمة بالقرارات المصيرية ماذا عن المشروع الشرق أوسطي؟! كيف يتم التعامل مع اعمدة النظام الدولي الجديد مجلس الأمن والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي؟ ماذا عن النفط وأسعاره وبدائله في السنين المقبلة؟ هل من وسيلة للتعامل مع الغزو الفضائي الثقافي غير مصادرة الهوائيات؟ كيف تستطيع اي دولة في المستقبل ان تحمي نفسها من غزو دولي يتم لحماية حقوق الانسان؟ ماذا عن الاسلحة الجرثومية والكيمياوية والذرية؟ كيف تستطيع دويلات العالم العربي وليس في العالم العربي سوى دويلات ان تقف في مواجهة العملاق الاميركي والعملاق الاوروبي والعملاق الصيني والعملاق الياباني؟

كل هذه معضلات لا يستطيع فرد مهما رزق من مواهب ذاتيه، ان «يبت» فيها وهي تحتاج الى مفكرين يقدمون الخيارات ويناقشون البدائل– وعندما تتبلور الامور يجيء دور صاحب القرار ولكن من دون تفعيل المجالس القديمة وانشاء مراكز جديدة للتفكير لايبدو ثمة امل في الخروج من هذا النفق الاسود.

أحداث العالم والحراك الدولي

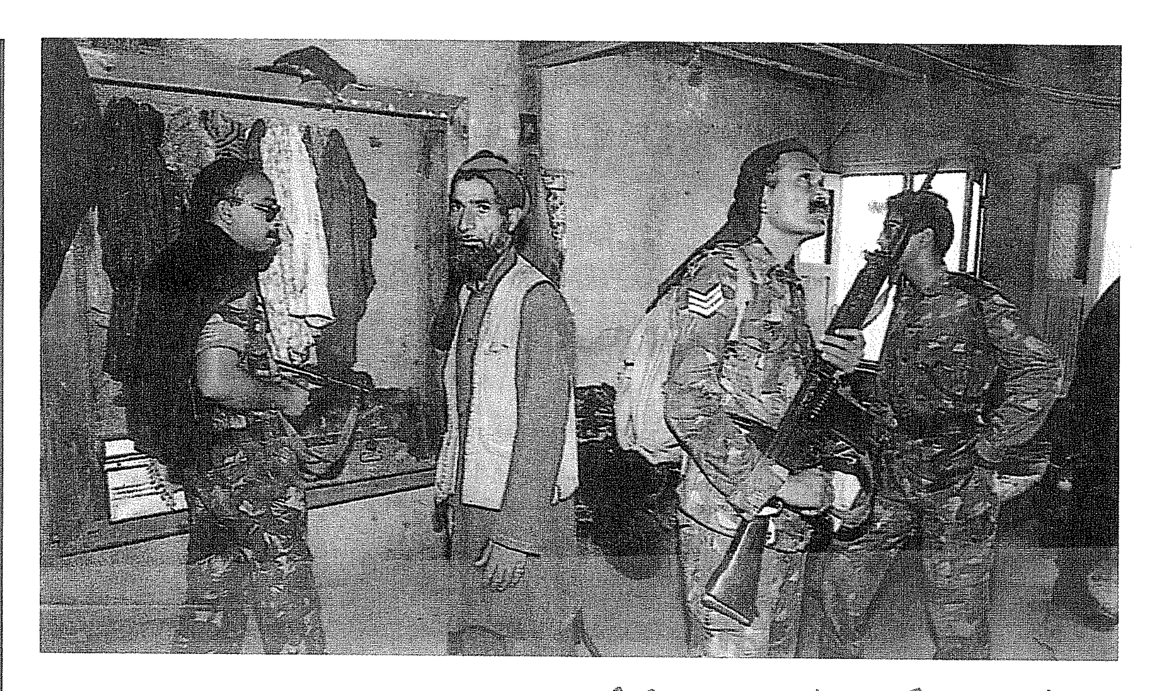
وتناولت مجلة الاصلاح الصادرة في دبي الامارات العربية المتحدة في مقال افتتاحي لها في عددها رقم ٢٤٢ المتغيرات الجارية على الساحة الدولية فقالت:

المتأمل فيما يحدث في عالمنا العربي وفي العالم اجمع يكتشف على الفور ان قانون« التغير الدائم والحراك المستمر» هو «ابو القوانين» بحق، واذا كان التطور المتسارع في مختلف الميادين هو السمة البارزة لزماننا فإن انعكاس ذلك على المتغيرات الاجتماعية والسياسية هو مجرد تحصيل حاصل ليس الا، وهذا هو عين مانشاهده على الساحة الاقليمية الدولية.

لقد افرزت تطورات السنوات القليلة الماضية منذ سقوط الاتحاد السوفياتي ولحد الآن مدرسة فكرية وسياسية مالت الى الاعتقاد بأن كثيرا من الصراعات قد حسمت والتوهم بأن العالم قد ابتعد تماماً عن الاخطار التي كانت تواجهه ولئن كان شعار النظام الدولي الجديد هو التعبير المتداول لتلك المدرسة فإن مايجري على الساحة العالمية والاقليمية قد بدأ يدفع الجميع الى اعادة حساباته. واكتشاف ماوقعوا فيه من تسرع وهاهم المبشرون بذلك النظام واكثر دعاته تحمساً يجاهرون بأن مايواجه البشرية من اخطار اليوم يفوق بكثير ماعاصرته ايام الحرب الباردة، فالنزاعات الاقليمية تتفجر في كل مكان وقائمة الاخطار غير التقليدية تتسع يوماً بعد يوم ومصادر التهديدات تتنوع وتتجاوز الدول الى المنظمات والجماعات:

لنزاعات الاقليمية تتفجر في كل مكان وقائمة الاخطار غير التقليدية تتسع يوماً بعد يوم ومصادر التهديدات تتنوع وتتجاوز الدول الى المنظمات والجماعات

ستكون من اول اجندة الحكومة الهندوسية المتعصبة محاصرة المسلمين في الهند وفي كشمير



المتطرفون الهندوس قــادمــون!!

جريدة «المسلمون» كتبت مقالاً في عددها رقم ٥٩٠ الصادر بتاريخ ٢٤/٥/٩٦ حول قضية نجاح الحزب الهندوسي في الانتخابات الهندية الاخيرة ونتائج هذا النجاح على وضع المسلمين ومستقبلهم في الهند فقالت:

عاد الهندوس المتطرفون مرة اخرى الى السلطة في الهند فقد جاءت دعوة الرئيس الهندي لزعيم حزب« بهاراتيا جاناتا» الهندوسي لتشكيل حكومة جديدة في البلاد لتتوج عودة مثيرة للذهول للهندوس الى الحكم بعد ان كان قد طواهم النسيان بانخفاض مقاعدهم البرلمانية الى مقعدين فقط عام ١٩٨٤م من مقاعد البرلمان الهندي البالغة ٥٤٥ مقعدا. وكشف« اتال بهاري فاجباي» رئيس اول حكومة هندوسية عن الوجه القبيح للهندوس فقد اعلن برنامج حكومته مؤكدا تنفيذ وعدهم ببناء معبد هندوسي مكان مسجد بابري التاريخي كما زعم ان كشمير كلها هندية بما في ذلك الجزء الذي يقع تحت سيطرة باكستان واكد ان بلاده ستصنع السلاح النووي في حالة الضرورة وسعى «فاجباي» الى خطب ود المسلمين عندما قال ان حكومته سوف توفر الحماية الكاملة للمسلمين وهو قول وصفه بعض المراقبين بأنه محاولة للتمويه عن سياسات الحزب المتعصبة تجاه المسلمين.

وستكون من اول اجندة الحكومة الهندوسية المتعصبة محاصرة المسلمين في الهند وفي كشمير ومزيد من القمع تجاههم ويأتي تقدم حزب بهاراتيا جاناتا الهندوسي خلال السنوات العشر الماضية في جانب كبير منه الى عصبيته السياسية والدينية الفاضحة في شعب تغلب عليه الديانة الهندوسية انطلاقا من مفهومه بأن الهند امة واحدة وثقافة واحدة لدغدغة مشاعر الناخبين ويذكر ان حزب بهاراتيا جاناتا تمكن عام ١٩٩٢ من استثارة الشعور العاطفي بين قواده عندما زعم بأن أثراً اسلامياً بناه المسلمون فوق انقاض معبد هندوسي وانه يجب ازالة هذا الأثر حيث بلغت هذه الحملة ذروتها في الثاني من اغسطس من نفس العام عندها هدم آلاف المتعصبين الهندوس مسجد بابري في مدينة« ايوداهيا» والذي يعود تاريخه الى القرن السادس عشر الميلادي مما ادى الى نشوب صراع بين المسلمين والهندوس خلف وراءه اكثر من ألفي قتيل.

مجلة نيوزويك

الخدمات التليفونية

أحدث ماتوصل اليه العلماء في دنيا الكمبيوتر

ترجمة: منصور أبو العينين

تتحدث أمريكا هذه الأيام عن آخر ماوصلت اليه تكنولوجيا الكمبيوتر بهدف تحقيق قفزة نوعية تعزز أهمية هذا الجهاز في حياة الإنسان وتتلخص نتائج الأبحاث الجديدة، والتي تم تطبيقها بنجاح في إمكانية إجراء المكالمات التليفونية عبر جهاز الكمبيوتر المتصل بشكبة «الانترنت» الدولية، الى أي مكان في العالم، ومن دون أي تكلفة مالية. هذه المكالمات الدولية، أوالمحلية لن تكلف صاحب الجهاز سوى قيمة اشتراكه الشهري في شبكة «الانترنت» والتي تقل في أميريكا عن ٢٠ دولاراً وهو مايعادل ستة دنانير كويتية شهريا.

فقد أصبح بإمكان مشتركي الشبكة العالمية في أمريكا التواصل مع بعضهم بعضاً، ليس بوساطة البريد الالكتروني فحسب، ولكن عبر الكلمة المسموعة، وذلك بعد أن اعلنت شركة« نت سكيب» NET-SCAPe صاحبة المشروع الجديد أن برنامجها الجديد الذي اطلقت عليه اسم « شبكة الملاح المستكشف» Navigaton web browsr يتضمن تكنولوجيا حديثة يستطيع الكمبيوتر بوساطتها ان يقوم بمهمة الاتصالات التليفونية.

وعلى الفور اعلنت شركة منافسة أميركية أخرى هي شركة ميكروسوفت«microsoft» انها هي الأخرى قد توصلت الى نفس الاكتشاف، الذي سيتم تطبيقه في الصيف الحالي.

هذا التقدم المذهل سوف يعزز صناعة الكمبيوتر الذي سيفوق عدد المستفدين من خدماتها مئات الملايين من سكان العالم بحلول القرن الجديد حسب توقعات المنظمة الدولية للمعلومات.

ولقد أدى دخول هذه الخدمة -خدمة الاتصال التليفوني عبر شبكة الانترنت بوساطة جهاز الكمبيوتر- الى دمج ثلاث مؤسسات ضخمة في أمريكا هم شركة تكنولوجيا التليفونات ومؤسسة الاتصالات MFS وشكبة الانترنت الدولية UO-NET برأسمال قدره ملياري دولار أميركي.

وقد صرح جيمس كرو رئيس شركة MFS لمجلة النيوزويك قائلاً: إن لدينا اقتناعا كاملا بأن هذا الموضوع يمثل تحولاً جذرياً وتغييراً هائلاً في عالم الاتصالات.

وقد تنبأ المسؤول الأميركي بأن يتم في القريب العاجل جدا إجراء جميع الاتصالات التليفونية عن طريق شبكة الانترنت وقد أيده في ذلك زميله رئيس شركة سوفتوير للكمبيوتر.

وبوساطة هذا الاكتشاف العلمي الحديث اصبح بإمكان مشتركي الانترنت إجراء المكالمات التليفونية عبر جهاز الكمبيوتر ولكي يتمكن المشترك من تحويل جهاز الكمبيوتر الخاص به الى تليفون للاتصالات الصوتية عليه ان يقوم بتخزين برنامج «سوفت وير» في جهاز مزود بامكانية الاتصالات المتعدده، وهي اساساً تكنولوجيا صوتية بالاضافة الى ميكروفون متصل بالشبكة حيث يتم طبع عنوان الشخص المراد الاتصال التليفوني به مباشرة. فإذا كان الشخص الآخر المطلوب الاتصال به على خط مفتوح، فإنه سوف يتلقى على الجهاز رسالة تسأله عما إذا كان لايمانع في استقبال مكالمة تليفونية فإذا وافق فسوف تتم المكالمة مباشرة بين الطرفين بوساطة مكبر الصوت« الميكروفون» الموجود في جهاز كل منهما. أما اذا كان الطرف الآخر غير موجود على الخط في تلك اللحظة فإنك تستطيع ان تترك له رسالة.

وبالرغم من أن نقل رسالة مكتوبة بوساطة شبكة الانترنت رخيصة جدا، فإن المكالمة التليفونية بوساطة نفس الشبكة اكثر رخصاً فهي علاوة على انها لاتكلفك شيئاً، إلا انها تمتازعن المكالمات العادية على شبكة التليفونات العامة بأنها محصنة ضد التنصت أو استراق السمع وانه يمكن تبادل المستندات والرسم أو التخطيط أو الكتابة على لوحة بيضاء حقيقية لأي من الطرفين اثناء اجراء المحادثة التليفونية.

اتصالات الانترنت محصنة ضد التنصت واستراق السمع

اكتشاف الانترنت ثورة عظيمة في عالم الاتصالات



بطبيعة الحال لاتتوافر هذه الخدمات إلا اذا كان كل من الطرفين يتمتع بخدمة الانترنت وان يكون جهاز الكمبيوتر الخاص في كل منهما مزودا ببرنامج السوفتوير الخاص بالتليفون.

وقد لوحظ في المكالمات التي تتم في هذا الاسلوب انها ليست صافية حيث يسمع بها بعض (الشوشرة والقرقرة) التي لاتجعلها بدرجة وضوح المكالمات العادية على شبكة التليفونات لكن المسؤولين يعدون بأنهم في بصدد تحسين هذه الخدمة والتغلب على أي وجه من وجوه النقص في وقت قريب، وسوف يكون من السهل التمتع بهذه الخدمة على افضل وجه بعد تطوير برنامج السوفتوير«SOFTWARE» علاوة على ذلك فسوف يتم وضع معايير دولية عامة -STAN-DARD حيث يتمكن المشتركون في الشبكة من التواصل التليفوني رغم اختلاف الاجهزة والمنتجات الصوتية بل اكثر من ذلك فإن العمل جارٍ على قدم وساق لتمكين المتحدث من تليفون مركب على جهاز الكمبيوتر المشترك في شبكة الانترنت ان يتحدث مع شخص آخر على تليفون عادي والعكس صحيح اي ان اي شخص يستطيع ان يتصل من تليفون عادي بتليفون على شبكة الانترنت.

وقد اثار هذا التقدم التكنولوجي للانترنت بعض شركات التليفون المحلية في امريكا الذين يرون فيه منافسة غير عادلة بينما يراه آخرون فرصة للتعاون المشترك. ومع ذلك فإن جدلا كبيراً يتم هذه الايام حول الاكتشاف الجديد الذي اعتبره المراقبون ثورة في عالم الاتصالات. الغريب في الموضوع أن اسرائيل قد انشأت فعلا مصنعا لانتاج البرنامج التليفوني ومكونات الاجهزة الصوتية الاخرى لصالح مؤسسة الانترنت العالمية.

يقول إيلون جانور رئيس الشركة الاسرائيلية إن تطوراً كبيرا سيطرأ على المنتجات الصوتية للكمبيوتر سوف تجعل الصوت في المكالمة التليفونية «بنفس درجة صفاء الزجاج».

الجدير بالذكر ان برنامج السوفتوير التليفوني يباع الآن في امريكا على نطاق واسع بثمن زهيد جداً هو ٤٩ دولاراً. يقول احد مستعمليه انه كان يدفع ألف دولار شهرياً لفاتورة التليفون، التي أراحه منها هذا الاكتشاف الجديد.

عن تقريرين نشرا في كل من مجلتي:
- النيوزويك الامريكية عدد ١٣/٥/١٩٩٦م
- الايكونومست البريطانية عدد ١١/٥/١٩٩٦



إعـــداد / أحمد عبدالجبار



رباعيات

الا ايها المقصود في كل حاجة
شكوت اليك الضر فارحم شكايتي
ألا يارجائي انت تشكف كربتي
فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة
وما في الورى (١) عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار ياغاية المنى
فأين رجائي ثم، اين مخافتي

(١) الورى :الخلق.

وماينطق عن الهوى

قال النبي صلى الله عليه وسلم «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت:« لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين» فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له».

أجوبة مسكتة

قال الرقاشي لرجل ـ وكان معروفا بالبليغ المختصر من الكلام ـ ما يجب على الرجل في حق الله؟

قال: التعظيم له والشكر لنعمه.

قال فما يجب عليه في حق السلطان؟ قال: الطاعة والنصيحة. قال فما يجب عليه في حق نفسه؟

قال الاجتهاد في العبادة واجتناب الذنوب.

قال فما يجب عليه في حق العامة؟

قال: كف الأذى وحسن المعاشرة، قال فما يجب عليه في حق الصديق؟

مواقف

يروى عن ابي حنيفة: ان بعض الزنادقة سألوه عن وجود الله تعالى، فقال لهم« دعوى» فإني مفكر في امر قد اخبرت عنه، ذكروا لي ان سفينة في البحر فيها بضاعة حمولة وليس بها احد يقودها ولايحرسها ومع ذلك تذهب وتجيء بنفسها بمقاومة الامواج وترسو الى الشواطيء، بالله عليكم اتصدقون؟!!

فقالوا: هذا شيء لايقوله عاقل!

فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وماشتملت عليه من الاشياء المحكمة ليس لها صانع فبهت القوم ورجعوا إلى الحق واسلموا على يديه.

وقال رجل لجعفر الصادق رضي الله عنه ماالدليل على وجود الله؟!! ولاتذكر لي العرض والعالم والجوهر.

فقال الامام جعفر رضي الله عنه هل ركبت البحر؟

قال: نعم

قال له: هل عصفت بكم الريح حتى خفتم الغرق؟

قال:نعم

قال: فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين؟

قال:نعم

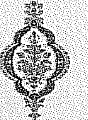
قال: فهل احسست ان ثمة من ينجيك؟

قال: نعم

قال: فإن ذاك هو الله.

الانسان الكامل

قال اعرابي: فلان افصح خلق الله تعالى اذا حدث، أحسنهم استماعا اذا حُدِّث، وامسكهم عن الملاحاة اذا خولف، يعطي صديقه النافلة ولايسأله عن الفريضة. له نفس عن العوراء محصورة وعلى العالي مقصورة، كالذهب الابريز الذي يعز في كل أوان، والشمس المنيرة التي لاتخفى بكل مكان هو النجم المضيء للحيران والبارد العذب للعطشان.



وقال اعرابي في وصف صديقه: ليث اذا عدا، وغيث اذا غدا، وبدر اذا بدا ونجم اذا هدى، وسم اذا أردى.

من آيات الله



إن الأبـــرار لفي نعيم. على الأرائك ينظـــرون. تعرف في وجـوهم نضرة النعيم. يسقـــــون من رحيق مختـوم. ختـامـه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. ومزاجه من تسنيم. عينـا يشرب بها المقـربـون. إن الــذين أجرمـوا كانـوا من الذين آمنـوا يضحكـون. وإذا مـروا بهم يتغـامـزون. وإذا انقلبـــوا إلى أهلهم انقلبـــــوا فكهين. وإذا رأوهم قـالـوا إن هـؤلاء لضـالون. ومـاأرسلـوا عليهم حـافظين. فاليـوم الـذين آمنـوا من الكفـار يضحكـون. على الأرائك ينظرون. هل ثُوِّب الكفار ماكانوا يفعلون.

صـدق اللـه العظيم / المطففين/ ٢٢ ـ ٣٦.

صفات قائد الجيش

عد الفخري رحمه الله الصفات التي ينبغي ان تتـوفـر في قـائد الجيش فقال:

قال بعض حكماء الترك: ينبغي ان يكون في قـائد الجيش عشر خصال من أخلاق الحيوان:

١- جرأة الأسد

٢- حملة الخنزير.

٣- روغان الثعلب.

٤- صبر الكلب على الجراح.

٥- غارة الذئب

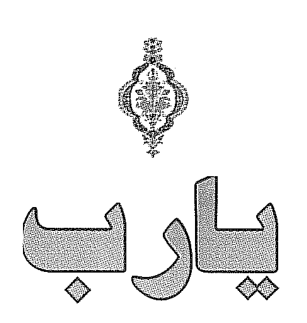
٦- حراسة الكركي.

٧- سخاء الديك.

٨- شفقة الديك على الفراريج.

٩- حذر الغراب.

١٠- سمن تعـرو« وهي دابـة بخـراسـان تسمن على السفر والكد»



يارب

اللهم بنـورك اهتدينا وبفضلـك استغنينا ومن كنفك وانعــامك وعطـائك واحســـانك اصبحنا وامسينـا انت الاول فلا قبلك شيء، والآخـر فلا بعـدك شيء والظـاهر فـلا شيء فوقك ،والباطن فـلا شيء دونك. نعوذ بك من الفلس والكسل وعــذاب القبر وفتنـة الغنى ونسألك الفوز بالجنة.

خصال القيادة

قيل: مضار السلطان من قبل ستـة أشياء: الحرمان والفتنة، واللهو، والفظاظـة، والزمان، والخرق: فأما الحرمان فإنه يحرم خصـالاً ستاً، أو يعطاها منقوصة فـاسدة، منها: صالحو الوزراء من اهل الرأي، والنصيحة والأمانة، ومنهـا الأجناد، ومنها الأموال، ومنها البلد، ومنها الحصون، ومنها البرد والرسل.

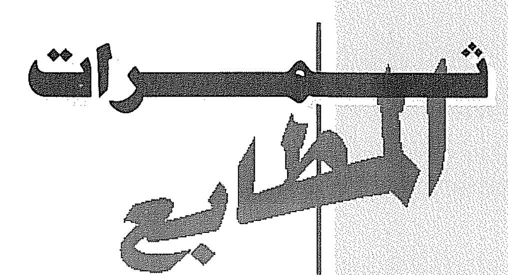
وامـا الفتنـة فتهيج بعض الأعـوان واعـــوجـاجـه الى الخروج على الملك، او شغب الجنـد وتحاربهم، واما اللهـو فالإغرام بالنســاء أو الشراب، أو الملاعب او الصيد اغراماً بـالنساء او الشراب، او الملاعب او الصيد اغـراماً يستغرق الفـراغ واما الفظـاظة فإفراط الخشـونة حتى يجمع اللسان بالشتم، واليد بالبسط والابتزاز لما ليس له بحق.

واما الـزمان فهو مـايصيب الناس في السنين من الغـرق والحرق والوباء وكثـرة الامطار والبرد وقلة الامطار، وشـدة البرد والحر بافراط، وكثرة الهوام التي يكـون بها نقص الثمرات واما الخرق وسوء التـدبير، فإن يعامل الاعداء في موضـع السلـم بالحرب، وفي موضع الحرب بالسلم والموادعة وفي المواضع التي يحتاج فيهـا الى المكيدة والصبر والحذر والتدبير وبالخطأ والمغالبة والغلظة وترك السياسة.

من تواضع للعلم ناله

قال اللـه تعالى:﴿ولا يحيطون بشيء من علمـه إلا بما شاء﴾ سورة البقـرة الآية ٢٥٥ وقال تعالى:﴿ومايعلم جنود ربك الا هو﴾ ســورة المدثر الآية ٣١. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى اربعين الف عــالم الانس والجن عالمان والبواقي لايعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام:« يارب قـد قلت للسموات والارض. أئتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين» فلو لم تطعك السموات والارض مـاذا كنت فاعلا بهما قال: ياموسى كنت آمر دابة من دوابي ان تبتلعهما قال موسى: يـارب وأين تلك الدابة؟قال:في مرج من مروجي قـال موسى: يـارب واين ذلك المرج؟ قال: في علم من علمي لايعلمـه الا انا. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في فكرة فقـال:«فيم تفكرون؟ تفكـروا في خلق الله ولا تفكـروا في الله فإن اللـه خلق من جانب الغرب ارضا يقال لها البيضاء تقطعهـا الشمس في اربعين يوماً فيه خلق ماعصوا الله طرفة عين» فقال عمر: يارســول الله أين ابليس منهم قال: «ماعلموا بابليس خلق أم لا» قال: أمن بني آدم؟قــال «ماعلموا بـآدم خلق أم لا» فهذه كلهـا مما اعدهـا الله في علم غيبه إنما أمـره إذا أراد شيئا ان يقـول كن فيكون فسبحـان الذي بيـده ملكوت كل شيء واليه ترجعون.. قال قتادة لو كان احد منا مكتفيا من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام ،«اذ قال هل أتبعك على ان تعلمني ممـا علمت رشدا» وقال الحكماء: افضل العلم وقوف العالم عند علمـه وقال بعضهم ليس العلم ماخزنته الدفاتـر انما العلم مما خزنته الصدور، وقيل العلم يؤدي الى التصدير وقيل من تواضـع للعلم ناله، ومن لم يتواضـع له لم ينله. وقيل: من برق علمه برق وجهـه، ومن لم يكتسب بالعلم مالا اكتسب به جمالا. والعلم نـور وهـدى، والجهل في وردى وقال بعضهم: العــالم يعـرف الجاهل والجاهل لايعرف العالم لان العالم كان جاهـلا والجاهل لم يكن عالما. وقيل اربعة يسودون العبد: العلم، والادب، والصـدق، والامـانـة وقـال حماد بـن سلمـة: مثل الـذي يطلب الحديث ولايعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لاشعير فيها ولإبراهيم بن خلف المهراني قوله:

النحو يصلح من لسان الألكن	والمرء تكرمه إذا لم يلحن
واذا طــلبت من العلوم اجلها	فأجلها منهم مقيم الالسن



إعداد / مصطفى مرسي
مركز المعلومات بالوزارة

الوقت في حياة المسلم

د. يوسف القرضاوي - القاهرة: دار الصحوة ١٩٩١م

هذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب القيم الذي يتحدث فيه د. القرضاوي عن أهمية الوقت في حياة المسلم من الكتاب والسنة فيقول في مقدمة الكتاب« ان البون شاسع بين موقف الاسلام من الوقت وهو الوقت الذي يحصي كل دقيقة ويحاسبه عليها ان عملا وان كسلا، وبين اسلوب المسلمين في الحياة وفي الاسلوب الذي يتفنن في اهدار الوقت بكل الطرق «والأساليب» حتى ضاع المسلمون في شتى الميادين وينبه في كتابه الى ان الوقت قد حان ونحن نرى أداء الغرب وتقدمه في ميادين الحياة ونحن مازلنا لانستغل أوقاتنا فيما يفيد:

والكتاب يعالج مشكلة ضياع الوقت ليستيقظ المسلمون من غفلتهم.. وان يعيدوا تقييمهم للوقت لانه هو الحياة بكل مافيها،ويضع حلا لجميع مشاكلنا.

طفل الخليج بين رفاهية النفط ونيران الحرب
دور وسائل الاعلام الحديثة

د. نبيل صبحي - الكويت : دار سعاد الصباح للنشر ١٩٩٢

الكتاب عبارة عن دراسة تأثير وسائل الإعلام على التنشئة الاجتماعية في المجتمعات العربية الخليجية ويتضمن الكتاب ستة فصول رئيسية الفصول الثلاثة الاولى تناولت التنشئة الاجتماعية للطفل الخليجي، ونوعية وتأثير وسائل الاعلام في مجتمع الخليج، وفي الفصلين الرابع والخامس تحدث بالتفصيل عن اساليب تطوير وضبط ماتقدمه وسائل الإعلام، وتحدث الفصل الخامس عن كيفية تقويم وسائل الإعلام والتوصيات التي تتعلق بتطوير ماتقدمه هذه الوسائل للطفل وأما الفصل السادس والأخير فقد خصصه الكاتب لايضاح آثار الحرب على الطفل الخليجي، والكتاب من هذه النواحي يهم التربويين والمدرسين والآباء واسهامافي بناء الشخصية المتكاملة للاطفال، أمل المستقبل في التنمية والبناءومايتعرض له من مشكلات تعيق تقدمه وازدهاره ذاكراً الأمية المتفشية على نطاق واسع في العالم الاسلامي كمشكلة أولى تعترض سبيل تقدم المسلمين واستئنافهم لدورة حضارية جديدة واما المشكلة الثانية فهي ان التعليم في العالم الاسلامي في معظم احواله يسير في اتجاه معاكس لروح العصر مما يجعله اسير المعادلة الصعبة، وهي المواءمة بين الأصالة والمعاصرة اما المشكلة الثانية فهي تخلف العالم الاسلامي في مجالات العلوم والتكنولوجيا والتصنيع وفي اعداد القوى البشرية الصالحة والقادرة على التنافس في مضمار الابداع والابتكار والانتاج، والرابعة فهي ان العالم الاسلامي يعاني من امتلاكه ثروات طبيعية هائلة والمشكلة الخامسة هي تعرض العالم الاسلامي خلال العقدين الماضيين لضروب من الصراعات الدامية التي اضعفت قوته وغرست بذور الشقاق والاختلاف في جسده وتأتي المشكلة السادسة في ادارة المجتمعات الاسلامية وتسيير شؤونها المختلفة ضمن اهم العوائق التي تحد من تطوير حركة التفاعل الاجتماعي وفق الاختيارات السليمة التي تحقق المصالح العليا للأمة الاسلامية.

الكتاب اطار فكري قيم وتشريح دقيق لمشاكل الامة الاسلامية مزود بإحصاءات تستند الى مصادر موثوقة جدير بالقرأة والبحث.

أوضاع العالم الإسلامي واستراتيجية المستقبل

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري- الرياض: المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٤ «٣٣+٦٢ ص» مطبوع بالعربية والانجليزية

الكتاب عبارة عن ورقة عمل قدمت الى المهرجان الوطني للتراث والثقافة التاسع في الجنادرية الذي عقد قرب الرياض في المملكة العربية السعودية في الفترة مابين ١٩-٢٩/١٠/١٤١٤هـ الموافق ٣١/٣-١٠/٤/١٩٩٤ والتي نظمت تحت عنوان «اوضاع العالم الاسلامي واستراتيجية المستقبل».
والدكتور التويجري.. غني عن التعريف فهو المدير العام« للإيسيسكو» وله اسهاماته العميقة في مجالات عدة تربوية واقتصادية وثقافية واجتماعية وغيرها، وتعتبر هذه الورقة التي قدمت للندوة اطاراً فكريا لها واشتملت على تقديم، ثم استعراضا لمشكلات الحضارة وعوائق التنمية وأخيراً الاستراتيجية المقترحة لمستقبل أفضل للأمة الاسلامية.
يقول المؤلف في تقديمه للكتاب شارحا وجهة نظرة لأوضاع العالم الإسلامي ومايواجهة.

نساء رائدات

عفت وصال حمزة بيروت: دار ابن حزم ١٩٩٤م

الكتاب الاول في سلسلة «نساء رائدات» يضم مجموعة من النسوة الرائدات في الحياة الاسلامية والتاريخ الاسلامي أطبقت شهرتهن الآفاق في الادوار التي قمن بها فاستحققن ان يكن قدوة ومثلا لبناتنا وأخواتنا، واشتملت الاسماء المذكورة في هذا الكتاب على ست شخصيات هن حسب الترتيب الزمني منذ عصر النبوة الى العصر الحديث وهن:
١- صفية القرشية ٢- اسماء بنت ابي بكر ٣- تماضر السلمية ٤- نسيبة بنت كعب المازنية ٥- أم ورقة بن نوفل ٦-أم سليم بنت ملحان
وذكرت المؤلفة عن كل شخصية من الشخصيات المذكورة عناصر كثيرة عن حياتهاونشأتهاواسلامها ووفاتها ومواقفها وشيئاً من شعرها لتعطي صورة نابضة بالحياة عن كل شخصية من هذه الشخصيات.

الخصخصة ودور البورصات والمؤسسات المالية في التنمية الاقتصادية

تجارب عربية وأجنبية / اتحاد البورصات وهيئات سوق المال العربية

الكويت :سوق الأوراق المالية ص.ب ٢٢٣٥ الصفاة الرمز البريدي ١٣٠٨٣
أو القاهرة - ٢٢ شارع هارون الرشيد- الدقي، ١٩٩٦

ماالخصخصة؟ وماالمفهوم والمزايا التي لجأت اليها الدول في الآونة الأخيرة لخصخصة بعض مؤسساتها، وما العلاقة بين هذه العمليات والأسواق المالية في الدول المتقدمة وغيرها من الدول؟
الكتاب ثمرة تعاون بين بورصات عربية عدة تتم فيه الإجابة عن كل هذه الاسئلة وغيرها لتوضيح هذه المفاهيم والصلة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بين عملية الخصخصة والنشاط في بورصات المال في الاسواق العربية والاجنبية ويتكون الاتحاد اساساً من اعضاء عاملين واعضاء منتسبين، والكتاب ينقسم الى محورين.
الأول: الخصخصة -بحوث ودراسات والثاني: بعض التجارب العربية والاجنبية ثم خاتمة اشتملت على مجموعة من التوصيات يمكن الاستفادة منها عند التطبيق.
والكتاب ثمرة للتعاون القائم بين هذه المؤسسات لمزيد من الانطلاق والتحرر الاقتصادي والتعامل مع العالم الخارجي في مجال المال والاقتصاد.

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..



حكم الثوب الطويل

● أنا شخص ألبس ثوباً« دشداشة» تطول على الكعبين، وليس لدي أي نية في التكبر أو الخيلاء.

وقد قال لي أحد الأشخاص بأن مازاد على الكعبين فهو في النار. فهل هذا الحديث ينطبق على كل شخص يزيد ثوبه على الكعبين وليس في نيته الكبر أو الخيلاء؟

أفتوني وجزاكم الله خيراً.

■ وقد أجابت اللجنة بالتالي:

من السنة أن يقصر الرجل ثوبه فوق كعبيه، فإذا غطى الثوب الكعبين، فإن كان ذلك للخيلاء حُرِّم، لأن الخيلاء محرم مطلقاً في كل تصرف، وإن كان لغير ذلك فلا بأس به مع وجود التحرز عن النجاسة، وذلك لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:« من جر ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة» رواه البخاري.

هل يجوز إقامة مركز لتدريب الفرسان؟

● لقد حث الإسلام على الفروسية وركوب الخيل، فأرجو بيان الحكم الشرعي في إقامة مركز لتدريب وتأهيل الفرسان، لذا يرجى تزويدي بفتوى شرعية مكتوبة مع الشكر.

■ وقد أجابت اللجنة بالتالي:

تعلم الفروسية وركوب الخيل من الرياضات المشروعة التي حث الشارع عليها، لما فيها من الفوائد والمصالح في إعداد الشباب وتهيئتهم جسدياً ونفسيا لحياة ناجحة، ولحديث النبي صلى الله عليه وسلم :« الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» رواه البخاري.

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:«علموا أولادكم السباحة والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً».

وعليه فإن إقامة مركز لتدريب وتأهيل الفرسان يعد أمراً مشروعاً ومأذوناً به، مالم يتضمن مفسدة أو محرماً، كالاختلاط المحرم بين الرجال والنساء او كشف العورات، او المراهنات والقمار، أو غير ذلك، ومالم يشغل عن واجب ديني أو دنيوي، والله أعلم.

حكم سفر الفتاة في مهمة رسمية

● نرجوا من سيادتكم معرفة الحكم الشرعي في سفر الفتاة من دون محرم ومع نسوة ورجال في مهمة رسمية موكلة لهم من قبل الوزارة أو الهيئة التي يعملون بها؟

■ وقد أجابت اللجنة بالتالي:

الاصل أنه لايجوز للمرأة ان تسافر من بلدها لأي عمل كان إلا ومعها زوجها أو محرم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم« لاتسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولايدخل عليها رجل إلا ومعها محرم» رواه البخاري.

واستثنى بعض الفقهاء حجة الفرض وأجازوا لها السفر من أجلها مع الرفقة المأمونة، وذلك صوناً لها وحماية لعفتها وكرامتها.

وعليه فإنه لايجوز للمرأة الموظفة السفر دون زوجها أو محرم في مهمة رسمية من قبل الوزارة أو جهة العمل مهما كانت طبيعة هذه المهمة، فإذا كان لابد من ذلك فلتصحب معها زوجها أو محرماً ولو كان ذلك على نفقتها، فإذا تعذر ذلك لم يجز سفرها إلا ان يصل الأمر الى حد الضرورة أو الحاجة الشديدة كأن تكون متعينة لهذه المهمة ولايحل محلها أحد من الرجال، أوان تكون المهمة ضرورية للمصلحة العامة فإن وصل الأمر الى ذلك الحد جاز لها السفرمن دون زوج أو محرم للقواعد الفقهية الكلية« الضرورات تبيح المحظورات» و«الحاجة تنزل منزلة الضرر».

والله أعلم.

حكم تزين الشباب بالسلاسل والأساور

أرى كثيراً من الرجال أو الشباب المراهق يلبسون سواراً من فضة أو حديد أو أي معدن آخر.

ومنهم من يطوق عنقه بسلسة عَلَقَ فيها مصحفاً أو صليباً أو حرفاً انجليزياً يرمز الى محبوبته مثلاً.

ومنهم من يقدح أذنه ويلبس القرط. وهم مسلمون وأبناء مسلمين، فهل يجوز شرعاً للمسلم أن يلبس شيئاً من ذلك على نحو ماذكرت؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً.

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

لايجوز للرجل أن يتزين بزينة المرأة، ولا للمرأة ان تتزين بزينة الرجال للحديث الشريف:« لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال» رواه البخاري وغيره.

كما لايجوز للمسلم ولا للمسلمة بما فيه تشبه بغير المسلمين بما يكون بهم أو شعاراً لهم للحديث الشريف« من تشبه بقوم فهو منهم» رواه أبو داود واحمد.

وعليه فلا يجوز للرجل لبس الاساور من الفضة أو الذهب أو أي معدن آخر، ولاتعليق مصحف من الذهب في صدره، ولا لبس القرطين في أذنيه لما فيه من التشبه بالنساء، ولايجوز له وضع الصليب على صدره وهو حرام لما فيه من التشبه بغير المسلمين. والله أعلم.

حكم التبرع بالاعضاء عند الموت الدماغي

ماحكم التبرع بالاعضاء لمن مات دماغيا مع بقاء عمل اجهزة الجسد القلب، الجهاز الهضمي، ووجود الروح سواء أوصى الإنسان قبل موت دماغه بالتبرع أو تبرع أهل الميت بذلك فيما بعد؟

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

لايجوز شرعاً عد الإنسان ميتاً إلا إذا توقفت جميع اجهزته عن العمل بما في ذلك القلب والرئتان والدماغ، وقرر الاطباء المسلمون العدول ان هذا التوقف نهائي لارجعة فيه.

أما إذا توقفت أحد اجهزة البدن أو بعضها وبقي البعض الآخر يعمل سواء أكان التوقف هو جذع الدماغ أو غيره، فإن الانسان يعد معه حياً، وربما جاز عده محتضراً، ولايمكن ان يعد ميتاً، مادام فيه عضو يعمل، وعليه فلا يجوز أخذ شيء من أعضاء الانسان الذي توقف دماغه عن العمل، ولم تتوقف جميع اجهزته الاخرى كالقلب والرئتين، إلا مايجوز أخذه من الإنسان الحي بشروطه.

والله أعلم.

حول جريمة الانتحار

أحد المستفتين يقول: من المعلوم أن الانتحار جريمة ولكن لماذا لم يتعرض لها القرآن الكريم؟

– الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم إن القرآن الكريم نهى عن قتل النفس مطلقا والنهي يتناول النفس البشرية سواء أكانت نفس القاتل أم نفس غيره.

كلتاهما نفس حرم الله قتلها، وحرمانها من حق الحياة، ومن أفظع صور الشذوذ جريمة الانتحار، حيث تمثل ثورة الإنسان على نفسه بسبب فقر أو مرض أو فشل في تعليم أو تجارة إلى غير ذلك من أسباب لايجد أمامها العزم على مقاومتها فيقدم على هذه الجريمة البشعة، وإذا كان القران الكريم قد ترك النص الصريح في عقاب قاتل نفسه في الآخرة فإن ذلك لم يكن تهوينا لأمر هذه الجريمة وإنما هو إسقاط لصاحبها عن الاعتبار واستبعاد من أن يفكر فيها إنسان مهما قل إيمانه حتى يحتاج الى تحذير وتخويف من عاقبتها على أن السنة صرحت بحرمان المنتحر من الجنة من ذلك ماارواه البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحزَّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات قال الله تعالى:﴿ بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة﴾ وبهذا نعلم أن جريمة الانتحار تحرم صاحبها من دخول الجنة أما عدم تعرض القرآن لها صراحة فلاستبعاد حدوثها ووقوعها وعدم اعتبار من يقدم عليها كإنسان.. على أنها تدخل في عموم النهي عن القتل .والله اعلم.

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية : ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



بقلم د: شعيد شوارب

بين أدب الرأي وأدب العقيدة

هل أنت صاحب رأي، أم صاحب عقيدة؟ سؤال ذهبي طرحه الأستاذ «أحمد أمين» أوائل العقد الثالث من هذا القرن على صفحات مجلة «الرسالة» وتشتد الآن حاجتنا إلى الإجابة عنه بعد زهاء سبعين سنة. فأنت إذا رأيت الرأي، فقد أدخلته في دائرة معلوماتك، وإذا اعتقدته تدفّق في دمك، وانطلق في كيانك، وضبط اتجاهك. ذو الرأي فيلسوف، يرى ما قامت عليه الأدلة اليوم ويسلم بأن الأدلة قد تقوم على نقيضه غداً، وذو العقيدة خرجت به عقيدته عن مجال التدليل، فهي الحق اليوم، وهي الحق آخر الدهر.

فالأول فاتر بارد، والآخر متحمس متفجر، عقيدته هم الليل والنهار، وهو طلق المحيا متفائل كلما قارب غايته.والناس يحبون بل يخضعون لصاحب العقيدة، وذو الرأي ثرثار معني بقيام الأدلة، لا يزال في جداله وسفسطته، حتى يجيء صاحب العقيدة فيبلعه لسانه وأدلته،لأن العقيدة تفعم روح صاحبها وتضبط اتجاهه، ولو طلب الصديق أبو بكر رضي الله عنه دليلاً واحداً على صدق محمد صلى الله عليه وسلم في حادثة الإسراء والمعراج لانفض الكثيرون من أتباع الدعوة عن نبيهم، لأن الموقف كان موقف عقيدة وإيمان، لا موقف منطق وبرهان.

قد يحدد الرأي، ولكن تبقى قيمته مرهونة بما يدعمه من عقيدة، وقلما هلكت أمة من نقص في الآراء، بل إن العكس هو الصحيح، ولكن الأمم هلكت وسوف تهلك من نقص في العقيدة. الرأي - عزيزي القارىء - جثة باردة، والعقيدة هي السر الأعظم الذي يهبها الحياة الحرارة، الرأي سديم يتكون، والعقيدة نجم باهر تهوى إليه القلوب وتتعلق به العيون.

الرأي يخلق المصاعب، ويثيرالشبهات، ويبعث على التردد، والعقيدة تزلزل الجبال، وتثبت اليقين، وتلوي عنق الدهر.

ليس من نقص في الآراء تعطلت نهضتنا نحن العرب ففينا ما ترى من المثقفين والمؤلفين، والعلماء وأصحاب الرأي، وحالنا هو ما أنت به أعلم!!

اللهم هبنا إيماناً، كإيمان العجائز ■

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

زكاتك السنوية على دفعات شهرية

ضمان لاستمرار مساعدة أكثر من ١٠٠٠٠ أسرة مستحقة للزكاة داخل الكويت



- تطبيق فريضة الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام.
- المساهمة في ترسيخ الأمن الاجتماعي في المجتمع الكويتي.
- تيسيرا لك في إخراج زكاتك.

أخي المحسن... أختي المحسنة ساهم معنا في مشروع

دعم الأسر المحتاجة داخل الكويت

من خلال الإستقطاع الشهري بنية الزكاة

للإستفسار تليفون: ٥٧٥٧٢٥٧ / ٥٧٢٤٦٦٣ - فاكس: ٥٧٢٤٥٧٣ / ٥٧٣١٦٦٦

ملاحظة: أفتت الهيئة الشرعية لبيت الزكاة بجواز ذلك فتوى رقم ٩٥/٦

WARBA GRAPHIC

بيت الزكاة

